

الكتاب: المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة
المؤلف: السيد شرف الدين
الجزء:
الوفاة: ١٣٧٧
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق: مراجعة وتحقيق : محمود بدري
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢١
المطبعة: عترة
الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم
ردمك: ٩٦٤-٦٢٨٩-٨٥-١
ملاحظات:

المجالس الفاخرة
في
مآتم العترة الطاهرة
تأليف
الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي (قدس سره)
مراجعة وتحقيق
محمود البدري
مؤسسة المعارف الإسلامية

شرف الدين، عبد الحسين، ١٨٧٣ - ١٩٥٨
المجالس الفاخرة في ماتم العترة الطاهرة
المقدمة الزاهرة لكتاب المجالس الفاخرة / تأليف عبد الحسين شرف الدين الموسوي
مراجعة وتحقيق محمود البدرى - قم: مؤسسة المعارف الاسلامية، ١٤٢١ ق. =
١٣٧٩.
٣٨٢ ص عربي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(۳)

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، وأفضل صلواته وسلامه علي خير من اصطفى
محمد، وعلي وصيه المرتضى علي، وأبنائه البررة الأتقياء.
أما بعد:

كثيرة هي قضايانا الاسلامية التي حظيت بالأهمية البالغة في البحث
والكتابة عند الكتاب والمؤرخين علي مر العصور، ومن تلك القضايا التي
تناولتها الأقلام بالدراسة والتحليل هي سيرة الرسول الأكرم وخليفته في أمته
وآل بيتهم عليهم السلام أجمعين، وكذا المحن والابتلاءات التي عانوا منها طوال
حياتهم المقدسة حتى قضوا جميعا بين مسموم وقتيل.
وان قضية استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام نالت القسط الأكبر
من ذلك الاهتمام، كيف لا وقد كان له المنزلة الكبيرة عند الله سبحانه وتعالى
حيث جعل في زيارته عليه السلام من الثواب ما يعادل العمرة المندوبة المتقبلة،
بل ورد في بعض الروايات: " ان الله ينظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام نظر

الرحمة في يوم عرفة قبل نظره إلى أهل عرفات " (١). وعلى هذا صار لزيارته عليه السلام آثارا عظيمة لدى الناس وهم يثابون كل حسب حاله وبمقدار معرفته وإخلاصه، وصارالتوسل به عليه السلام متنوعا، وذلك اما من خلال زيارة مرقده الطاهر، أو عقد مجالس العزاء، أو بذل الطعام باسمه، ولن يكون ذلك متقبلا الا في تحقيق عنصر الاخلاص. والكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - قد ضم بين دفتيه طائفة من المجالس الفاخرة تناول فيها السيد المؤلف قدس سره سيرة وخصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وكذا ضمنه سيرة الامام أبي عبد الله الحسين عليه السلام من ولادته وحتى استشهاده تتلى صبيحة يوم العاشر من المحرم بمجلس واحد أو تتلى في مجالس متعددة في سائر أيام عاشوراء.

ومن دواعي السرور ان تأخذ مؤسستنا مؤسسة المعارف الاسلامية على عاتقها طبع ونشر هذه التحفة النفيسة سائلين الباري تعالى أن يجعله في حسناتنا وشاكرين للأستاذ المحقق محمود البدرى جهوده الرائعة في تحقيق الكتاب، سيما وأنه قد ألحق المقدمة الزاهرة في أول الكتاب والتي كتبها السيد المؤلف قدس سره وطبعت مستقلة. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

(١) ثواب الأعمال: ١١٥ ح ٢٧، معاني الأخبار: ٢٩١ ح ٣٦.

ترجمة المؤلف

ولادته ونشأته:

هو السيد عبد الحسين بن السيد يوسف بن السيد جواد، بن السيد إسماعيل، ابن محمد بن محمد جد الأسرتين " آل شرف الدين " و " آل الصدر " ابن السيد إبراهيم، الملقب ب " شرف الدين " المنتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

ولد السيد عبد الحسين في الكاظمية سنة ١٢٩٠ هـ - في دار جده لأمه السيد " هادي الصدر "، وهو من أبوين علويين كريمين، فأبوه العلامة الحجة يوسف بن الشريف جواد بن الشريف إسماعيل، وأمه العلوية الجليلة " الزهراء " كريمة المرحوم السيد " الهادي " بن السيد محمد علي، الذي ينتهي نسبها إلى شرف الدين كذلك.

دراسته العلمية:

في السنة الثامنة من عمره عاد به والده إلى " عاملة " ليؤدي الأب فيها واجبه الديني بعد أن نال رتبة الاجتهاد، وشب السيد في كنف والده ينتهل من نيمير المعرفة في حدود علوم العربية والمنطق والبلاغة وسطوح الفقه والأصول. وعندما بلغ السيد السابعة عشر من عمره أرسله أبوه إلى العراق لإكمال دراسته، وكان له من ذكائه واجتهاده ما ساعده على المضي في الانتهال العلمي

في مدرسة النجف العلمية وشق طريقه على يد أساتذة فطاحل شهد لهم بعلو المقام، فقد درس على يد فحول الحوزة العلمية في النجف وسامراء كالمرحوم الملا كاظم الخراساني، والمرحوم السيد كاظم الطباطبائي وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ حسن الكربلائي والسيد إسماعيل الصدر، والسيد حسن الصدر، وغيرهم من أعلام الدين وأئمة العلم.. ومرت عليه مرحلة كان يتنقل خلالها في رياض العلم والفضل والأدب حتى إذا ما استوفى نصيبه من هذه المناهل العلمية والأدبية، كان من أولئك الأفراد الذين لمع نجمهم في الأوساط الدينية بمكانته العلمية. وكان - رحمه الله - كثير السؤال والمذاكرة والاستفسار عن مشاكل المسائل كلما اجتمع بعالم كبير يبرز منه الدقة وحب المناظرة والإفادة. قال رحمه الله في ترجمته من كتابه " بغية الراغبين " ما نصه: " أما في العلوم العربية فقد كان ممن لا يجارى فيها - ويقصد بذلك جده آية الله المرحوم السيد الهادي - ولا سيما في علمي المعاني والبيان، إذ بان شأنه فيهما، كنت استصبح بضوئه فيما لم اعتد إليه من معضلات " المطول " للمحقق التفتازاني فيهديني إليها بنور بيانه وسطوع حجته، فإذا هي كالشمس في ريعان الضحى، وكم كنت أرجع إليه في مشكلات المنطق والعلوم العربية فيثلج غلتي بما ينفيه عني من معتلج الريب، ويميطه من حجاب الشبهة، وكان على جلالته وشيخوخته يقبل على مباحثتي بانبساطه، ويسترسل إلى مناظرتي بأنسه.... "

عودته إلى جبل عامل:

عاد بعد ذلك إلى جبل عامل وهو في الثانية والثلاثين من عمره، واستقبلته مدينته استقبالا رائعا، وخط فيها موفور الكرامة، محترم الجانب، رفيع المقام،

وأصبح مرجعا وزعيما دينيا تمكن من الإصلاح والهداية ونشر المعارف.
بما أن استقر به المقام حتى بدأ يعمل ويخطط لأمتة كأى مصلح عظيم،
ويرعى الجانب العلمي، كما دعم الجانب الاجتماعي والسياسي وكانت له مواقف
مشهودة سجلها التاريخ بكل إكبار وتقدير.

ففي الجانب العلمي: نظم السيد - رحمه الله - في " صور " الدراسة العلمية
وهذبها من كل ما يعرقل سيرها، ثم كان على اتصال مستمر بالبحث والمطالعة
والكتابة والمناظرة، وكانت حصيلة تلك الجهود العلمية مجموعة كبيرة من
المؤلفات القيمة.

وقام كذلك بفتح مدارس علمية ليوفر عدد طلاب العلوم الدينية ويشجعهم
على الاستمرار العلمي، ووضع نواة لكلية جعفرية، تولى العناية بها من بعده ولده
العلامة السيد جعفر شرف الدين.

أما في الجانب السياسي والاجتماعي: فقد كان السيد - رحمه الله - مثال
القائد المصلح الذي يحاول أن يبني لأمتة كيانا، فكانت له مواقف خالدة ضد
الاستعمار الأجنبي في العهد التركي والعهد الفرنسي وذلك لإقامة العدل،
ولصموده واستقامته حاولوا اغتياله بيد أحد المرتزقة يعرف ب " ابن الحلاج "،
ولكن الله تعالى كف أيديهم عنه لكن بقيت مؤامراتهم متصلة إلى أن أدت إلى
تشريد السيد بأهله وذويه نحو دمشق وترك مكتبته العامرة تحترق بيد الجيش
الفرنسي.

أسفاره:

ولم يدم بقاء السيد طويلا في دمشق، فقد ضاق الفرنسيون به ذرعا، إذ

عرفت فيه الشام عالما وزعيما ومجاهدا، وكانت معركة " ميسلون " نهاية بقائه في دمشق، فلجأ إلى مصر سنة ألف وتسع وعشرين وثلاثمائة هجرية واجتمع بعلمائها وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الأزهر في عصره وأنتجت اجتماعاته به ومراسلاته له كتاب " المراجعات " .

ولم يمكث طويلا في مصر، إذ قصد فلسطين ليكون من هناك على مقربة من بلده يواصل منها جهاده الديني والوطني، وعندما خرج الفرنسيون من لبنان عاد السيد - رحمه الله - إلى بلاده منتصرا ظافرا، وكان يوم عودته مشهودا، وهو يحمل مشعل النصر.

وللسيد - رحمه الله - سفرات وزيارات أخرى إلى المدينة وفلسطين ومصر والعراق وإيران.
مؤلفاته:

وللسيد شرف الدين مؤلفات كثيرة تدل على علمه وسعة اطلاعه، وفيما يلي نذكر جملة منها:

١ - المراجعات: وهي آية من الآيات، ومعجزة من المعجزات بيانها، وقوة برهانها، وشرف هدفها، طبعت مرتين في حياة السيد والعديد من المرات بعد وفاته وترجمت إلى العديد من اللغات كالفارسية والانكليزية والأوردية.
٢ - الفصول المهمة في تأليف الأمة: وهو صرخة مدوية في سبيل جمع الكلمة واتحاد الأمة.

٣ - أجوبة مسائل موسى جار الله: وهي أجوبة عن عشرين سؤالا تقدم بها موسى جار الله إلى أعلام الشيعة في البلاد الإسلامية وقد دلت هذه الأجوبة على

- غزير علم واطلاع واسع يكتفي بها كل من كان رائده الحق.
- ٤ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء.
 - ٥ - المجالس الفاخرة في ماتم العترة الطاهرة (وهو هذا الكتاب).
 - ٦ - أبو هريرة: وقد اقتفى السيد فيه أثر العلامة أبو رية المصري في كتاب الفذ " شيخ المضيرة " .
 - ٧ - النص والاجتهاد: وهو من أعمق الدراسات الإسلامية في العصر الحاضر.
 - ٨ - بغية الراغبين: ضمنه تراجم أعلام آل الصدر وشرف الدين مع عرض لتراجم أساتذتهم وتلامذتهم وصور عن عصرهم وهو من الكتب الجليلة التي تعد في طليعة أدب التراجم.
 - ٩ - فلسفة الميثاق والولاية.
 - ١٠ - ثبت الأثبات في سلسلة الرواة: عرض فيه إلى شيوخه من أعظم أهل المذاهب الإسلامية بأسلوب فريد مفيد.
 - ١١ - مسائل فقهية: موضوع فقهي مقارنة عميق البحث.
 - ١٢ - إلى المجمع العلمي: حيث رد على بعض الشبهات المثارة حول الشيعة، ووجه نصائحه إلى المجمع العلمي يحثه على الوفاق ونبذ الافتراق.
 - ١٣ - حول الرؤية: رسالة عقائدية تبحث مسألة الرؤية بحثا علميا عميقا يثبت به استحالة الرؤية بأدلة مقنعة.
 - ١٤ - زينب الكبرى: وهي خطبة خطبها في الصحن الزينبي المطهر تحدث

فيها عن مقام الحوراء زينب عليها السلام ومواقفها الخالدة.
ومن جملة كتبه التي احترقت ولم تطبع:

- ١٥ - سبيل المؤمنين (في الإمامة).
- ١٦ - النصوص الجلية (في الإمامة).
- ١٧ - تنزيل الآيات الباهرة (في الإمامة).
- ١٨ - شرح التبصرة في الفقه.
- ١٩ - تعليقة على الاستصحاب.
- ٢٠ - تحفة المحدثين فيما أخرج عن الستة المضعفين.
- ٢١ - الذريعة (رد على بدعة النبهاني).
- ٢٢ - تعليقة على صحيح البخاري.
- ٢٣ - تعليقة على صحيح مسلم.
- ٢٤ - الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة.
- ٢٥ - المجالس الفاخرة (المجلدات الأربعة).
- ٢٦ - مؤلفوا الشيعة في صدر الإسلام.
- ٢٧ - زكاة الأخلاق.

وفاته ومدفنه:

توفي رحمه الله يوم الاثنين ٨ من جمادي الثانية سنة ١٣٧٧ هـ، الموافق
٣٠ كانون الأول سنة ١٩٥٧، ودفن في النجف الأشرف بجوار جده الإمام علي بن
أبي طالب عليه السلام داخل الصحن العلوي في إحدى الغرف المحيطة بالضريح.
تغمدهم الله الفقيد العظيم برحمته، ونفع الله الأمة بآثاره كما نفعها بسيرته.
والحمد لله رب العالمين.

عملنا في الكتاب
الكتاب الذي بين يديك - قارئنا العزيز - هو عبارة عن بقايا أثر خالد من
آثار العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين، وهو واحد من تلك السلسلة القيمة
التي خلفها للمكتبة الإسلامية والتي كان بها أكبر الأثر في تركيز الجانب الفكري
والعقائدي الشيعي في القرن الرابع عشر الهجري.
فقد وضع المؤلف كتابا سماه " المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة "،
حيث وضعه في مقدمة وأربعة أجزاء وكون بمجموعه أربعة مجلدات، وهي كما
يلي:

المقدمة: اقتصر فيها على مطالب خمسة هي:

- ١ - البكاء على الموتى المؤمنين.
- ٢ - جواز رثائهم.
- ٣ - تلاوة مناقبهم ومآثرهم.
- ٤ - إقامة المجالس العزائية حزنا عليهم.
- ٥ - الإنفاق عنهم في وجوه البر.

أما أجزاء الكتاب فهي:

المجلد الأول: تحدث فيها عن سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
وحياته المقدسة.

المجلد الثاني: وتحدث فيه عن الإمام علي وفاطمة الزهراء والإمام الحسن
عليهم السلام.

المجلد الثالث: وقد خصه بحياة الإمام الحسين عليه السلام.
المجلد الرابع: وقد جمع فيه سيرة الأئمة المعصومين التسعة عليهم السلام.
وقد كان السيد رحمه الله قد قدم على طبع هذا الكتاب عام ١٣٣٢ هـ، وما
أن أتم طبع المقدمة حتى اندلعت شرارة الحرب العالمية، فمنعت من الاستمرار
بالطبع، بل شاء الحظ العاثر أن تخسر المكتبة الإسلامية العديد من آثار السيد
الفقيد بعد أن أصدر الاستعمار الفرنسي أمرا بنهب دار السيد وحرقت مكتبته.
ومن جملة الكتب التي احترقت هو هذا الكتاب القيم.
وبعد مرور مدة طويلة حاول أحد أولاد عم المؤلف وهو السيد الجليل علي
ابن إسماعيل أن يجمع " من أفواه قراء المآتم " بعض المجالس المحفوظة،
ويعرضها على سماحة السيد ويقرأها من أولها حتى نهايتها، فأقرها وحيد هذا
العمل وباركه منه.

" كما ألقى نظرة على المقدمة، ورتبها بعض الترتيب وحوورها ".
وقد طبعت مقدمة الكتاب في صيدا سنة ١٣٣٢ هـ، وأطلق عليها اسم
" المقدمة الزاهرة لكتاب المجالس الفاخرة "، ثم أعيد طبعها في كربلاء المقدسة
سنة ١٣٧٨ هـ، ثم أعيد طبعها في النجف الأشرف سنة ١٣٨٦ هـ بعد أن الحق بها
بعض المجالس المتفرقة والتي جمعها السيد علي بن إسماعيل.
وقد اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على النسخة المطبوعة لكتاب المقدمة
الزاهرة والتي طبعت عام ١٣٧٨ هـ، وكذلك على نسخة المجالس الفاخرة
المطبوعة عام ١٣٨٦ هـ في النجف الأشرف.
ونظرا لكون نسخة " المقدمة الزاهرة " المطبوعة بصورة مستقلة عن
المجالس الفاخرة أكثر تفصيلا من المقدمة الموجودة ضمن كتاب المجالس

الفاخرة والمطبوع سنة ١٣٨٦ هـ فقد جعلنا القسم الأول من كتابنا هذا هو " المقدمة الزاهرة لكتاب المجالس الفاخرة "، أما القسم الثاني فسيكون كتاب المجالس الفاخرة بمقدمته المقتضبة.

أما عملنا في الكتاب فكان كالاتي:

١ - ضبط النص قدر الوسع والإمكان، والإشارة إلى بعض الاختلافات مع المصادر الأصلية.

٢ - تخريج الروايات الواردة في المتن من المظان المعتمدة.

٣ - تثبيت أقوال المؤلف في الهامش بعد كلمة " قال (رحمه الله): "، وتمييز تعليقاتنا في الهامش بكلمة " أقول: ".

٤ - تثبيت التخريجات التي أوردها المؤلف كما هي، مع زيادة العديد من التخريجات والتعليقات ضمن الهامش.

٥ - كتبت تراجم مختصرة لأغلب الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب.

٦ - ما أضفناه من المصادر أو من عندنا وضعناه بين □ دون الإشارة إلى المصدر.

٧ - وضعت فهارس فنية في آخر الكتاب لكي تعين الباحث في عمله.

نسأل الله رب العالمين أن ينفع به، وأن يجعله في صحائف أعمالنا يوم القيامة * (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) *.

محمود البدري

٣ / رجب / ١٤٢١ هـ . ق

ذكرى استشهاد الإمام علي الهادي (عليه السلام)

المقدمة الزاهرة
لكتاب
المجالس الفاخرة

مقدمة المؤلف

الحمد لله على جميل بلائه وجميل عزائه، والصلاة والسلام على أسوة
أنبيائه وعلى الأئمة المظلومين من أوصيائه ورحمة الله وبركاته...
أما بعد، فهذا كتاب "المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة" وضعت
تقرباً إليهم في الدنيا، وتوسلاً بهم في الآخرة، سائلاً من الله سبحانه أن يكون
خالصاً لوجهه الكريم، إنه هو الرؤوف الرحيم...
الأصل العملي (١) يقتضي إباحة البكاء على مطلق الموتى، وراثتهم
بالقريض، وتلاوة مناقبهم ومصائبهم، والجلوس حزناً عليهم، والإنفاق عنهم في
وجوه البر، ولا دليل على خلاف هذا الأصل، بل السيرة القطعية (٢)، والأدلة

(١) أي أن الحكم الشرعي في مرحلة العمل هكذا يقتضي، وذلك استناداً إلى قول كثير من
الأصوليين الذين يرون بأن الأصل في المكلف أن لا يكون مسؤولاً عن التكليف المشكوك
أو المجهول، ويرى هؤلاء أن العقل هو الذي يحكم بنفي المسؤولية، لأنه يدرك قبح العقاب
من المولى على مخالفة المكلف للتكليف الذي لم يصل إليه، ولأجل هذا يطلقون على
الأصل من وجهة نظرهم اسم "قاعدة قبح العقاب بلا بيان" أو "البراءة العقلية".
(٢) وتعني الأمر المتداول عند عموم المسلمين المتشرعين، بشرط أن لا يكون هذا الأمر أمراً
مستحدثاً أو عادة من العادات المحلية، بل لا بد أن يرتبط بعصر المعصوم، وهو ما يطلق عليه
علماء الأصول بـ "سيرة المتشعبة" على أساس أن المتشعبة حينما يسلكون سلوكاً بوصفهم
متشعبة، يجب أن يكونوا متلقين ذلك من المعصوم عليه السلام، وقد وصفت هذه السيرة
بالقطعية، لأنه بواسطتها سوف يحصل لنا القطع بإذن الشارع في مورده.

اللفظية حاکمان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأمور إذا كان المیت من أهل المزايا الفاضلة، والآثار النافعة، وفقا لقواعد المدنية، وعملا بأصول العمران، لأن تمييز المصلحين يكون سببا في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعيا إلى كثرة الناسجين على منوالهم، وتلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم، وهنا مطالب:

المطلب الأول في البكاء

ولنا على ما اخترناه فيه (مضافا إلى السيرة القطعية) فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله وتقريره، أما الأول فإنه متواتر عنه في موارد عديدة: منها: يوم أحد، إذ علم الناس كافة بكائه يومئذ على عمه أسد الله وأسد رسوله حتى قال ابن عبد البر في ترجمة حمزة (١) من استيعابه لما رأى النبي صلى الله عليه وآله حمزة قتيلا بكى، فلما رأى ما مثل به شهق. (٢) وذكر الواقدي (كما في أوائل الجزء الخامس عشر من نهج البلاغة (٣) للعلامة المعتزلي)، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يومئذ إذا بكت صفية يبكي، وإذا نشجت ينشج (٤) قال: وجعلت فاطمة تبكي، فلما [بكت] بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٥)

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة، سيد الشهداء، استشهد سنة ٣ ٥، عم النبي صلى الله عليه وآله، أحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام، هاجر مع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، حضر وقعة بدر وغيرها، استشهد يوم أحد ودفن في المدينة. أنظر: تاريخ الإسلام ١: ٩٩، صفوة الصفوة ١: ١٤٤، الأعلام ٢: ٢٧٨.

(٢) الإستيعاب ١: ٣٢٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٣٨٧.

(٤) نشج الباكي ينشج نشيحا: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. القاموس المحيط ١: ٢١٩.

(٥) قال (رحمه الله): قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبي صلى الله عليه وآله وتقريره، فهو حجة من جهتين، على أن بكاء سيدة النساء عليها السلام كاف كما لا يخفى. أقول: لأن فعل الزهراء عليها السلام يكفي للاستدلال باعتباره حجة في مثل هذا المقام، إذ أنها معصومة، وهي من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وانظر ما كتبه (رحمه الله) حول الزهراء في رسالته القيمة (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام).

ومنها: يوم نعى زيدا وذا الجناحين وابن رواحة، فيما أخرجه البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه (١).
وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه (٢) أن النبي صلى الله عليه وآله بكى على جعفر (٣) وزيد وقال: أخوأي ومؤنساي ومحدثاي.
ومنها: يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه فقال له عبد الرحمن بن عوف (كما في صفحة ١٤٨ من الجزء الأول من صحيح البخاري) وأنت يا رسول الله! (٤)

(١) صحيح البخاري ٢: ٣٨٤، صحيح مسلم ٥: ٣١٧، وانظر: مسند أحمد ٢: ٤٠.

(٢) الإستيعاب ٢: ٦٥.

(٣) جعفر بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا عبد الله، صحابي هاشمي من شجعانهم، أول قتيل من الطالبين في الإسلام، ويكنى أبا المساكين أيضا، وجعفر هو الثالث من ولد أبيه بعد طالب وعقيل، وبعد جعفر علي عليه السلام، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، استشهد سنة ٨ هـ، حضر وقعة مؤتة، فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضا، فاحتضن الراية إلى صدره وصبر حتى وقع شهيدا وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية.

أنظر: الإصابة ١: ٢٣٧، البداية والنهاية ٤: ٢٥٥، تهذيب التهذيب ٢: ٩٨، أسد الغابة ١:

٢٨٦، الطبقات الكبرى ٤: ٢٢، حلية الأولياء ١: ١١٤.

(٤) قال القسطلاني: أي أتبع الدمعة الأولى بدمعه أخرى أو أتبع الكلمة الأولى المحملة وهو قوله: "إنها رحمة" بكلمة أخرى مفصلة، فقال: إن العين تدمع... إلخ. أنظر: إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ٢: ٣٩٨.

قال: يا ابن عوف، إنها رحمة (١) ثم أتبعها - يعني عبرته - بأخرى، فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول (٢) إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون. (٣)

ومنها: يوم مات إحدى بناته صلى الله عليه وآله، إذ جلس على قبرها (كما في صفحة ١٤٦ من الجزء الأول من صحيح البخاري) وعيناه تدمعان. (٤) ومنها: يوم مات صبي لإحدى بناته، إذ فاضت عيناه يومئذ (كما في الصحيحين وغيرهما) فقال له سعد: ما هذا، يا رسول الله؟

- (١) قال (رحمه الله): لا يخفى ما في تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء في مثل المقام. أقول: قوله صلى الله عليه وآله: إنها رحمة، أي والرحمة نعم الفعل، ونعمت الصفة، وليست سخطا لقضاء الله حتى تكون مدمومة، وما كان ينبغي أن يقال لرسول الله ص لى الله عليه وآله ذلك، وهو القدوة في أقواله وأفعاله وسكوته ومقاله، والله تعالى يقول: * (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) * [سورة الحشر: ٧].
- (٢) قال (رحمه الله): أراد بهذا أن الملامة والأثم في المقام إنما يكونان بالقول الذي يسخط الرب عز وعلا، كالاعتراض عليه والسخط لقضائه لا بمجرد دمع العين وحزن القلب.
- (٣) صحيح البخاري ٢: ١٠٥.
- وروي بأسانيد وألفاظ متفاوتة، أنظر: التعازي للمدائني: ١٤، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٦ ح ١٥٨٩، الكامل للمبرد ٣: ٢٦٣، العقد الفريد ٣: ٢٣٤، دعائم الإسلام ١: ٢٢٨ ح ٧٩٢، تحف العقول: ٣٧، بحار الأنوار ٨٢: ٩١ و ١٠٠ و ١٠١.
- (٤) قال القسطلاني (إرشاد الساري ٢: ٤٢٥): هي أم كلثوم زوج عثمان. وأخرج النسائي في سننه (١: ٢٦٢) عن ابن عباس قال: لما حضرت بنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرة فأخذها فضمها إلى صدره ثم وضع يده عليها، فقضت وهي بين يديه، فبكت أم أيمن فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله صلى الله عليه وآله عندك؟ فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله يبكي. فقال: إني لست أبكي، ولكنها رحمة.

قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب [من يشاء من] عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء (١). (٢)
ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين، عن ابن عمر قال:
اشتكى سعد فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعة من أصحابه فوجده في غشية فبكي.
[قال:] فلما رأى القوم بكاءه بكوا... الحديث (٣). (٤)
والأخبار في ذلك لا تحصى ولا تستقصى (٥).

(١) قال (رحمه الله): دلالة قوله: " وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " على استحباب البكاء في غاية الوضوح كما لا يخفى.
(٢) صحيح البخاري ٢: ١٠٠، صحيح مسلم: ٢: ٦٣٥ ح ٩٢٣، سنن أبي داود ٣: ١٩٣ ح ٣١٢٥، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٦ ح ١٥٨٨، سنن النسائي ٤: ٢٢، دعائم الإسلام ١: ٢٢٨ ح ٧٩٤، مجمع الزوائد ٣: ١٨، بحار الأنوار ٨٢: ٩١.
(٣) قال (رحمه الله): لا يخفى اشتماله على كل من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقريره، فهو حجة من جهتين.
أقول: ولكن عندما نقرأ بقية الحديث نجده حجة من ثلاث جهات، فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله وتقريره.
(٤) أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في غاشية من أهله فقال: قد قضى؟ فقالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا، فقال: ألا تسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم. (منه رحمه الله).
(٥) أنظر: سنن ابن ماجة ١: ٥٠٦ ح ١٥٨٩، الكامل للمبرد ٣: ٢٦٣، العقد الفريد ٣: ٢٣٤، التعازي للمدائني: ١٤.

وأما قوله وتقريره فمستفيضان ومواردهما كثيرة فمنها ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه (١) قال:
لما جاء النبي صلى الله عليه وآله نعي جعفر (٢) أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها.

[قال:] ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: على مثل جعفر فلتبك (٣) البواكي.
ومنها: ما ذكره ابن جرير (٤) وابن الأثير (٥) وصاحب العقد الفريد (٦) وجميع أهل السير (٧)، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة

(١) الإستيعاب ١: ٣١٢.

(٢) قال (رحمه الله): هذا الحديث مشتمل على تقريره صلى الله عليه وآله على البكاء وأمره به على أن مجرد صدوره من سيدة النساء عليها السلام حجة كما لا يخفى.

(٣) قال (رحمه الله): هذا أمر منه صلى الله عليه وآله بالبكاء ندبا على أمثال جعفر من رجال الأمة وحسبك به حجة على الاستحباب.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٧.

(٥) الكامل في التاريخ: ٢: ١٣٢.

(٦) العقد الفريد ٢: ٨٦.

(٧) قال علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ١: ٤٦٢: وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء الأنصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن فقال: حمزة لا بواكي له، وبكى صلى الله عليه وسلم - ولعله لم يكن له بالمدينة زوجة ولا بنت - فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يبكين حمزة بين المغرب والعشاء، وكذلك أسيد بن خضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة - إلى أن قال -: فلما رجع صلى الله عليه وسلم من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء فقال: ما هذا؟ فقال: نساء الأنصار يبكين حمزة، فقال: رضي الله عنكن وعن أولادكن، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن - إلى أن قال -: وفي رواية: فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال: الصلاة يا رسول الله، فقام من نومه، وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة فقال لهن: ارجعن رحمكن الله، لقد واسيتن معي، رحم الله الأنصار، فإن المواساة فيهم كما علمت قديما - إلى أن قال -: وصارت الواحدة من نساء الأنصار بعد لا تبكي على ميتها إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها. وأخرج كذلك عن ابن مسعود: ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله باكيا أشد من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق - أي شهق حتى بلغ الغشي - يقول: يا عم رسول الله، وأسدي الله، وأسدي رسول الله، يا حمزة، يا فاعل الخيرات، يا حمزة، يا كاشف الكربات، يا ذاب، يا مانع عن وجه رسول الله.

(أنظر: السيرة الحلبية ١: ٤٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٣٨٧).

أقول: هذا حال رسول الله صلى الله عليه وآله عندما رأى حمزة شهيدا، فكيف به صلوات الله عليه لو نظر إلى ما صنع بولده الحسين وأهل بيته عليهم السلام لكان ذلك المنظر أوجع لقلبه من منظر حمزة ويكون حاله كما قال القائل:
لو أن رسول الله يبعث نظرة* لردت إلى إنسان عين مؤرق

وهان عليه يوم حمزة عمه * بيوم حسين وهو أعظم ما لقي
ونال شجى من زينب لم ينله من * صفية إذ جاءت بدمع مرفرق
فكم بين من للخدر عادت مصونة * ومن سيروها في السبايا بحلق

(٤٠) من الجزء الثاني من مسنده قال:
[لما] رجع رسول الله صلى الله عليه وآله [من أحد فجعلت نساء الأنصار
يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:] ولكن
حمزة لا بواكي له.
[قال:] ثم نام فاستنبه وهن يبكين.
قال:] فهن اليوم إذا بكين يبدأن (١) بحمزة. (٢)

(١) كذا في الأصل، والظاهر هو الصحيح، وفي المصدر: يندبن.
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٦١.

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب، نقلا عن الواقدي قال: لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله: " لكن حمزة لا بواكي له " إلى اليوم إلا بدأت (١) بالبكاء على حمزة [ثم بكت ميتها]. (٢) وحسبك تلك السيرة في رجحان البكاء على من هو كحمزة وإن بعد العهد بموته.

ولا تنس ما في قوله صلى الله عليه وآله: " لكن حمزة لا بواكي له " من البعث على البكاء والملامة لهن على تركه، وحسبك به وبقوله: " على مثل جعفر فلتبك البواكي " دليلا على الاستصحاب.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس في صفحة (٣٣٥) من الجزء الأول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبكاء النساء عليها، قال: فجعل عمر يضربهن بسوطه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعهن يبيكين.

ثم قال: مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة [- إلى أن قال -:]، وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي صلى الله عليه وآله يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها. (٣)

وأخرج أحمد أيضا من حديث أبي هريرة جاء فيه: أنه مر على رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة معها بواك، فنهرهن عمر، فقال له رسول الله صلى الله

(١) كذا في المصدر، وفي الأصل: لا بدآن، وهو تصحيف.

(٢) الإستيعاب ١: ٢٧٥.

(٣) مسند أحمد ١: ٣٣٥، مشكاة المصابيح ١: ٥٤٨ ح ١٧٤٨، مجمع الزوائد ٣: ١٧، كنز العمال ١٥: ٦٢١ ح ٤٢٤٧٦.

عليه وآله: دعهن، فإن النفس مصابة، والعين دامعة، [والعهد قريب]. (١)
إلى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاؤه.
وقد بكى يعقوب، إذ غيب الله ولده: * (وقال يا أسفا على يوسف وابتضت
عيناه من الحزن فهو كظيم) * (٢)، حتى قيل - كما في تفسير هذه الآية من
"الكشاف" -: ما جفت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما،
وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله - كما في تفسير هذه الآية من
"الكشاف" أيضا -: أنه سئل جبرئيل عليه السلام: ما بلغ من وجد يعقوب على
يوسف؟

قال: وجد سبعين ثكلى.

قال: فما كان له من الأجر؟

قال: أجر مائة شهيد (٣)، وما ساء ظنه بالله ساعة قط (٤).

(١) مسند أحمد ٢: ٣٣٣، وأنظر: سنن ابن ماجه ١: ٢٤٧، سنن النسائي ١: ٢٦٣.
أقول: قوله: "والعهد قريب" لا يدل على عدم الجواز مع بعد العهد، فإنه بمنزلة التعليل لصعوبة
الصبر مع قرب العهد، أي لو كان العهد بعيدا لهان عليهن ترك البكاء، وإن كان جائزا أيضا، فلا يدل على
اختصاص الجواز بقرب العهد، مع أن مثل مصيبة الحسين عليه السلام وما اشتملت عليه من الفظاعة
التي لم يسبق لها مثيل كلما بعد عهدها فهو قريب، وكما قال القائل:
وفجائع الأيام تبقى مدة * وتزول وهي إلى القيامة باقية

(٢) سورة يوسف: ٨٤.

(٣) قال (رحمه الله): هذا كالصريح في استحباب البكاء، إذ ليس المستحب إلا ما يترتب الثواب على فعله
كما هو

واضح.

(٤) الكشاف ٢: ٤٥٠، تفسير الطبري ١٣: ٣٢، غرائب القرآن - بهامش تفسير الطبري - ١٣: ٤٢،
تفسير

الرازي ٥: ٢٣٨.

قلت: أي عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء * (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) * (١).
وأما ما جاء في الصحيحين (٢): من أن الميت يعذب لبكاء أهله عليه.
وفي رواية: ببعض بكاء أهله عليه.
وفي رواية: يبكاء الحي.
وفي رواية: يعذب في قبره بما نوح عليه.
وفي رواية: من يبك عليه يعذب. فإنه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل.
قال الفاضل النووي: هذه الروايات كلها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله. (٣)
قال: وأنكرت عائشة (٤) عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجت

-
- (١) سورة البقرة: ١٣٠.
(٢) صحيح البخاري ١: ١٥٥، صحيح مسلم ١: ٣٥٩ و ٤: ٢٥٧، سنن ابن ماجة ١: ١٧٣، سنن النسائي ١: ٢١٣.
(٣) صحيح مسلم ٥: ٣١٨.
(٤) هي زوج النبي صلى الله عليه وآله وأم المؤمنين، تزوجها النبي صلى الله عليه وآله في السنة الثانية أو الثالثة للهجرة وتوفي عنها وهي ابنة ثمانين سنة على أشهر الأقوال.
ولقب أم المؤمنين هذا لا يختص بعائشة، فهو يطلق على كل امرأة تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله، فيقال أم المؤمنين خديجة، وأم المؤمنين حفصة... إلخ.
وقد لعبت عائشة دورا كبيرا في التاريخ الإسلامي، فهي أول امرأة تقود جيشا كبيرا لمحاربة خليفة المسلمين، إنها عصت أمر الله وأمر رسوله لها بالذات وخرجت فقاتلت حرب الجمل المشؤومة التي انتهكت فيها المحارم، وقتلت الأبرياء وخانت العهد في الكتاب الذي كتبه مع عثمان بن حنيف وعندما جاؤوها بالرجال مكتفين أمرت بضرب أعناقهم صبورا، وكأنها لم تسمع قول النبي صلى الله عليه وآله: " سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ".
وقد سجل لها التاريخ كرها وبغضا للإمام علي لم يعرف له مثل وصل بها إلى حد أنها لا تطيق ذكر اسمه ولا تطيق رؤيته، وعندما تسمع بأن الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان تقول: وددت لو أن السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب، و تعمل كل جهودها للإطاحة به، وتقود ضده عسكريا جرارا لمحاربتة، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكرا لله! (أنظر: صحيح البخاري ١: ١٦٢ و ج ٣: ١٣٥ و ج ٥: ١٤٠).

بقوله تعالى: * (ولا تزر وازرة وزر أخرى) * (١)... إلخ. (٢)
قلت: وأنكر هذه الروايات أيضا عبد الله بن عباس (٣) واحتج على خطأ

(١) سورة الأنعام: ١٦٤، سورة الإسراء: ١٥، سورة فاطر: ١٨، سورة الزمر: ٧.
(٢) أخرج النسائي ومسلم ومالك في الموطأ: إن عائشة لما بلغها رواية ابن عمر: إن الميت ليعذب ببكاء أهله ونحوه، قالت: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبر فقال: إن صاحب القبر ليعذب، وإن أهله يبكون عليه، وقرأت: * (ولا تزر) * الآية. أو قالت: إنه لم يكذب، ولكن نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها. أو قالت: إنه سمع شيئا فلم يحفظ، إنما مرت على رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة يهودي وهم يبكون عليه فقال: أنتم تبكون عليه، وإنه ليعذب. أو قالت: وهل إنما قال صلى الله عليه وسلم: إنه ليعذب بخطيئته وبذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن. أو قالت - لما ذكر لها حديث من يبكي عليه يعذب - : إنما كان أولئك اليهود. أو لما بلغها قول عمر وابنه قالت: إنكم لتحدثون عن غير كاذبين ولا مكذبين، ولكن السمع يخطئ.

أنظر: سنن النسائي ١: ٢١٣، صحيح مسلم ٤: ٢٥٧، الموطأ ١: ١٠٧، والتردد في هذه الأقوال من الراوي.

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة، لازم رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عنه، وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، كف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨ هـ.

أنظر: الإصابة ترجمة رقم (٤٧٧٢)، صفة الصفوة ١: ٣١٤، حلية الأولياء ١: ٣١٤، نسب قريش: ٢٦، الأعلام ٤: ٩٥.

راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتى أخرج الطبري (١) في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيب قال: لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: أدخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة. فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إني أخرج عليك بيتي. فقال عمر لهشام: أدخل فقد أذنت لك، فدخل هشام وأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر فعلاها بالدرّة، فضربها ضربات، فتفرق النوح حين سمعوا ذلك.

قلت: كأنه لم يعلم تقرير النبي صلى الله عليه وآله نساء الأنصار على البكاء على موتاهن، ولم يبلغه قوله صلى الله عليه وآله: " لكن حمزة لا بواكي له "، وقوله صلى الله عليه وآله: " على مثل جعفر فلتبك البواكي "، وقوله صلى الله عليه وآله: " إنما يرحم الله من عباده الرحماء ".

ولعله نسي نهي النبي صلى الله عليه وآله إياه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نسي نهيه إياه عن انتهارهن في مقام آخر مر عليك آنفا. (٢)

ثم إذا كان البكاء على الميت حراما، فلماذا أباح لنساء بني مخزوم أن

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٤٩ (وفاة أبو بكر).

(٢) أنظر مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٣٥ و ٢: ٣٣٣، سنن ابن ماجة ١: ٢٤٧، العقد الفريد ٢: ٤٧.

بيكين على خالد بن الوليد (١) حتى ذكر محمد بن سلام - كما في ترجمة خالد من الاستيعاب (٢) - إنه لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها - أي حلق رأسها - على قبر خالد، وهذا حرام بلا ارتياب، والله أعلم. (٣)

(١) بل إن عمر بكى وحزن على أخيه زيد ورثاه، ففي الإصابة (١: ٥٦٥ و ٢، ٦٤٣) في ترجمة زيد بن الخطاب: إنه لما قتل باليمامة حزن عليه عمر حزنا شديدا.
وفي الاستيعاب (١: ٥٤٣) بسنده عن ابن جابر قال: قال لي عمر بن الخطاب: ما هبت الصبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد.
وقد بكى عمر أيضا على النعمان بن مقرن حين قتل في فتح نهاوند واضعا يده على رأسه علامة على شدة الحزن وعظيم المصاب. ففي الاستيعاب (٣: ٥٤٧) في ترجمة النعمان: ولما جاء نعيه عمر بن الخطاب، خرج فنعاه إلى الناس على المنبر، ووضع يده على رأسه بيكي! (٢) الاستيعاب - بهامش الإصابة - ٣: ٣٩٧. وانظر: صحيح البخاري ١: ١٦٧ (باب ما يكره من النياحة)، النهاية لابن الأثير ٥: ١٠٩، العقد الفريد ٢: ٧٦.
(٣) فقد روى البخاري في صحيحه (١: ١٥٥)، كتاب الجنائز: إن النبي صلى الله عليه وسلم برئ من الحالقة، وكذا روى النسائي في سننه (١: ٢١٧).

المطلب الثاني

في رثاء الميت بالقريض

ويظهر من القسطلاني في شرح [صحيح] البخاري (١) أن الجماعة يفصلون القول فيه، فيحرمون ما اشتمل منه على مدح الميت وذكر محاسنه، الباعث على تحريك الحزن وتهيج اللوعة، ويبيحون ما عدا ذلك، والحق إباحته مطلقا، إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الأصل، والنواهي التي يزعمونها إنما يستفاد منها الكراهة في موارد مخصوصة على أنها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدم عليه السلام ولده هاييل، واستمرت على ذلك ذريته إلى يومنا هذا بلا نكير. (٢)

وأقر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه عليه مع إكثارهم من تهيج الحزن به، وتفننهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراثيهم منتشرة في كتب الأخبار،

(١) إرشاد الساري ٣: ٢٩٨ (باب رثاء النبي سعد بن خولي).

(٢) قال الطبري في تاريخه (١: ٣٧) ما لفظه:

وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هاييل بكاه آدم فقال فيما حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي إسحاق الهمداني قال: قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال:

تغيرت البلاد ومن عليها * فلون الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

فراجع الاستيعاب إن أردت بعضها أحوال سيد الشهداء حمزة (١)، وعثمان بن مظعون (٢)، وسعد بن معاذ (٣)، وشماس بن عثمان بن الشريد (٤)، والوليد بن الوليد

(١) الاستيعاب ١: ٣٢٥.

(٢) جاء في الاستيعاب (٣: ٨٩) أنه لما مات عثمان بن مظعون رثته امرأته فقالت:

يا عين جوذي بدمع غير ممنون * على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ كان في رضوان خالقه * طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده * وأشرق أرضه من بعد تفتين
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له * حتى الممات وما ترقى له شوني
وقد أخرج ابن ماجة في سننه (١: ٣٢٩)، باب ما جاء في تقبيل الميت)، عن عائشة
قالت: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت، فكأنني انظر إلى
دموعه تسيل على خديه.

وقال محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي في الحاشية: قوله: على خديه، أي خدي
النبي صلى الله عليه وسلم، أو خدي عثمان، ويؤيد الثاني ما جاء: حتى سألت دموع النبي
صلى الله عليه وسلم على وجه عثمان، والله تعالى أعلم.
(٣) أورد ابن هشام في سيرته (٤: ٢٩٦)، عن ابن إسحاق قال: قال حسان بن ثابت يبكي
سعد بن معاذ:

لقد سحمت من دمع عيني عبرة * وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فحجت به * عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة * مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا * وأمسييت في غرباء مظلمة اللحد
فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد * كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حيي قريظة بالذي * قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
(٤) قالت نعم تبكي زوجها شماس بن عثمان الذي أصيب يوم أحد:
يا عين جوذي بفيض غير إبساس * على كريم من الفتیان لباس
صعب البديهة ميمون نقيته * حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعي له جزعا * أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لما خلت منه مجالسه * لا يبعد الله عنا قرب شماس
فأجابها أخوها أبو الحكم بن سعيد بن يربوع فقال:
أقني حياءك في ستر وفي كرم * فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته * في طاعة الله يوم الروع والبأس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري * فذاق يومئذ من كأس شماس
أنظر: سيرة ابن هشام ٣: ١٦٨، الإصابة ٢: ٩٧.

ابن المغيرة (١)، وأبي خراش الهذلي (٢)، وأياس بن البكير الليثي (٣)، وعاتكة بنت

(١) قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله تبكي الوليد بن الوليد بن المغيرة:
يا عين فابكي الوليد* بن الوليد بن المغيرة
قد كان غيثا في السنين* ورحمة فينا وميرة
ضحخ الدسيعة ماجدا* يسمو إلى طلب الوتيرة
مثل الوليد بن الوليد* أبي الوليد كفى العشيرة
أنظر: الاستيعاب ٣: ٦٣٠.

(٢) هو خويلد بن مرة أبو خراش الهذلي، كان في الجاهلية من فتاك العرب ثم أسلم، وكان يعدو على قدميه فيسبق الخيل، قال وهو يرثي أخاه أو ابن عمه زهيراً الذي قتله جميل بن معمر الجمحي أسيراً يوم حنين، وقيل: قاله في أخيه عروة بن مرة:
فجع أضيافي جميل بن معمر* بذئ مفخر تأوي إليه الأرامل
طويل نجاد السيف ليس بحيدر* إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل
إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا* ومهتلك بالي الدريسين عائل
تكاد يدها تسلمان رداءه* من الجود لما استقبلته الشمائل
فأقسم لو لاقيته غير موثق* لآبك بالجرع الضياع النواهل
وأنتك لو واجهته ولقيته* فنازلته و كنت ممن ينازل
لكنت جميل أسوأ الناس صرعة* ولكن أقران الظهور مقاتل
فليس كعهد الدار يا أم مالك* ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل* سوى الحق شيئاً فاستراح العواذل
انظر: الاستيعاب ٤: ١٨٤.

(٣) قال أياس بن البكير يرثي زيد بن الخطاب:
ألا يا ليت أمني لم تلدني* ولم أك في الغزاة لدى البقيع
ولم أر مصرع ابن الخير زيد* وهدته هنالك من صريع
هو الرزء الذي عظمت وجلت* مصيبته على الحي الجميع
أنظر: الإستهيعاب ١: ١٠٢.

زيد بن عمرو بن نفيل (١)، وغيرهم (٢).
ولاحظ من الإصابة أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب (٣)، وأبي

(١) وهي التي تزوجت بعدة أزواج فقتلوا، فقتل عنها: من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة؟
قالت وهي ترثي زوجها عبد الله بن أبي بكر المقتول في وقعة الطائف:
رزئت بخير الناس بعد نبيهم * وبعد أبي بكر وما كان قصرا
فأليت لا تنفك عيني حزينه * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فله عينا من رأى مثله فتى * أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها * إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرأ
أنظر: الإستيعاب ٤ : ٣٦٥.

(٢) كمرثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية، ورتاء متمم بن نويرة وغيره أخاه مالكا الذي
قتله خالد بن الوليد، والمرثي التي قيلت في الإمام الحسين عليه السلام من يوم شهادته
عليه السلام إلى اليوم.

(٣) الإصابة ١ : ٢٣٧.
قال حسان بن ثابت الأنصاري يرثي جعفر بن أبي طالب وأصحاب مؤتة:
فلا يبعثن الله قتلى تتابعوا * بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وأمرا حازما حين يأمر
فما زال في الإسلام من آل هاشم * دعائم عز لا تزول ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق * عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر
أنظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٣٨٤ - ٣٨٥.

زيد الطائي (١)، وأبي سنان بن حريث المخزومي (٢)، والأشهب بن رميلة الدارمي (٣)، وزينب بنت العوام (٤)، وعبد الله بن عبد المدان الحارثي (٥)، وجماعة

(١) في الأصل: أبو زيد الطائي، وهو تصحيف، وما أثبتناه هو الصحيح. وهو حرمة بن منذر، ويقال: المنذر بن حرمة بن معد بن يكر بن حنظلة الطائي، قال يرثي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لما مات: إن الكرام علي ما كان من خلق * رهط امرئ جامع للدين مختار حب بصير بأصناف الرجال ولم * يعدل بخير رسول الله أخيار أنظر: الإصابة ترجمة رقم " ٩٩٧١ " .

(٢) قال أبو سنان بن حريث المخزومي وهو يرثي شماس بن عثمان وهو زوج ابنته: أقني حيائك في ستر وفي خفر * فإنما كان عثمان من الناس لا تقتلي النفس إذ حانت منيته * في طاعة الله يوم الروع والباس قد كان حمزة ليث الله فاصطبري * قد ذاق ما ذاق عثمان بن شماس أنظر: الإصابة ٢: ٩٧ .

(٣) قال الأشهب بن رميلة الدارمي يرثي أخاه رباب بن رميلة: أعيني قلت عبرة من أحيكما * بأن تسهرا الليل التمام وتجزعا وباكية تبكي ربابا وقائل * جزى الله خيرا ما أعف وأمنعا فلو كان قلبي من حديد أذابه * ولو كان من صم الصفا لتصدعا أنظر: الإصابة ١: ٤٩٤ .

(٤) هي زينب بن العوام بن خويلد بن أسد القرشية الأسدية، أخت الزبير بن العوام، شاعرة صحابية، أسلمت قديما وبقيت وعاشت إلى أن قتل ابنها عبد الله بن حكيم يوم الجمل، فرثته وذكرت حاله. أنظر: الإصابة ترجمة رقم " ١١٢٤٩ "، أعلام النساء: ١٠١ .

(٥) قال ابن حجر في الإصابة (٣: ١٥٦): كان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب صاهر عبد الله بن عبد المدان - وهو من الصحابة - على ابنته، فلما أمره علي عليه السلام على اليمن، وسار بسر بن أرطاة إليها من قبل معاوية خرج عنها عبيد الله واستخلف عليها صهره هذا، فقتله بسر وابنه مالكا وولدي عبيد الله ابني أخت مالك، فقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يرثي عبد الله بن المدان وابنه مالكا وكان صديقين له:

ولولا أن تعنفني قريش * بكيت علي بني عبد المدان
فإنهم أشد الناس فجعا * وكلهم لبيت المجد باني
لهم أبوان قد علمت يمان * علي آبائهم متقدمان

آخرين لا تحضرني أسماؤهم، ودونك كتاب الدرّة في التعازي والمراثي، وهو في أول الجزء الثاني من العقد الفريد (١) تجد فيه مرثي الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً، وليس شيء مما أشرنا إليه إلا وقد اشتمل على ما يهيج الحزن ويحدد اللوعة بمدح الميت وذكر محاسنه.

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله تنافست فضلاء الصحابة في رثائه، فرثته سيدة نساء العالمين عليها السلام بأبيات تهيج الأحران، ذكر القسطلاني في إرشاد الساري (٢) بيتين منها وهما قولها عليها السلام: ماذا على من شم تربة أحمد* أن لا يشم مدى الزمان غواليا (٣) صبت علي مصائب لو أنها* صبت على الأيام صرن لياليا ورثته أيضا بأبيات تثير لواعج الأشجان ذكر ابن عبد ربه المالكي بيتين منها في العقد الفريد وهما:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها* وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا* لما نعت وحالت دونك الكتب (٤)

(١) العقد الفريد ٢: ٢٧.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٣٦٣ و ٣٩٠.

(٣) الغوالي: جمع غالية، وهي الطيب.

(٤) العقد الفريد ٣: ١٩٤.

وقال ابن الأثير في النهاية (٣: ١٥٦): إن فاطمة قالت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله:

قد كان بعدك أنباء وهنيئة* لو كان شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها* فاختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وقالت أيضا ترثيه صلى الله عليه وآله كما أورده أحمد بن زيني دحلان في سيرته (٣):
(٣٩٢):

إغبر آفاق السماء وكورت* شمس النهار واطلم العصران

والأرض من بعد النبي كئيبة* أسفا عليه كثيرة الرجفان

فلييكه شرق البلاد وغربها* ولييكه مضر وكل يمان

ورثته عمته صفية بنت عبد المطلب (١) بقصيدة يائية، ذكر ابن عبد البر في
أحوال النبي صلى الله عليه وآله من استيعابه جملة منها. (٢)
ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (٣) بقصيدة لامية ذكر بعضها

(١) أنظر ترجمتها في: أسد الغابة ٧: ١٧٣، الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٠.

(٢) قالت صفية ترثي رسول الله صلى الله عليه وآله:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
و كنت رحيمًا هاديا ومعلما * لييك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكن لما أحشى من الهرج آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أمسى بيثرب ثويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا * ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأخلدت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا يتمته وتركته * ييكي ويدعو جده اليوم نائيا
أنظر: الاستيعاب - بهامش الإصابة - ٤: ٣١٢.

(٣) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، فيقال إنه ما رفع
رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حياء منه بعد الذي وقف من رسول الله قبل إسلامه،
وشهد أبو سفيان حيننا وأبلى فيها بلاء حسنا، وكان ممن ثبت ولم يفر يومئذ.
أنظر ترجمته في الاستيعاب ٤: ٨٤ - ٨٥، الإصابة ٤: ٩٠.

صاحباً الاستيعاب والإصابة في ترجمة أبي سفيان المذكور. (١)
ورثاه أبو ذؤيب الهذلي (٢) - كما يعلم من ترجمته في الاستيعاب
والإصابة - بقصيدة حائية. (٣)
ورثاه أبو الهيثم (٤) بن التيهان بقصيدة دالية أشار إليها ابن حجر في ترجمة

(١) قال أبو سفيان بن الحارث يرثي رسول الله صلى الله عليه وآله:
أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
فأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل: قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً * علينا والرسول لنا دليل
أفأطم إن جزعت فذاك عذر * وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول
أنظر: الاستيعاب ٤ : ١٣٤.

(٢) أنظر ترجمته في الاستيعاب ٤ : ٩٧.

(٣) قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي رسول الله صلى الله عليه وآله:
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها * وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجمال يثرب كلها * ونخيلها لحللول خطب مفدح
أنظر: الاستيعاب ٤ : ٩٨.

(٤) هو مالك بن التيهان أبو الهيثم الأنصاري: من السابقين، وكان أحد الستة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأول ما لقيه الأنصار، وأول من بايعه ليلة العقبة، شهد صفين واستشهد فيها. وقيل: هو عبيد بن التيهان، وقيل: عتيك بن التيهان الأنصاري، شهد بدر واحد، وقيل: قتل في أحد قتله عكرمة بن أبي جهل، وقيل: بل قتل بصفين مع علي عليه السلام. أنظر: أسد الغابة ٥ : ١٤ - ١٦، الإصابة ٣ : ٣٤١ و ٥٣٤ و ٥٧٤.

أبي الهيثم من إصابته. (١)
ورثته أم رعدة القشيرية (٢) في قصيدة أشار إليها العسقلاني في ترجمة أم
رعدة من إصابته. (٣)
ورثاه عامر بن الطفيل بن الحرث الأزدي (٤) لقصيدة جيمية أشار إليها ابن
حجر في ترجمة عامر من الإصابة. (٥)
ومن استوعب الاستيعاب، وتصفح الإصابة، وأسد الغابة، ومارس كتب
الأخبار، يجد مرآتهم المشتملة على تهيج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً
يتجاوز حد الإحصاء (٦).

(١) قال أبو الهيثم بن التيهان يرثي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:
لقد جدعت آذاننا وأنوفنا * غداة فجعنا بالنبى محمد
أنظر الإصابة ٤: ١٨٦.

(٢) أنظر ترجمتها في الإصابة ٤: ٢٧٥.

(٣) قالت أم رعدة القشيرية يرثي رسول الله صلى الله عليه وآله:
يا دار فاطمة المعمور ساحتها * هيجت لي حزنا حيت من دار
أنظر: الإصابة ٤: ٢٧٦.

(٤) أنظر ترجمته في الإصابة ٣: ٥٣.

(٥) قال عامر بن الطفيل يرثي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:
بكت الأرض والسماء على * النور الذي كان للعباد سراجا
من هدينا به إلى سبل الحق * وكنا لا نعرف المنهاجا
أنظر: الإصابة ٣: ٥٤.

(٦) للاطلاع أكثر يمكن مراجعة الكتاب القيم (إقناع اللائم على إقامة المآتم) والذي ألفه الإمام
محسن الأمين العاملي (قدس سره) ففيه المزيد من هذه الأخبار، وهو من تحقيقنا ونشر مؤسسة المعارف
الإسلامية في قم.

وقد أكثرت الخنساء (١) وهي صحابية من رثاء أخويها صخر ومعاوية -
وهما كافران -، وأبدعت في مدائح صخر، وأهاجت عليه لواعج الحزن فما أنكر
عليها منكر. (٢)

وأكثر أيضا متمم بن نويرة من تهيج الحزن على أخيه مالك في مراثيه
السائرة حتى وقف مرة في المسجد هو غاص بالصحابة أمام أبي بكر بعد صلاة
الصبح، واتكأ على سية قوسه فأنشد:
نعم القتيل - إذا الرياح تناوحت (٣) * خلف البيوت - قتلت يا ابن الأزور (٤)

(١) أنظر ترجمتها في: الإصابة ٤: ٢٨٦.

(٢) قال أبو عمر: قدمت (الخنساء) على النبي صلى الله عليه وآله مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم،
فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستنشدنا ويعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول: هيه
يا خناس، ويومئ بيده.

ومن قولها في صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجري الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا؟

طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

وقالت كذلك:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني * فقد أضحكنتي دهرا طويلا

ذكرتك في نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الحليل وأنت حي * فمن ذا يدفع الخطب الحليلا

إذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

أنظر: الإصابة ٤: ٢٨٦.

(٣) تناوحت: تقابلت.

(٤) هو: ضرار بن الأزور الأسدي، من بني كرز، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد. انظر:

الأغاني ١٤: ٦٦ - ٧٣.

ثم أوماً إلى أبي بكر - كما في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات من
وفيات ابن خلكان - فقال مخاطباً له:
أدعوتك بالله ثم غدرتك (١) * لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال أبو بكر: والله ما دعوتك، ولا غدرتك. ثم قال:
ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً * ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك (٢) الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر
وبكى حتى انحط عن سية قوسه، قالوا: فما زال يبكي حتى دمعت عينه
العوراء، فما أنكر عليه في بكائه ولا رثائه منكر، بل قال له عمر - كما في ترجمة
وثيمة من الوفيات - : لوددت أنك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا
أخاك، فرثي متمم بعدها زيد بن الخطاب فما أجاد، فقال له عمر: لم لم ترث
زيدا كما رثيت مالكا؟
فقال: إنه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد (٣).
واستحسن الصحابة ومن تأخر عنهم مراثته في مالك، وكانوا يتمثلون بها
كما اتفق ذلك من عائشة، إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن - كما في ترجمته
من الاستيعاب (٤) - فبكت عليه وتمثلت:
وكنا كندماني جذيمة حقة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(١) في المصادر: قتلته.
(٢) في العقد الفريد: لا يمسك.
(٣) وانظر: الكامل للمبرد ٣: ١٦٢.
(٤) الاستيعاب ٢: ٤٩٧.

فلما تفرقنا كأني ومالكا* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا (١)
وما زال الرثاء فاشيا بين المسلمين وغيرهم في كل عصر ومصر لا
يتناكرونه مطلقا.

(١) تعتبر هذه القصيدة من أشهر قصائد متمم التي يرثي بها أخاه مالكا، وتسمى أم المراثي. انظر العقد
الفريد ٣: ٢٢٠.

المطلب الثالث
في تلاوة الأحاديث المشتملة على
مناقب الميت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف وفعلة عائشة، إذ وقفت على قبر أبيها باكية، فقالت: كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وكنت للآخرة معزا بإقبالك عليها، وكان أجل الحوادث بعد رسول الله رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك. (١) وفعله محمد بن الحنفية (٢)، إذ وقف على قبر أخيه المجتبي عليه السلام فخنقته العبرة - كما في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد - ثم نطق فقال: يرحمك الله أبا محمد، فلئن عزت حياتك فقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا تكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غدتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، فطبت حيا وطبت ميتا، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيار لك (٣).
ثم بكى بكاء شديدا وبكى الحاضرون حتى [علا] نشيجهم.

(١) العقد الفريد ٢: ٣٧.

(٢) أبو القاسم محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب، والحنفية لقب أمه خولة بنت جعفر، كان كثير العلم والورع، شديد القوة، توفي سنة ٨٠ هـ، وقيل: ٨١ هـ. انظر: تنقيح المقال ٣: ١١٥، وفيات الأعيان ٥: ٩١.

(٣) العقد الفريد ٢: ٧٨.

ووقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خباب بن الأرت (١) في ظهر الكوفة (٢)، وهو أول من دفن هناك - كما نص عليه ابن الأثير في آخر تنمة صفين - فقال عليه السلام:

رحم الله خبابا، قد أسلم راغبا، وهاجر طائعا، وعاش مجاهدا، وابتلي في جسمه أحوالا، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا. (٣)
ولما توفي أمير المؤمنين قام الخلف من بعد أبو محمد الحسن الزكي عليهما السلام خطيبا فقال - كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهما - فقال:

لقد قتلت الليلة رجلا والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليعثه في السرية، وجبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، [والله] ما ترك صفراء ولا بيضاء... إلخ. (٤)
ووقف الإمام زين العابدين على قبر جده أمير المؤمنين عليهما السلام فقال:

(١) خباب بن الأرت - بتشديد المثناة - بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم التميمي، ويقال: الخزاعي.

روى الباوردي أنه أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذابا شديدا لأجل ذلك، شهد بدر وما بعدها، ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين. انظر: الإصابة ١: ٤١٦ ترجمة رقم " ٢٢١٥ "، أسد الغابة ٢: ١١٤ - ١١٧.

(٢) الكوفة - بالضم -: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، قيل: سميت الكوفة لاستدارتها. معجم البلدان ٤: ٢٢٢.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢١٥، وقعة صفين: ٢٨٣، العقد الفريد ٢: ٦٦.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٥: ١٥٧، الكامل في التاريخ.

أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، وعملت بكتابه، واتبعت سنن نبيه صلى الله عليه وآله، حتى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره، لك كريم ثوابه، وألزم أعدائك الحججة [في قتلهم إياك] مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه. (١)

وعن أنس بن مالك - كما في العقد الفريد وغيره - قال: لما فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أقبلت علي فاطمة فقالت: يا أنس، كيف طبأت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟ ثم] بكت ونادت: يا أبتاه أجب ربا دعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبريل نعاها، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه. (٢)

ولو أردنا أن نستوفي ما كان من هذا القبيل لخرجنا عن الغرض المقصود، وحاصله أن تأيين الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر مناقبهم، وذكر مصائبهم، مما حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنية، واقتضته أصول الترقى في المعارف، إذ به تحفظ الآثار النافعة وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة، والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ وعلم الرجال، بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنة لاشتمالهما على جملة من مناقب الأنبياء ومصائبهم، ومن يرضى لنفسه هذا الحمق، أو يختار لها هذا العمى، نعوذ بالله من سفه الجاهلين.

(١) العقد الفريد ٢: ٧١.

(٢) العقد الفريد ٣: ٢٣، وانظر مسند أحمد ٣: ١٩٧.

المطلب الرابع

في الجلوس حزنا على الموتى
من أهل الحفائظ والأأيادي المشكورة

وحسبك في رجحان ذلك ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من
الحزن الشديد على عمه أبي طالب وزوجته الصديقة الكبرى أم المؤمنين عليهما
السلام، وقد ماتا في عام واحد فسمي " عام الحزن " وهذا معلوم بالضرورة من
أخبار الماضين.

وأخرج البخاري - في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن من
الجزء الأول من صحيحه - بالإسناد عن عائشة قالت: لما جاء النبي صلى الله
عليه وسلم قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس - أي في المسجد كما في
رواية أبي داود (١) - يعرف فيه الحزن.

وأخرج البخاري في الباب المذكور أيضا عن أنس قال: قنت (٢) رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهرا حين قتل القراء (٣) فما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حزن حزنا قط أشد منه. (٤) الحديث.

(١) إرشاد الساري ٢: ٣٩٣.

(٢) القنوت: الإمساك عن الكلام، وقيل: الدعاء في الصلاة، لسان العرب ٢: ٧٣.

(٣) والقراء: هم الذين كانوا يتعلمون القرآن في صفة المسجد أرسلهم النبي صلى الله عليه
وسلم إلى أهل نجد فقتلوا في الطريق.

(٤) إرشاد الساري ٢: ٣٩٦.

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى.
والقول بأنه إنما يحسن ترتيب آثار الحزن إذا لم يتقدم العهد بالمصيبة
مدفوع بأن من الفجائع ما لا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها، فقرب العهد بها وبعده
عنها سواء.

نعم، يتم قول هؤلاء اللائمين إذا تلاشى الحزن بمرور الأزمنة ولم يكن
دليل ولا مصلحة يوجبان التعبد بترتيب آثاره، وما أحسن قول القائل في هذا
المقام:

خلي أميمة عن ملامك * ما المعزي كالثكول

ما لراقد الوسنان مثل * معذب القلب العليل

سهران من ألم وهذا * نائم الليل الطويل

ذوقني أميمة ما أذوق * وبعده ما شئت قولي

على أن في ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله من
تلك الفجائع، وحل بساحته من هاتيك القوارع حكما توجب التعبد بترتيب آثار
الحزن بسببها على كل حال، والأدلة على ترتيب تلك الآثار في جميع الأعصار
متوفرة وستسمع اليسير منها إن شاء الله تعالى.

وقد علمت سيرة أهل المدينة الطيبة (١) واستمرارها على ندب حمزة وبكائه
مع بعد العهد بمصيبته فلم ينكر عليهم في ذلك أحد حتى بلغني أنهم لا يزالون إلى

(١) مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي يثرب، مساحتها نصف مكة، وهي في حرة
سبخة الأرض، ولها نخيل كثيرة ومياه، والمسجد في نحو وسطها، وقبر النبي في شرقي
المسجد وللمدينة أسماء كثيرة، منها: طيبة ويثرب والمباركة. انظر: معجم البلدان ٥: ٨٢.

الآن إذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلا مواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله بمصيبته في عمه، وأداء لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهي قوله: " لكن حمزة لا بواكي له ".

وكان الأولى لهم ولسائر المسلمين مواساته في الحزن على أهل بيته والافتداء به في البكاء عليهم، وقد لام بعض أهل البيت عليهم السلام من لم يواسيهم في ذلك، فقال: يا لله لقلب لا ينصدع لتذكار تلك الأمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الإسلام والإيمان في إضاعة أقسام الأحرار، ألم يعلموا أن محمداً صلى الله عليه وآله موتور وجيع، وحبيبه مقهور صريع. قال وقد أصبح لحمه صلوات الله عليه مجرداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيف أهل الضلال: فيا ليت لفاطمة وأبيها عينا تنظر إلى بناتها وبنيتها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح... إلى آخر كلامه.

ومن وقف على كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن، لا يتوقف في ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكننا منينا بقوم لا ينصفون، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

المطلب الخامس

في الإنفاق عن الميت في وجوه البر والإحسان
ويكفي في استحبابه عموم ما دل على استحباب المبرات والخيرات على
أن فعل النبي صلى الله عليه وآله وقوله، دالان على الاستحباب في خصوص
المقام، وحسبك من فعله، ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (١) بطرق
متعددة عن عائشة: ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وآله ما غرت
على خديجة (٢) وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وآله يذكرها،
وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له:
كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة، فيقول: إنما كانت وكان لي منها ولد. (٣)

(١) البخاري باب تزويج النبي خديجة، مسلم: باب فضائل خديجة.

(٢) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش، زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة، ولدت بمكة، كانت ذا مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله الخامسة والعشرين من عمره خرج في تجارة لها فعاد رابحاً، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل النبوة، دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام، فكانت أول نساء هذه الأمة إسلاماً، وكانت تصلي مع النبي صلى الله عليه وآله سرا، توفيت خديجة بمكة لثلاث سنين قبل الهجرة. أنظر: الطبقات الكبرى ٨: ٧ - ١١، صفة الصفوة ٢: ٢، تاريخ الخميس ١: ٣٠١، الأعلام ٢: ٣٠٢.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٢٣١ باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله خديجة، و ج ٦: ١٥٧ باب الغيرة.

قلت: وهذا يدل على استحباب صلة أصدقاء الميت، وأوليائه في الله عز وجل بالخصوص.

ويكفيك من قوله صلى الله عليه وآله، ما أخرجه مسلم في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من كتاب الزكاة، في الجزء الأول من صحيحه بطرق متعددة، عن عائشة: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أُمِّي افتلتت (١) نفسها ولم توص، [وأظنها لو تكلمت تصدقت]، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟

قال: نعم. (٢)

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عباس في ص ٣٣٣ من الجزء الأول من مسنده، من أن سعد بن عبادة قال: إن ابن بكر أخا بني ساعدة توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أُمِّي توفيت، وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟

قال: نعم.

قال: فإني أشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها (٣).
والأخبار في ذلك متضاربة، ولا سيما من طريق العترة الطاهرة. (٤)

(١) افتلتت - بالفاء -، ونفسها - بالضم - نائب فاعل، أو - بالنصب - مفعول به، أي: ماتت فجأة.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم - بهامش إرشاد الساري - ٤: ٣٧٧.

(٣) مسند أحمد ١: ٣٣.

(٤) قال (رحمه الله): وربما كان المنكر عليه فيما تفعله من المبرات عن الحسين عليه السلام، لا يقنع بأقوال النبي صلى الله عليه وآله ولا بأفعاله، وإنما تقنعه أفعال سلفه وأفعالهم وحينئذ نحتج عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، إذ مات لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزورا، فنحرت عنه، كما نص عليه ابن عبد البر، في ترجمة لبيد من الاستيعاب.

فصل

كل من وقف على ما سلف من هذه المقدمة، يعلم أنه لا وجه للإنكار علينا في مآتمنا المختصة بسيد الشهداء عليه السلام، ضرورة أنه لا تشتمل إلا في تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافة المؤمنين وما أدري، كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواساة النبي صلى الله عليه وآله وأسست على الحزن لحزنه؟ أيكي بأبي هو وأمي قبل الفاجعة، ونحن لا نبكي بعدها؟ ما هذا شأن المتأسي بنيه، والمقتص لأثره، إن هذا إلا خروج عن قواعد المتأسين، بل عدول عن سنن النبيين.

ألم يرو الإمام أحمد بن حنبل من حديث علي عليه السلام، في ص ٨٥ من الجزء الأول من مسنده بالإسناد إلى عبد الله بن نجا، عن أبيه أنه سار مع علي عليه السلام، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى: صبرا أبا عبد الله، صبرا أبا عبد الله بشط الفرات.

قال: قلت: وما ذاك؟

قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟

قال: قام من عندي جبرئيل قبل، فحدثني إن الحسين يقتل بشط الفرات.
قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟
قال: قلت: نعم، فمد يده، فقبض قبضة من تراب، فأعطانيها، فلم أملك
عيني إن فاضتا (١).

وأخرج ابن سعد، كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من
الصواعق المحرقة لابن حجر، عن الشعبي قال: مر علي رضي الله عنه بكربلاء (٢)
عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل:
كربلاء، فبكى حتى بل الأرض من دموعه.

ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقلت: ما
يبكيك (بأبي أنت وأمي)؟

قال: كان عندي جبرئيل آنفا، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ
الفرات، بموضع يقال له: كربلاء... (٣). الحديث.

وأخرج الملاء (كما في الصواعق أيضا) أن عليا مر بموضع قبر الحسين عليه
السلام فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق
دمائهم، فتية من آل محمد، يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء

(١) مسند أحمد ٤: ٢٤٢.

(٢) كربلاء - بالمد -: الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام في طرف البرية عند الكوفة.

روي: أنه عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغازية بستين

ألف درهم، وتصدق بها عليهم، وشرط عليهم أن يرشدوا إلى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة

أيام. أنظر: معجم البلدان ٤: ٢٤٩، مجمع البحرين ٥: ٦٤١ - ٦٤٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٩٣.

والأرض (١). انتهى.
ومن حديث أم سلمة (٢) قالت: كان عندي النبي صلى الله عليه وآله ومعني الحسين، فدنا من النبي صلى الله عليه وآله فأخذته، فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرئيل: أتعبه يا محمد؟! قال: نعم.

قال: أما إن أمتك، ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، [فبسط جناحيه، فأراه منها،] فبكى النبي صلى الله عليه وسلم (٣).
وروى الماوردي الشافعي، في باب إنذار النبي صلى الله عليه وآله بما سيحدث بعده، من كتابه (أعلام النبوة) عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن علي على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه، فقال

- (١) قال (رحمه الله): وهذا الحديث رواه أصحابنا، بكيفية مشجية، عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة، وعن ابن عباس، وإن أردت الوقوف عليه، فدونك ص ١٠٨ وما بعدها إلى ص ١١٢ من الخصائص الحسينية.
- (٢) قال (رحمه الله): كما نص عليه ابن عبد ربه المالكي، حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد.
- (٣) العقد الفريد ٥: ١٣٢.
- وللاطلاع أكثر على روايات أم سلمة في هذا الموضوع انظر: مجمع الزوائد ٩: ١٩٠،
الخصائص الكبرى ٢: ١٢٤، الصراط السوي للشيخاني المدني: ٩١، جوهرة الكلام:
١١٨، ذخائر العقبى: ١٤٧، طرح التثريب للحافظ العراقي ١: ٤٢، المواهب اللدنية ٢:
١٩٥، نظم الدرر: ٢١٥. مسند أحمد ٣: ٢٤٢ و ٢٦٥، دلائل النبوة لأبي نعيم ٣: ٢٠٢،
مختصر التذكرة للقرطبي: ١١٩، الصواعق المحرقة: ١١٥، ضوء الشمس ١: ٩٧، كنز
العمال ٦: ٢٢١، جوهرة الكلام: ١١٧، شرح بهجة المحافل لعماد الدين العامري ٢: ٢٣٦،
مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٦٢.

جبرئيل: إن أمتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاه بتربة
بيضاء، وقال في هذه يقتل ابنك اسمها الطف، قال: فلما ذهب جبرئيل، خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم: أبو بكر، وعمر،
وعلي، وحذيفة (١)، وعثمان (٢)، وأبو ذر، وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا
رسول الله!؟

فقال: أخبرني جبرئيل: إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف،
وجاءني بهذه التربة، فأخبرني إن فيها مضجعه. (٣)

(١) حذيفة بن اليمان، من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، وكان من المنقطعين إلى أمير
المؤمنين عليه السلام والعارفين بحقه.

روى الحاكم في المستدرک (٣: ٤٢٨ ح ٥٦٢٦)... قال: لما حضر حذيفة الموت وكان قد
عاش بعد عثمان أربعين ليلة قال لنا: أوصيكم بتقوى الله والطاعة لأمر المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام.

(٢) في المصدر: وعمار.

(٣) أعلام النبوة: ٨٣، وانظر: كامل الزيارات: ٦١، أمالي الطوسي ١: ٣٢١ - ٣٢٤، المنتخب
للطريحي: ٦٣ و ٨٨، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام الحسين -: ١٦٧ و
١٨٣، تاريخ أبي الفداء

٢: ٤٨، أخبار النحويين للسيرافي: ٨٩ - ٩٣، الكامل لابن الأثير

٥: ٣٦٤، تاريخ ابن كثير ١١: ٢٩ - ٣٠، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢: ١٦٤.

أقول: ولا بد أن يكون الصحابة لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي لقتل ولده
وتربته بيده، وأخبرهم بما أخبره به جبرئيل من قتله، وأراهم تربته التي جاء بها جبرئيل،
أخذتهم الرقة الشديدة، فبكوا لبكائه، وواسوه في الحزن على ولده، فإن ذلك مما يبعث
على أشد الحزن والبكاء لو كانت هذه الواقعة مع غير النبي صلى الله عليه وآله والصحابة
فكيف بهم معه؟! والظاهر أن هذا أول ما تم أقيم على الحسين عليه السلام يشبه ما تمنا التي
تقام عليه، وكان الذاكر فيه للمصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمستمعون أصحابه.

أخرج الترمذي (١) - كما في الصواعق وغيرها - : إن أم سلمة رأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فيما يراه النائم) باكياً، وبرأسه ولحيته التراب فسألته، فقال: قتل الحسين آنفاً.

قال في الصواعق: وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار، أشعث أغبر، بيده قارورة، فيها دم يلتقطه فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتبعه منذ اليوم.

قال: فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم. (٢)
وأما صحاحنا فإنها متواترة في بكائه صلى الله عليه وآله، على الحسين عليه السلام في مقامات عديدة، يوم ولادته وقبلها (٣)، ويوم السابع من مولده (٤)، وبعده في بيت فاطمة (٥)، وفي حجرته (٦)، وعلى منبره (٧)، وفي بعض أسفاره (٨)، تارة يبكيه وحده يقبله في نحره، ويبكي، ويقبله في شفتيه

-
- (١) سنن الترمذي ١٣ : ١٩٣ .
(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٣ .
(٣) أنظر: ذخائر العقبى: ١١٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ٨٧، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٥٤، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢ : ١٢٥ .
(٤) أنظر: المستدرک الصحيح ٣ : ١٧٦، دلائل النبوة ١ : ٢١٣، الصواعق المحرقة: ١١٥، الخصائص الكبرى ٢ : ١٢٥، الفصول المهمة ١٥٤، كنز العمال ٦ : ٢٢٣ .
(٥) أنظر: مقتل الخوارزمي ١ : ١٦٣، ذخائر العقبى ١٤٩، الصراط السوي للشيخاني المدني: ٩٣ .
(٦) أنظر: مجمع الزوائد ٩ : ١٩٠، الخصائص الكبرى ٢ : ١٢٤، الصراط السوي للشيخاني المدني: ٩١، جوهرة الكلام: ١١٨ .
(٧) أنظر: مسند أحمد ٣ : ٢٤٢ و ٢٦٥، دلائل النبوة لأبي نعيم ٣ : ٢٠٢، طرح التثريب ١ : ٤١، مجمع الزوائد ٩ : ١٨٧ و ١٩٠ .
(٨) أنظر: مختصر التذكرة للقرطبي: ١١٩، الصواعق المحرقة: ١١٥، نظم الدرر: ٢١٧، ضوء الشمس ١ : ٩٧، المواهب للحافظ القسطلاني ٢ : ١٩٥، الخصائص الكبرى ٢ : ١٢٥، كنز العمال ٦ : ٢٢١، جوهرة الكلام: ١١٧، شرح بهجة المحافل لعماد الدين العامري ٢ : ٢٣٦، مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١٦٢ .

ويكي، وإذا رآه فرحاً يكي، وإذا رآه حزناً يكي، بل صح أنه قد بكاه آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وزكريا، ويحيى، والخضر، وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كله موكول إلى مظانه من كتب الحديث.

وأما أئمة العترة الطاهرة الذين هم كسفينة نوح (١)، وباب حطة (٢)، وأمان أهل الأرض (٣)، وأحد الثقلين (٤) اللذين لا يضل من تمسك بهما، ولا يهتدي

- (١) مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، الصواعق المحرقة: ١٥٢، تلخيص المستدرك للذهبي: ٢٣٥، ينابيع المودة: ٣٠، الصواعق المحرقة: ١٨٤ و ٢٣٤، إسعاف الراغبين: ١٠٩، فرائد السمطين ٢: ٢٤٦ ح ٥١٩، كفاية الطالب: ٣٧٨، المعجم الصغير ٢: ٢٢، حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، ذخائر العقبى: ٢٠.
- (٢) صحيح مسلم ٢: ٢٦١، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، الصواعق المحرقة: ١٥٢، نظم الدرر: ٢٣٢، ذخائر العقبى: ١٧، الإصابة ٢: ١٥٢.
- (٣) الصواعق المحرقة: ٩١، منتخب كنز العمال - بهامش مسند أحمد - ٥: ٩٣، ينابيع المودة: ٢٩٨، جواهر البحار ١: ٣٦١، ذخائر العقبى: ١٧، نظم الدرر: ١١٢، الجامع الصغير ٢: ١٦١، الفتح الكبير ٣: ٢٦٧، إسعاف الراغبين: ١٢٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٤٥١.
- (٤) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة وقد أخرجه علماء السنة في كتبهم من الصحاح والسنن منها: مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٤ و ١٧ و ج ٤: ٢٦ و ٥٩ و ج ٥: ١٨٢ و ١٨٩، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ ح ٣٧، سنن الترمذي ٢: ٣٠٧، خصائص النسائي: ٣٠، ينابيع المودة: ب ٤ ص ٣٠، فرائد السمطين ٢: ١٤٢ ح ٤٣٦ - ٤٤١، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٩ و ٢٢٨، مصابيح السنة ٢: ٢٧٨، نظم الدرر: ٢٣١، تفسير الخازن ١: ٤٠، تفسير ابن كثير ٤: ١١٣، مشكاة المصابيح ٣: ٢٥٥، إسعاف الراغبين: ١٠٠، السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبية ٣: ٣٣٠، مناقب الإمام علي لابن المغازلي: ٢٣٦ ح ٢٨٤، الإتحاف بحب الأشراف: ٦، ذخائر العقبى: ١٦، كفاية الطالب: ٥٣، بحار الأنوار للمجلسي ٢٣: ١٠٨ ح ١١ و ١٢ و ص ١٣٤ ح ٧٢، و ص ١٤٧ ح ١٠٩.

إلى الله من صد عنهما فقد استمرت سيرتهم على الندب والعيول، وأمروا أوليائهم بإقامة ماتم الحزن، جيلا بعد جيل، فعن الصادق عليه السلام (فيما رواه ابن قولويه في الكامل، وابن شهرآشوب في المناقب وغيرهما) أن علي بن الحسين عليهما السلام، بكى على أبيه مدة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، ولا أتى بشراب إلا بكى، حتى قال له أحد مواليه: جعلت فداك، يا ابن رسول الله إنني أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: * (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) * (١) [إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة]. (٢)

وروى ابن قولويه، وابن شهرآشوب أيضا، وغيرهما أنه لما كثر بكاءه، قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضي؟

فقال له: ويحك، إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ولدا، فغيب الله واحدا منهم، فايضت عيناه من كثرة بكائه، واحدودب ظهره من الغم، وابنه حي في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟! (٣)

وعن الباقر عليه السلام قال: كان أبي (علي بن الحسين صلوات الله عليه) يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله [بها] في الجنة غرفا يسكنها أحقابا.

(١) سورة يوسف: ٨٦.

(٢) كامل الزيارات: ١٠٧ ح ١، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٠.

(٣) كامل الزيارات: ١٠٧ ح ١، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٢، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢٧.

وأیما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا، لأذى مسنا من عدونا
في الدنيا بواه الله في الجنة ميوأ صدق.

وأیما مؤمن مسه أذى فينا، فدمعت عيناه حتى تسيل على خده، صرف
الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار. (١)
وقال الرضا (وهو الثامن من أئمة أهل الهدى، صلوات الله وسلامه
عليهم):

إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه
دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسييت فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت فيه النار
في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا (٢)، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله
حرمة في أمرنا.

إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا [بأرض كرب
وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء،] فعلى مثل الحسين فليبك
الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام.

ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا،
وكانت الكآبة تغلب عليه [حتى تمضي عشرة أيام منه،] فإذا كان يوم العاشر كان
ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه، [ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين
عليه السلام]. (٣)

(١) تفسير القمي ٢: ٢٩١، كامل الزيارات: ١٠٠ ح ١، ثواب الأعمال: ١٠٨ ح ١.

(٢) الثقل: متاع السفر، وكل شئ نفيس مصون.

(٣) أمالي الصدوق: ١١١ ح ٢، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٣ ح ١٧.

وقال عليه السلام: من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب (١).

وعن الريان بن شبيب (فيما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون) قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا ابن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، إذ قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، [فلا غفر الله لهم ذلك أبدا].

يا ابن شبيب، إن كنت باكيا لشيء، فابك للحسين عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش (٢)، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا (٣) ما

(١) عيون الأخبار ١: ٢٢٩ ح ٤٨، أمالي الطوسي ١: ١١٧.
(٢) قال (رحمه الله): إن التعبير - كهذا - مما يدل على غاية همجية القوم وشقائهم وبعدهم عن العطف الإنساني، بالإضافة على قتلهم ريحانة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهتكهم حرمة في سبطه روجي فداه.

وقد أجمل الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام لما أدى عن الفاجعة وأهميتها بهذا الكلام القصير، وأشار به إلى معنى جسيم يدرکه الباحث المتعمق بعد التحليل والاختبار، ويندهش - المجموع البشري - لمثل هذه الرزية عندما علم أنه لم يوجد بين تلك الجموع المحتشدة في كربلاء من يردعهم عن موقفهم البغيض، ولا أقل من تسائل بعضهم، لماذا نقاتل الحسين، وبأي عمل استحق ذلك منا؟ أو هل كان دم الحسين عليه السلام مباحا إلى حد إباحة دم الكبش؟! ويذبح - بأبي هو وأمي - بلا ملامة لائم، ومن دون خشية محاسب!!

(٣) أقول: لقد كثر اختلاف المؤرخين وأرباب المقاتل في تحديد عدد شهداء الطف من أهل البيت عليهم السلام - كاختلافهم الكثير في تحديد شهداء الأصحاب أيضا - فبين مقل إلى حد الثلاثة عشر، كالمسعودي في مروجه (٣: ٧١)، وبين مكثر إلى حد الثلاثين كالأمين في أعيانه (٤: ١: ٢٥٠). وفي البحار (٤٥: ٦٣) رواية عبد الله بن سنان تؤيد ذلك، وبين هذين القولين من جانبي القلة والكثرة أقوال أخرى.

فالمشهور بين المؤرخين وأرباب المقاتل: أنهم (١٧ شهيدا) غير الحسين عليه السلام، كما ورد تعداد أسمائهم في زيارة الناحية المقدسة، وقد أوردها المجلسي بنصها عن الإقبال في بحاره (٤٥: ٦٥)، ويؤيده قول محمد بن الحنفية - من حديث له - " ولقد قتل مع الحسين سبعة عشر ممن ارتكضوا في رحم فاطمة " - ويعني: فاطمة بنت أسد أم علي وجعفر وعقيل، فإن شهداء الطف من أهل البيت ينتمون إلى هؤلاء الثلاثة أولادا أو أحفادا -، ذكر ذلك الطبراني في معجمه (١: ١٤٠)، والمقرئزي في خططه (٢: ٢٨٦)، وابن حجر في تهذيبه (١: ١٥٦).

وقال الدميري في حياة الحيوان (١: ٦٠) إنهم: (١٨ رجلا)، وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الحوزي (٢٥٥) إنهم: (١٩ رجلا)، ويضيف إليهم اثنين برواية المدائني فيكون المجموع

(٢١ قتيلا).

وفي تاريخ الطبري (٥ : ٣٨٢) إنهم: (٢١ رجلا)، وهذا القول يلتقي مع قول ابن الجوزي برواية المدائني، ويقترّب من قول أبي الفرج في مقاتله (٦٧) حيث يقول: " فجميع من قتل يوم الطف من ولد أبي طالب سوى من يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلا " .

ويكاد يتفق الخوارزمي في مقتله (٢ : ٤٧) وابن شهر آشوب في مناقبه (٤ : ١١٢) - وكلاهما من أبناء القرن السادس الهجري - في النسبة إلى الأكثر بأن مجموع القتلى من أهل البيت عليهم السلام لا يتجاوز السبعة والعشرين.

وأخيراً، فالذي يرجح عندنا - بعد أن استعرضنا الكثير من المصادر المعتبرة - هو القول الوسط - وهو النيف والعشرون، بل الاثنان والعشرون بالضبط - باستثناء الحسين عليه السلام - إذ القولان المتطرفان في القلة والكثرة لا يساعد عليهما الاعتبار وعامة النصوص التاريخية المعتبرة.

لهم في الأرض شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله - إلى
أن قال :-
يا ابن شبيب، إن شرك أن تكون معنا في الدرجات العلى [من الجنان]،

فاحزن لحزننا، وأفرح لفرحنا، وعليك بولايتنا... (١). الحديث.
وقال عليه السلام - فيما أخرجه الصدوق في أماليه -: من ترك السعي في
حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء
يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره،
وقرت بنا في الجنان عينه... (٢). الحديث.
وبكى صلوات الله عليه إذ أنشده دعبل بن علي الخزاعي (٣) قصيدته التائية
السائرة حتى أغمي عليه في أثنائها مرتين، كما نص عليه الفاضل العباسي في
ترجمة دعبل من معاهد التنصيص (٤) وغيره من أهل الأخبار.
وفي البحار، وغيره: إنه عليه السلام أمر قبل إنشادها بستر، فضرب دون
عقائله فجلسن خلفه يسمعن الرثاء، ويكيين على جدهن سيد الشهداء وأنه قال
يومئذ: يا دعبل من بكى، أو أبكى على مصابنا ولو واحدا كان أجره على الله.
يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا حشره الله معنا. (٥)

- (١) أمالي الصدوق: ١١٢ ح ٥، عيون الأخبار ١: ٢٣٣.
(٢) أمالي الصدوق: ١١٢ ح ٤، زينة المجالس: ٥٥٤، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤ ح ١٨.
(٣) دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من قبيلة خزاعة القحطانية
الأصل، ولد سنة ١٥٨ هـ، واستشهد سنة ٢٤٥ هـ في أيام المتوكل العباسي، كان من الشعراء المجيدين
والمتفانين في ولاء أهل البيت عليهم السلام، يقول الشعر كثيرا في مدائح أهل البيت عليهم السلام
وفي طعن أعدائهم على غرار التولي والتبري، وذكر له المؤرخون أسماء كثيرة، ولكنه اشتهر بلقب
(دعبل) بكسر الدال.
راجع ترجمته في الأغاني ١٥: ١٠٠ و ١٨: ٢٠، مجالس المؤمنين: ٤٥١.
(٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ٢: ١٩٠.
(٥) روى الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: دخل دعبل بن
علي الخزاعي رحمه الله على أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقال له: يا ابن
رسول الله أني قد قلت فيكم قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك.
فقال عليه السلام: هاتها، فأنشده:
مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما بلغ إلى قوله:
أرى فيأهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات
بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي.
فلما بلغ إلى قوله:
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم * أكفا عن الأوتار منقبضات
جعل أبو الحسن يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات.
فلما بلغ إلى قوله:
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها * وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
قال الرضا عليه السلام: أمنك الله يوم الفزع الأكبر.
فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن في الغرفات
قال له الرضا عليه السلام: أفلا الحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟
قال: بلى يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة * ألحت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما * يفرج عنا الهم والكربات
فقال دعبل: يا ابن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟
فقال الرضا عليه السلام: قبري... الحديث.

أنظر: عيون أخبار الرضا ٢: ٢٧١، مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٢٩، الحدائق الوردية ٢:
٢٠٦، كشف الغمة ٣: ١٠٨، مجالس المؤمنين ٤٥١، معجم الأدباء ١٢: ٢٠٣، ديوان دعبل
للدجيلي: ٨.

وحدث محمد بن سهل (كما في ترجمة الكميت، من معاهد التنصيص (١)

(١) معاهد التنصيص ٣: ٩٣.

قال: دخلت مع الكميت (١) على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في أيام التشريق (٢) فقال له: جعلت فداك، ألا أنشدك؟
قال عليه السلام: إنها أيام عظام!
قال: إنها فيكم.

قال عليه السلام: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله، فقرب فأنشده (في رثاء الحسين عليه السلام)، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت:
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم * فيا آخراً أسدى له الغي أول
قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم

(١) هو أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدي (٦٠ - ١٢٦) من شعراء أهل البيت عليهم السلام، قال عنه أبو الفرج في الأغاني: إنه شاعر مقدم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها وأسننها، وكان معروفاً بالتشيع لنبى هاشم. (الأغاني ١٥: ١٢٣).
(٢) أقول: وفي رواية أخرى أن الكميت رحمه الله دخل على الإمام الباقر عليه السلام في أيام محرم فأنشده قصيدته الميمية التي يقول في مطلعها:
من لقلب متيم مسهام * غير ما صبوة ولا أحلام
فلما بلغ قوله:

وقتيل بالطف غودر منهم * بين غوغاء أمة وطغام
وأبو الفضل إن ذكرهم * الحلو شفاء النفوس والأسقام
قتل الأدعياء إذ قتلوه * أكرم الشارين صوب الغمام
بكى أبو جعفر عليه السلام بكاء شديداً، ثم قال: يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذبيت عنا أهل البيت، ثم رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت. أنظر: الأغاني ١٥: ١٢٣، مقاتل الطالبين: ٨٤، مروج الذهب ٣: ٢٤٣، رجال الكشي: ١٣٦، إعلام الوری: ١٥٨.

وما أحر، وما أسر وما أعلن حتى يرضى. (١)

(١) قال (رحمه الله): بخ بخ، هنيئاً لمن نال من أئمة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنه عليه السلام لم يبتهل بالدعاء للكميت هذا الابتهال إلا لما دل عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال، وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار في قصيدته اللامية، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضي فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه * فعلوا على أساس تلك القواعد
إلى آخر ما قال.

وكان سيدة نساء عصرها (زينب) عليها السلام أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة يزيد: وسيعلم من سول لك، وممكنك من رقاب المسلمين.

بل أشار إليه معاوية، إذ كتب إليه محمد بن أبي بكر يلومه في تمرده على أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر له فضله وسابقته فكتب له معاوية في الجواب ما يتضمن الإشارة إلى المعنى الذي نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب في كتاب "صفين" لنصر بن مزاحم أو "شرح النهج" الحديدي أو "مروج الذهب" للمسعودي.

وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية، إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين فأجابه: أما بعد، فإننا أقبلنا على فرش ممهدة، ونمارق منضدة... إلى آخر الكتاب، وقد نقله البلاذري وغيره من أهل السير والأخبار، وفي كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير، فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه.

أقول: ولكي يطلع القارئ على مضمون هذه الرسائل نذكرها هنا، فالرسالة التي كتبها محمد بن أبي بكر فيها حقائق دامغة لكل باحث عن الحقيقة، فهي تصف معاوية بأنه ضال مضل، وأنه لعين ابن لعين، وأنه يعمل كل ما في وسعه لإطفاء نور الله ويبدل الأموال لتحريف الدين ويغيي لدين الله الغوائل، وأنه عدو لله ولرسوله...

والذي يهمننا هنا هو رد معاوية بن أبي سفيان على هذه الرسالة، لتعرف - أيها الباحث - حقيقة وخفايا ودسائس التاريخ، وتكشف من خلالها خيوط المؤامرة التي أبعدت الخلافة عن صاحبها الشرعي وتسببت في انحراف الأمة، فإليك الرسالة والرد عليها:

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر:

سلام على أهل طاعة الله، ممن هو سلم لأهل ولاية الله، أما بعد:

فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته... - إلى أن قال: - فكان أول من أجاب وأجاب وآمن وصدق وأسلم وسلم، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام صدقه بالغيب الكتوم وآثره على كل حميم، ووقاه بنفسه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف، وحارب حربيه وأسلم سلمه...

وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً،

وأصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة... وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبدلان فيه المال وتؤلبان عليه القبال.

إلى أن قال: فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه ويطلععه على أمره، وأنت عدوه وابن عدوه؟!...

رد معاوية على محمد بن أبي بكر

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله، أما بعد:

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه، وما أصفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كلام كثير ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته له ومواساته إياه في كل هول وخوف، فكان احتجاجك علي وفخرك بفضلك لا بفضلك، فأحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك.

فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا نعرف حق ابن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلح حجته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره، علي ذلك اتفقا واتسقا، ثم إنهما دعوا إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم وأراداه العظيم، ثم إنه بايعهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضهما الله وانقضى أمرهما، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من

أهل المعاصي فطلبتما له الغوائل

حتى بلغتما فيه مناكما.

فخذ حذرک يا ابن أبي بكر، فستری وبال أمرک، وقس شبرک بقتک تقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال حلمه، ولا تلين على قسر قناته، ولا يدرك ذو مدى أناته.

أبوك مهد له مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يك ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله، وإن يكن جورا فأبوك استبد به ونحن شركاؤه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا إليه، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك من قبلنا، فاحتدنا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعب

أباك بما بدا لك أو دع، والسلام على من أناب ورجع من غوايته

وتاب.

أنظر جمهرة رسائل العرب ١: ٤٧٥ - ٤٧٧، مروج الذهب للمسعودي ٣: ١١ - ١٢.

ونستنتج من هذا الرد بأن معاوية لا ينكر فضائل علي بن أبي طالب ومزاياه، ولكنه تجرأ عليه احتذاء بأبي بكر وعمر، ولولاهما لما استصغر شأن علي ولا تقدم عليه أحد من الناس، كما يعترف معاوية بأن أبا بكر هو الذي مهد لبني أمية وهو الذي بنى ملكهم وشاده.

ونفهم كذلك من هذه الرسالة بأن معاوية لم يقتد برسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهتد بهديه، عندما اعترف بأن عثمان هدى بهدي أبي بكر وعمر وسار بسيرتهما.

ولتعميم الفائدة لا بأس بذكر الرسالة الثانية والتي رد فيها يزيد بن معاوية على ابن عمر،

وهي على اختصارها ترمي نفس المرمى:

كتاب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية

أخرج البلاذري في تاريخه قال:

لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب، كتب عبد الله بن عمر رسالة إلى يزيد بن معاوية جاء فيها:

أما بعد، فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين.

رد يزيد على كتاب ابن عمر

فكتب إليه يزيد:

أما بعد، يا أحمق! فإننا جئنا إلى بيوت مجددة، وفرش ممهدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها!

فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سن هذا واستأثر بالحق على أهله.

وفي رد معاوية على ابن أبي بكر، ورد يزيد على ابن عمر نجد نفس المنطق ونفس الاحتجاج، وهو لعمرى أمر ضروري يقره الوجدان، ويدركه كل عاقل ولا يحتاج في الحقيقة إلى شهادة معاوية وابنه يزيد.

وفي كامل الزيارات بالإسناد عن عبد الله بن غالب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين بن علي، فلما انتهيت إلى قولي فيها: (لبلية... البيت (١) صاحت باكياً من وراء الستر يا أبتاه... (٢).

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال، وابن قولويه بأسانيد معتبرة، عن أبي عمارة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا عمارة، من أنشدني في الحسين، فأنشدته فبكي، ثم أنشدته فبكي، قال: فوالله ما زلت أنشده وهو يبكي، حتى سمعت البكاء من الدار، فقال: يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين بن علي عليهما السلام فأبكي خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين بن علي عليهما السلام فأبكي ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكي عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكي عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فبكي فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فتباكي فله الجنة (٣).

(١) والبيت هو:

لبلية تسقوا حسينا * بمسقاة الثرى غير الشراب

(٢) كامل الزيارات: ١٠٥ ح ٣، عوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٥٤١، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٦ ح ٢٤.

(٣) الأمالي: ١٢١ ح ٦، ثواب الأعمال: ١١٠ ح ٣، كامل الزيارات: ١٠٥ ح ٤، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٩ ح ٢٩.

وروى الصدوق في ثواب الأعمال، بالإسناد إلى [أبي] (١) هارون المكفوف (٢) قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لي: يا أبا هارون، أنشدني، فأنشدته في الحسين عليه السلام، فقال لي: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقعة (٣) -، قال: فأنشدته: أمرر على جدث الحسين* وقل لأعظمه الزكية (٤) قال: فبكى، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأخرى (٥). قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، فلما فرغت قال: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين فبكى وأبكى عشرة كتبت له الجنة - إلى أن قال: - ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عز

- (١) وهو الصحيح.
(٢) واسمه - على ما احتمله الشيخ المامقاني في تنقيح المقال - : موسى بن عمير مولى آل جعدة بن هبيرة الكوفي، أو ابن أبي عمير - على ما في الكافي - وعده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.
(٣) أقول: قوله: بالرقعة - بكسر الراء المشددة - أي بالطريقة التي تستعملونها عند الإنشاد، التي فيها الرقعة والطلاوة، والتي توجب التأثير في القلب، لا مجرد التلاوة، وهو المراد بقوله عليه السلام: أنشدني كما تنشدون.
وسها من فسر " الرقعة " هنا بالبلدة التي على الفرات التي هي بفتح الراء.
(٤) أقول: هذا البيت للسيد الحميري رحمه الله، وقد أنشده أبو هارون إنشادا ولم ينشئه إنشاء، والظاهر أن مطلق القصيدة للسيد الحميري بدليل قول أبي هارون نفسه - بعد قول الإمام: زدني - فأنشدته القصيدة الأخرى -، فالظاهر من هذا التعبير: الأخرى من قصيدتي السيد الحميري نفسه.
راجع القصة والأبيات في الأغاني ٧: ٢٣٠، تاريخ الإسلام السياسي ٢: ١٤٦.
(٥) وهي:
يا مريم قومي واندبي مولاك* وعلى الحسين فأسعدني ببكاك

وجل، ولم يرض له بدون الجنة. (١)
وروى الكشي بسند معتبر عن زيد الشحام قال: كنا عند أبي عبد الله عليه
السلام، فدخل عليه جعفر بن عفان (٢)، فقربه وأدناه، ثم قال: يا جعفر. * (هامش)
(١) ثواب الأعمال: ١٠٨ ح ١، كامل الزيارات: ١٠٠ ح ٣، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٨
ح ٢٨.

(٢) هو أبو عبد الله جعفر بن عفان الطائي، من رجال الشيعة المخلصين، كان معاصرا
للإمام

الصادق عليه السلام، وقد أطراه علماء الرجال ووثقوه، وقد توفي في حدود سنة ١٥٠
هـ،

وهو الذي رد على مروان ابن أبي حفصة القائل:
خلوا الطريق لمعشر عاداتهم * حطم المناكب كل يوم زحام
ارضوا بما قسم الإله لكم به * ودعوا وراثه كل أحميد حام
أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثه الأعمام
فقال جعفر بن عفان:

لم لا يكون وأن ذاك الكائن * لبني البنات وراثه الأعمام
للبنات نصف كامل من ماله * والعم متروك بغير سهام
ما للتليق وللتراث وإنما * صلى التليق مخافة الصمصام
ومن مرآثيه في الإمام الحسين عليه السلام قوله:

ليبك على الإسلام من كان باكيا * فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين للرماح دريئة * وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء لحما مبددا * عليه عتاق الطير باتت وظلت
فما نصرته أمة السوء إذ دعا * لقد طاشت الأحلام منها وضلت
بلى قد محوا أنوارهم بأكفهم * فلا سلمت تلك الأكف وثلت
وناداهم جهدا بحق محمد * فإن ابنه من نفسه حيث حلت
فما حفظوا قرب النبي ولا رعوا * وزلت بهم أقدامهم واستزلت
أذافته حر القتل أمة جده * هفت نعلها في كربلاء وزلت
فلا قدس الرحمن أمة جده * وإن هي صامت للإله وصلت
كما أفجعت بنت النبي بنسلها * وكانوا حماة الحرب حيث استقلت
وكانوا سرورا ثم عادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
انظر: عيون أخبار الرضا ١: ١٨٨، أمالي الطوسي ٢: ٢٤، الاحتجاج ١: ٢١٤،

الأغاني

٧: ٨ و ٩: ٤٥ و ١٢: ١٧، أخبار شعراء الشيعة للمرزباني: ١١٥ - ١١٦، مقتل
الخوازمي

٢ : ١٤٤ (*)

(٧١)

قال: لبيك، جعلني الله فداك.
قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد.
فقال له: نعم، جعلني الله فداك.
قال: قل، فأنشده فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه
ولحيته، ثم قال: يا جعفر، والله لقد شهدت الملائكة المقربون قولك في الحسين
عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر - إلى أن قال: - ما من أحد قال في
الحسين شعرا فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة، وغفر له. (١)
وروى ابن قولويه في الكامل بسند معتبر عن الصادق عليه السلام جاء فيه:
وكان جدي علي بن الحسين عليهما السلام إذا ذكره - يعني الحسين عليه السلام -
بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه.
وإن الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كل من في الهواء
والسما، وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول الله
صلى الله عليه وآله، وأدى حقنا... (٢) الحديث.
وفي قرب الإسناد عن بكر بن محمد الأزدي قال: قال أبو عبد الله
(الصادق) عليه السلام لفضيل بن يسار: أتجلسون وتحدثون؟
قال: نعم، جعلت فداك.

(١) رجال الكشي: ٢٨٩ ح ٥٠٨، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٢ ح ١٦.

(٢) كامل الزيارات: ١١٧ ح ٣.

قال عليه السلام: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيأ أمرنا.

يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه. (١)

وفي خصال الصدوق: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا. (٢) وفي كامل الزيارات بالإسناد إلى أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله - الصادق - عليه السلام في يوم قط فرؤي متبسما في ذلك اليوم إلى الليل.

قال: وكان أبو عبد الله يقول: الحسين عبرة كل مؤمن (٣). وفيه بالإسناد إلى الصادق عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا استعبر (٤). إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة عن الأئمة الأبرار، وناهيك بها

(١) قرب الإسناد: ١٨، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٢ ح ١٤.

(٢) الخصال: ٢٧١.

(٣) كامل الزيارات: ١٠٨ ح ٢.

وقوله عليه السلام: "عبرة كل مؤمن" من باب ذكر المسبب وإرادة السبب لقصد المبالغة، أي سبب لاستعباره وبكائه وهو قريب من قول الإمام الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة.

(٤) كامل الزيارات: ١٠٨ ح ٦، أمالي الصدوق: ١١٨ ح ٧، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤ ح ١٩.

حجة على رجحان هذه المآتم، واستحبابها شرعا، فإن أقوال أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم وتقريرهم، حجة بالغة لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرر في مظانه من كتب المتكلمين من أصحابنا، والتفصيل في كتابنا "سبيل المؤمنين" (١).

على أن الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لا يتوقف - عند الخصم - على عصمتهم، بل يكفي فيه ما اتفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة، والثوري، والأوزاعي، وأضرابهم علما ولا عملا.

وأنت تعلم أن هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة، أو صاحبيه أبي يوسف والشيباني مثلا، لاستبق الخصم إليها، وعكف أيام حياته عليها، فلما ينكرها علينا، ويندد بها بعد ثبوتها عن أئمة أهل البيت يا منصفون؟! أتراه يرى في أئمة الثقلين أمرا يقتضي الإعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئا يستوجب الإنكار على الأخذ بمذهبهم، أو أن هناك أدلة خاصة تقتصر الإمامة في الفتوى على أئمة خصومنا ولا نبيح الرجوع إلى غيرهم. كلا، إن واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس.

هذا حديث الثقلين (٢) المجمع على صحته واستفاضته، قد أنزل العترة منزلة الكتاب، وجعلها قدوة لأولي الألباب، فراجعه في باب فضائل علي من صحيح

(١) أقول: كتاب "سبيل المؤمنين" - في الإمامة - من كتب العلامة شرف الدين رحمه الله المهمة، وكان من ضمن الكتب المحترقة عندما أحرق الفرنسيون مكتبته العامرة في صور. (٢) تقدمت تخريجاته.

مسلم أو في الجمع بين الصحيحين، أو الجمع بين الصحاح الستة، أو في حديث أبي سعيد الخدري من مسند أحمد بن حنبل، أو خصائص علي للإمام النسائي، أو في تفسير الثعلبي والبيهقي، أو في حلية الحافظ الأصفهاني، أو كتب الحاكم والطبراني، وغيرها من كتب الحديث.

وأنا أوردته لك بلفظ الترمذي (١) بحذف الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا، الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وقد زاد الطبراني: فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قلت: لا يخفى أن تعليق عدم الضلال على التمسك بهما، يقتضي بحكم

(١) قال (رحمه الله): قال ابن حجر - بعد نقله عن الترمذي - في أثناء تفسيره للآية الثانية من الآية التي أوردتها في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من صواعقه ما هذا لفظه: ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا. قال: ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال: ذلك في حجة الوداع بعرفة. وفي أخرى: أنه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي أخرى: أنه قال ذلك في غدير خم. وفي أخرى: أنه قاله لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف. قال: ولا تنافي، إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعتره الطاهرة. أنظر: الصواعق المحرقة: ١٥٢.

المفهوم ثبوت الضلال لمن تخلى عن أحدهما، وناهيك به في وجوب اتباع العترة والانقطاع في الدين إليها، وإلى القرآن العزيز.

على أن اقترانهم بالكتاب (وهو معصوم) وجعلهم في وجوب التمسك بهم مثله دليل قاطع على حجية أقوالهم وأفعالهم، وأن الرجوع في الدين إلى خلافهم ليس إلا كترك القرآن، والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه، ولا تنس دلالة قوله صلى الله عليه وآله: " ولن يفترقا "، على عدم خلو الزمان ممن يفرغ منهم عن القرآن، والقرآن يفرغ عنه. (١)

ثم إن قوله: فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم - نص صريح فيما قلناه كما لا يخفى -، وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة، أو المنع من مخالفتها نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك من مبحث العصمة من (سبيل المؤمنين) وحسبك منه ما أخرجناه الحاكم بسند صححه على شرط البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من جملة حديث " وأهل بيتي أمان لأمتي " من الاختلاف: فإذا خالفتها قبيلة من العرب (في بعض أحكام الدين) اختلفوا (في فتاويهم) فصاروا حزب إبليس.

(١) قال (رحمه الله): ومثله: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون. أخرجناه المألاً، كما في تفسير الآية الرابعة من الآيات التي أوردتها ابن حجر في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من صواعقه، وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة، بل هو من ضروريات مذهبهم عليهم السلام. أنظر: الصواعق المحرقة: ٢٣٦.

أليس هذا نصا في وجوب اتباعهم، وحرمة مخالفتهم، وهل في لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه في إنذار مخالفيهم؟
وأخرج أحمد بن حنبل وغيره بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب ذهب أهل الأرض.
وفي رواية: فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون.

وفي هذا المعنى صحاح متظافرة من طريق العترة الطاهرة ومتى كانوا أمانا لأهل الأرض، فكيف يستبدل بهم، وأنى يعدل عنهم.
وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا (كذا قال ابن حجر) (١) أنه صلى الله عليه وآله قال: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا. قال ابن حجر: وفي رواية مسلم: ومن تخلف عنها غرق.
قال: وفي رواية: هلك. وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له.
قال: وفي رواية: غفر له الذنوب.

ولا يخفى أن المراد من تمثيلهم بسفينة نوح، إنما هو إلزام الأمة باتباع طريقهم، والتمسك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من النجاة بذلك إلا رضوان الله عز وجل والجنة، كما أن المراد بغرق المتخلفين عنهم أو هلاكهم إنما هو

(١) الصواعق المحرقة: ١٥١.

سخط الله سبحانه والنار.

والمراد من تمثيلهم بباب حطة إنما هو بعض الأمة على التواضع لله عز وجل بالافتداء بهم والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم، وهذا كله ظاهر كما ترى. قال ابن حجر - بعد إيراد هذه الأحاديث في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من الصواعق - ما هذا لفظه:

ووجه تشبيههم بالسفينة - فيما مر - أن من أحبهم وعظّمهم، شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذ بهدى علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان.

إلى أن قال: وبياب حطة - يعني ووجه تشبيههم بباب حطة - إن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها. (١) إلى آخر كلامه.

ولو أردنا استيفاء ما جاء من صحاح الستة في وجوب اتباع أئمة أهل البيت، والانقطاع في الدين إليهم عن العالمين لطال المقام، وخرجنا عن موضوع هذه المقدمة وحاصله: أن مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب أهل البيت، والإنفاق عنهم في وجوه البر، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم، سيرة قطعية قد استمرت عليها أئمة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها

(١) الصواعق المحرقة: ١٥٢.

أولياءهم على مر الليالي والأيام فورثناها منهم، وثابرونا عليها عملا بما هو المأثور عنهم، فكيف والحال هذه - تنكرونها علينا، وتقولون فيها ما تقولون؟ والله يعلم أنها ليست كما تظنون.

دع بكاء الأنبياء والأوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لي هل جهلت نوح الجن في طبقاتها (١)، وراثاء الطير في وكناتها (٢)، وبكاء الوحش في فلواتها (٣)، ورسيس حيتان البحر في غمراتها (٤)؟ وهل نسيت الشمس وكسوفها، والنجوم وخسوفها، والأرض وزلزالها (٥)، وتلك الفجائع وأهوالها؟ أم هل ذهلت عن الأحجار ودمائها، والأشجار وبكائها، والآفاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أم سلمة وحصياتها (٦) وتلك الساعة وآياتها؟

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ١: ٢٣، العرائس الواضحة: ١٩٠، إسعاف الراغبين: ٢١٧، ينابيع المودة ١: ٣٣٠، كفاية الطالب: ٢٩٠، المعجم الكبير ٣: ١٢٧، مجمع الزوائد ٩: ١٩٦، إحقاق الحق ١١: ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) أنظر: مقتل الحسين ٢: ٩١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦، الخصائص الكبرى ٢: ١٢٦، مجمع الزوائد ٩: ١٩٦، تاريخ الخلفاء: ٨١، إحقاق الحق ١١: ٤٩٠.

(٣) أنظر: مقتل الحسين ٢: ٩١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦، الخصائص الكبرى ٢: ١٢٦، مجمع الزوائد ٩: ١٩٦، تاريخ الخلفاء: ٨١، إحقاق الحق ١١: ٤٩٠.

(٤) أنظر: تاريخ دمشق - ترجمة الإمام الحسين - ٤: ٣٣٩، مقتل الحسين ٢: ٩٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١١، المحاسن والمساوي: ٦٢، تاريخ الخلفاء: ٨٠، إحقاق الحق ١١: ٤٦٧.

(٥) أنظر: المصادر السابقة.

(٦) قال (رحمه الله): أشرنا بهذا إلى ما ورآه الملائكة في سيرته، وابن أحمد في زيادة المسند، كما في الصواعق عن أم سلمة، قالت - من حديث - ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال: إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها (ولدي) فمتى صار دما فاعلمي أنه قد قتل، قالت: فوضعت في قارورة، وكنت أقول: إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم. وفي رواية أخرى - كما في الصواعق أيضا - إن جبرئيل جاء بحصيات فجعلهن النبي صلى الله عليه وآله في قارورة، قالت أم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول:

أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان ابن داو * د وموسى وحامل الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة، فإذا الحصيات قد جرت دما.

أقول: وانظر أيضا حديث أم سلمة في: المعجم الكبير ٣: ١٣٠، ذخائر العقبى: ١٥٠،

تاريخ الإسلام ٢: ٢٤٩، أسماء الرجال ٢: ١٤١، سير أعلام النبلاء ٣: ٢١٤، آكام

المرجان: ١٤٧، نظم الدرر: ٢١٧، الإصابة ١: ٣٣٤، مجمع الزوائد ٩: ١٩٩، البداية

والنهاية ٦: ٢٣١، تاريخ الخلفاء: ٨٠، وسيلة المآل: ١٠٧، مفتاح النجا: ١٤٤، ينابيع

المودة: ٣٢٠، الشرف المؤبد: ٦٨، كفاية الطالب: ٢٩٤، التذكرة: ٢٧٩، المختصر من

المقتبس: ٢٦٣، تاج العروس ٣: ١٩٦.

ألم يرو الملاء عن أم سلمة (كما في الصواعق (١) وغيرها (٢) أنها قالت: سمعت نوح الجن على الحسين. وروى ابن سعد - كما في الصواعق أيضا - : إنها بكت حينئذ حتى غشي عليها.

وأخرج أبو نعيم الحافظ في الدلائل عنها - كما نقله السيوطي - قالت: سمعت الجن تبكي على الحسين وتنوح عليه. (٣) وأخرج ثعلب في أماليه (كما في تاريخ الخلفاء أيضا) عن أبي جناب الكلبي (٤) قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشرف العرب بها: أخبرني بما بلغني

-
- (١) قال (رحمه الله): كل ما نقله هنا عن الصواعق موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الأحاديث التي أوردها في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر.
(٢) البداية والنهاية ٦ : ٢٣١، مجمع الزوائد ٩ : ١٩٩، كفاية الطالب: ٢٩٤.
(٣) دلائل النبوة ٢ : ٥٥٦، تاريخ الخلفاء: ٨٠.
(٤) في الأصل: أبو خباب الكلبي، وما أثبتناه هو الصحيح، وهو: يحيى بن أبي حية الكوفي، حدث عن أبيه والشعبي وأبي إسحاق السبيعي وغيرهم، روى عنه عبد الرحمن المحاربي وغيره. أنظر: لسان الميزان ٦ : ٧٨٩، الإكمال ٢ : ١٣٤.

أنكم تسمعون من نوح الجن؟ فقال: ما تلقى أحدا (١) إلا أخبرك أنه سمع ذلك.
قلت: فأخبرني بما سمعت أنت؟

قال: سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه* فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش* وجده خير الجدود (٢)

وأخرج أبو نعيم الحافظ (في كتاب دلائل النبوة) عن نصره الأزدية قالت:

لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دما، فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة

دما. (٣)

قال ابن حجر - بعد إيراده في الصواعق - : وكذا روي في أحاديث غير

هذه. (٤)

قال: ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضا: إن السماء اسودت إسودادا

عظيما حتى رؤيت النجوم نهارا.

(١) في المصدر: ما تلقى حرا ولا عبدا.

(٢) مجالس ثعلب ٢: ٣٣٩، تاريخ الخلفاء: ٨١، الملهوف: ٢٢٦.

أقول: وقد نسب البيهقي في (المحاسن والمساوي ١: ٤٩) هذه الأبيات إلى الشاعر كعب بن زهير، والظاهر أنه كعب بن زهير الصحابي، ولم أجد الأبيات المنسوبة إليه في غير هذا الكتاب، فإن صحت هذه النسبة، فهي مما كتبت في أيام الأمويين والعباسيين.

(٣) دلائل النبوة ٢: ٥٥٣، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٥٤، العوالم ١٧: ٤٦٦ ح ١، بحار الأنوار ٤٥:

٢١٥ ح ٣٨.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٩٤.

قال: ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط. (١)
وأخرج أبو الشيخ - كما في الصواعق أيضا - : إن السماء احمرت لقتله عليه
السلام وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة
قد قامت.

قال: ولم يرفع حجر في الشام (٢) إلا رؤي تحته دم عبيط.
وأخرج عثمان بن أبي شيبة - كما في الصواعق وغيرها - أن الشمس مكثت
بعد قتله عليه السلام سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة (٣) من
شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا. (٤)
قال في الصواعق: ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: إن الدنيا أظلمت
ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء. (٥)
قال: وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلا وتحتته دم الثياب حتى

-
- (١) الصواعق المحرقة: ١١٦ و ١٩٢، تذكرة الخواص: ٢٨٤، نظم درر السمطين: ٢٢٠، كفاية الطالب: ٢٩٥، الإنحاف بحب الأشراف: ١٢.
- (٢) الشام - بالهمزة - ويجوز أن لا يهمز، فيكون جمع شامة، سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات، حدها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وعرضها من جبلي طي من نحو القبلة إلى بحر الروم، وبها من أمهات المدن حلب ومنبج وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة وفي الساحل أنطاكية وطرابلس.
- أنظر: معجم البلدان ٣: ٣١١ - ٣١٥.
- (٣) المعصفرة: التي اصطبغت باللون الأصفر. " المنجد في اللغة: ٥٠٩ ."
- (٤) المعجم الكبير: ١٤٦، مجمع الزوائد ٩: ١٧٩، سير أعلام النبلاء ٣: ٢١٠، تاريخ الخلفاء: ٨٠، إحقاق الحق ١١: ٤٦٥ - ٤٦٦.
- (٥) الصواعق المحرقة: ١١٦ و ١٩٢، تذكرة الخواص: ٢٨٤، تاريخ الإسلام ٢: ٣٤٩.

تقطعت.

قال: وأخرج الثعلبي: إن السماء بكت وبكاؤها حمرتها.
وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة
ترى بعد ذلك.

وأن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل
الحسين عليه السلام.

قال: وذكر ابن سعد: إن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله. (١)
إلى آخر ما هو مذکور في كتب السنة، مما يدل على انقلاب الكون بمقتله
عليه السلام، وأنه قد بكته السماء، وصخور الأرض دما.

ولو فرض خصمنا جاهلا بما في تلك الكتب مما سمعت بعضه، فهل يجهل
ما قام به ابن نباتة (٢) خطيبا على أعواده، وتركه سنة لخطباء المسلمين في

(١) الصواعق المحرقة: ١١٦ و ١٩٣ - ١٩٥، تذكرة الخواص: ٢٨٣.

وللاطلاع انظر: المعجم الكبير: ١٤٥، نظم درر السمطين: ٢٢٠، الإتحاف بحب الأشراف: ١٢
ذخائر العقبى: ١٤٥، الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٦، الأنس الجليل: ٢٥٢، وسيلة المآل: ٩٨، تفسير
القرآن لابن كثير: ٩: ١٦٢، تهذيب التهذيب: ٢: ٣٥٣، كفاية الطالب: ٢٩٦، تاريخ دمشق: ٤: ٣٣٩، تاريخ
الإسلام: ٢: ٣٤٨، سير أعلام النبلاء: ٣: ٢١٢، مقتل الحسين: ٢: ٨٩ و ٩٠، العقد الفريد: ٢: ٢٢٠،
الخصائص الكبرى: ٢: ١٢٦، مجمع الزوائد: ٩: ١٩٦، تاريخ الخلفاء: ٨٠، مفتاح النجا " مخطوط "، نور
الأبصار: ١٢٣، إسعاف الراغبين: ٢١٥.

(٢) هو أبو القاسم الأصمغ بن نباتة المجاشعي التميمي الحنظلي، من خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه
السلام ومن شرطة الخميس، عمر بعد علي عليه السلام طويلا، وتوفي بعد المائة، والظاهر أنه أول من
كتب مقتل سيد الشهداء عليه السلام. انظر: الفهرست: ٣٧ - ٣٨ رقم ١٠٨، الذريعة: ٢٢: ٢٣ - ٢٤ رقم
٥٨٣٨.

الجمعة الثانية من المحرم في كل سنة، وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة - بعين لفظه -:

[أيها الناس إن شهركم هذا استشهد فيه الحسين بن علي بن أبي طالب فنال بذلك أعلى المفاخر والمراتب، وكان ذلك في أرض يقال لها كربلاء، أحل الله بقاتله كل كرب وبلاء...].

[و] قال: بكت لموته الأرض والسموات، وأمطرت دما، وأظلمت الأفلاك من الكسوف، واشتد سواد السماء ودام ذلك ثلاثة أيام، والكواكب في أفلاكها تنهافت، وعظمت الأهوال حتى ظن أن القيامة قد قامت.

[ثم] قال: كيف لا وهو ابن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وسبط سيد الخلائق دنيا وآخرة، وكان عليه الصلاة والسلام من حبه في الحسين يقبل شفتيه، ويحمله كثيرا على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والماء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه؟ لصاح عليه الصلاة والسلام، وخر مغشيا عليه.

[ثم] قال: فتأسفوا رحمكم الله على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلوا بما أصابه عما سلف لكم من موت الأحرار والعبيد، واتقوا الله حق تقواه.

قال: وفي الحديث: إذا حشر الناس في عرصات القيامة، نادى مناد من وراء حجب العرش:

يا أهل الموقف، غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلق بساق العرش، وتقول: أنت الجبار العدل، اقض بيني وبين من قتل ابني، فيقضي الله بينها وبينه.

ثم تقول: اللهم شفّعي فيمن بكى على مصيبي، فيشفّعها الله تعالى فيهم (١)... إلى آخر كلامه.

فهل - بعد ذلك كله - تقول: إن البكاء على مصائب أهل البيت بدعة، وهب أنك لا ترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكي لبكاء الأنبياء والأوصياء، فابك لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر، إبك لبكاء عمر بن سعد (٢)، أو عمرو بن الحجاج (٣) والأخنس بن يزيد (٤)، ويزيد بن معاوية (٥)، أو خولي (٦)،

(١) المناقب لابن المغازلي: ٣٥٥ ح ٤٠٤، فرائد السمطين ٢: ٢٦٥، أمالي المفيد: ٨٤.
(٢) عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، سيره عبید الله بن زياد على أربعة آلاف لقتال الديلم، وكتب له عهده على الري، ثم لما علم ابن زياد بمسير الحسين عليه السلام من مكة متجها إلى الكوفة كتب إلى عمر بن سعد أن يعود بمن معه، فعاد، فولاه قتال الحسين عليه السلام، فاستغفاه، فهدده وذكره ولاية الري، فأطاع، بعث المختار من قتل عمر بن سعد حين قيامه فقتل. انظر: الطبقات ٥: ١٢٥، الأعلام ٥: ٤٧.

(٣) عمرو بن الحجاج الزبيدي، وقيل: عمر. انظر: الإرشاد للمفيد: ٣٨.
(٤) وفي بعض المصادر: أخنس بن مرتد، وأخنس بن مرتد، وهو ابن علقمة الحضرمي، من العشرة الذين داسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيولهم، حتى رضوا ظهره وصدرة، وهو من أولاد الزنا.

(٥) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد بالمطرون ونشأ في دمشق وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ ولم يبايعه جماعة وعلى رأسهم الحسين عليه السلام لفسقه وفجوره ولهوه ولعبه، خلع أهل المدينة طاعته سنة ٦٣ هـ، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة وأمره أن يستبجها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم عبید ليزيد، ففعل بها مسلم الأفاعيل القيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة والتابعين، مات يزيد سنة ٦٤ هـ.
انظر: تاريخ الخميس ٢: ٣٠٠، تاريخ ابن الأثير ٤: ٤٩، جمهرة الأنساب: ١٠٣.

(٦) هو خولي بن يزيد الأصبحي، من أشقياء الكوفة ومبغضي أهل البيت عليهم السلام، بعد سقوط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض تقدم ليحتز رأسه. وذهب هو وحميد بن مسلم الأزدي بالرأس إلى ابن زياد لكن الوقت كان متأخرا وباب القصر مغلقا فاضطر إلى أخذ الرأس إلى داره وإخفائه هناك.

كان له زوجتان، لما علمت أحدهما بأنه قد أتى برأس الحسين إلى الدار غضبت عليه ولم تجتمع بعدها وإياه في فراش واحد.

بقي خولي في أيام المختار متخفيا، إلا أن زوجته الأخرى واسمها عيوف بنت مالك دلت عليه أصحاب المختار، وكانت هذه المرأة قد غضبت عليه منذ أن جاء برأس الحسين، فأخذوا خولي وقتلوه. انظر: بحار الأنوار ٤٥: ١٢٥، أعيان الشيعة ١: ٦١٢، مستدركات علم الرجال ٣: ٣٤٤، مقتل الحسين للمقرم: ٣٩١.

والسالب لحلي فاطمة بنت الحسين (١) عليه السلام، إبك لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدت كتب السير بكائهم، مع خبث أمهاتهم وآبائهم، أيحسن منك - وأنت مسلم - أن يصاب رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الفجائع، وتحل بساحته تلك القوارع، ثم تتخذها ظهريا، وتكون عندك نسيا، ما هذا شأن أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إن الانقلاب الهائل، وتلك الأحوال المدهشة (من الخسوف والكسوف ورجفة الأرض، وظلمة الأفق وتهافت النجوم، وحمرة السماء وبكاء الصخر الأصم دما، لم تكن إلا إظهارا لغضب الله عز وجل، وتنبها على فظاعة الخطب، وتسجيلا لتلك النازلة في صفحات الأفق، لئلا تنسى على مر الليالي والأيام، وفيها من بعث الناس على استشعار الحزن وادثار الكآبة ما لا يخفى على أولي الألباب.

(١) فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، تابعة من روايات الحديث، روت عن جدتها فاطمة مرسلا وعن أبيها، حملت إلى الشام مع أختها سكينه وعمتها زينب وأم كلثوم، قيل: عادت إلى المدينة، فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي، ومات عنها فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان، ومات فأبت الزواج إلى أن توفيت سنة ١١٠ هـ. انظر: الطبقات ٨: ٣٤٧، مقاتل الطالبين: ١١٩ و ١٢٠ و ٢٠٢، الأعلام ٥: ١٣٠.

فصل

علم الباحثون من مدققي الفلاسفة أن في مآتمنا المختصة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة (١) تعود على الأمة بصلاح آخرتها ودينها، أنبهك إليها بذكر

(١) قال (رحمه الله): نبهك إلى بعضها، حكيماً الغربيين، فيلسوفاً المستشرقين: الدكتور (جوزف) الفرنساوي في كتابه: "الإسلام والمسلمون"، والمسيو (ماربين) الألماني في كتابه "السياسة الإسلامية"، وقد ترجمت جريدة (الحبل المتين) الفارسية في العدد (٨٢) من أعداد سنة ١٧ [وقيل: في العدد (٢٨) من السنة الثامنة بتاريخ ٧ محرم سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م] فصلين من ذينك الكتابين النفيسين يحتويان على أسرار شهادة الحسين وفلسفة مآتمه عليه السلام، فكان لهما دوي في العالم الإسلامي وأخذاً في الشرق دوراً مهماً، وترجماً بالتركية والهندية، وعربهما سيدنا الشريف العلامة الباحث السيد صدر الدين الموسوي نجل الإمام الكبير حجة الإسلام، وآية الله في الأنام، قدوتنا المولى السيد إسماعيل الصدر أبقاه الله، فنشرت مجلة العلم أحد الفصلين، ومجلة العرفان نشرت الآخر، وإليك ما ذكره الدكتور (جوزف) تحت عنوان "الشيعة وترقياتها المحيرة للعقول" قال في جملة كلام له طويل:

لم تكن هذه الفرقة (يعني الشيعة) ظاهرة في القرون الإسلامية الأولى كأختها، ويمكن أن تنسب قلتهم إلى سببين:

أحدهما: إن الرئاسة والحكومة التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب كانت من بدء الإسلام بيد الفرقة الثانية.

ثانيهما: إنه كان القتل والإغارة عليهم في كل زمان ومكان، ولهذا حكم أحد أئمتهم في أوائل القرن الثاني من الإسلام بالتقية وإخفاء مذهب الشيعة، حفظاً لنفوسهم وأمواهم، فزادت في قوتهم، لأنهم حيث لم يكونوا ظاهرين لم تنلهم أيدي أعدائهم القوية بالقتل والغارة، وأقاموا المآتم تحت الستار ليكون فيها على الحسين فأثرت هذه المآتم في قلوب هذه الطائفة إلى حد أنه لم يمر عليها زمن كثير حتى بلغت الأوج في الترقى، ودخل في هذه الطائفة بعض الوزراء وكثير من الملوك والخلفاء، فبعضهم أخفى ذلك تقية، وبعضهم أظهره جهراً.

من بعد الأمير تيمور الكورگاني ورجوع سلطنة إيران قليلاً قليلاً إلى الصفوية، اتخذت فرقة الشيعة إيران مركزاً لها، وبمقتضى تخمين بعض سائحي فرنسا أن الشيعة سدس أو سبع المسلمين - ونظراً إلى ترقى هذه الطائفة في مدة قليلة بدون إجبار أصلاً يمكن القول بأنه لا يمضى قرن أو قرنان حتى يزيد عددها على عدد سائر فرق المسلمين، والعلة في ذلك، هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كل فرد من أفرادها داعية إلى مذهبه.

اليوم لا يوجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلا ويقيمان فيها المآتم، ويبدلان المال والطعام. رأيت في بندر (مارسل) في الفندق شخصاً واحداً عربياً شيعياً من أهل البحرين يقيم المآتم منفرداً جالساً على الكرسي بيده الكتاب يقرأ ويكي، وكان قد أعد مائدة من الطعام ففرقها على الفقراء!

هذه الطائفة تصرف في هذا السبيل الأموال على قسمين، فبعضهم يبذلون في كل سنة من أموالهم خاصة في هذا السبيل بقدر استطاعتهم ما يقدر بالملايين من الفرنكات، والبعض الآخر من أوقاف خصصت لإقامة هذه المآتم، وهذا المبلغ طائل جداً، ويمكن القول بأن جميع فرق المسلمين منضمة بعضها إلى بعض لا تبذل في سبيل مذهبها ما تبذره

هذه الطائفة، وموقوفات هذه الفرقة هي ضعف أوقاف سائر المسلمين أو ثلاثة أضعافها. كل واحد من هذه الفرقة بلا استثناء سائر في طريق الدعوة إلى مذهبه، وهذه النكتة مستورة عن جميع المسلمين حتى الشيعة أنفسهم، فإنهم لا يتصورون هذه الفائدة من عملهم هذا، بل قصدهم الثواب الأخروي، ولكن بما أن كل عمل في هذا العالم لا بد أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذا العمل أيضا يؤثر ثمرات للشيعة، من المسلم أن المذهب الذي دعاه من خمسين إلى ستين مليوناً لا محالة يترقى على التدرج ترقياً لا ثقاً بهم، حتى أن الرؤساء الروحانية، والملوك والوزراء لهذه الفرقة ليسوا بخارجين عن صفة الدعوة، فقراء وضعفاء هذه الفرقة بما أنهم حصلوا ويحصلون على فوائد كلية من هذا الطريق، فهم يحافظون على إقامة هذه المآتم أكثر من كبرائها، لأنهم رأوا في هذا العمل ثواب الآخرة وأجر الدنيا، فلهذا ترك جمع غفير من عرفاء هذه الفرقة أسباب معاشهم، واشتغلوا بهذا العمل، فهم يتحملون المشاق ليتمكنوا من ذكر فضائل كبراء دينهم، والمصائب التي أصابت أهل هذا البيت بأحسن وجه وأقوى تقرير على رؤوس المنابر وفي المجالس العامة.

وبسبب هذه المشاق التي اختارتها هذه الجماعة في هذا الفن تفوقت خطباء هذه الفرقة على جميع الطوائف الإسلامية، وحيث إن تكرار المطالب الواحد يورث اشمئزاز القلوب وعدم التأثير، فهؤلاء الجماعة يتحملون المشاق فيذكرون جميع المسائل الإسلامية العائدة لمذهبهم في هذه الطريقة على المنابر، حتى آل الأمر إلى أن أصبح الأميون من الشيعة أعرف في مسائل مذهبهم ممن يقرأون ويفهمون من الفرق الإسلامية الأخرى من كثرة ما سمعوا من عرفائهم.

اليوم إذا نظرنا في كل نقطة من نقاط العالم من حيث العدد والنفوس نرى أن أليق المسلمين بالمعرفة والعلم والحرفة والثروة هي فرقة الشيعة، دعوة هذه الفرقة غير محصورة في أهل مذهبهم أو في سائر الفرق الإسلامية، بل أي قوم وضع أفراد هذه الطائفة أقدامهم بينهم يسري في قلوب أهل تلك الملة هذا الأثر.

إن العدد الكثير الذي يرى اليوم في بلاد الهند من الشيعة هو من تأثير إقامة هذه المآتم، فرقة الشيعة حتى في زمان السلاطين الصفوية لم تسع في ترقى مذهبها بقوة السيف، بل

ترقت هذا الترفي المحير للعقول بقوة الكلام الذي هو أشد تأثيرا من السيف، ترقت اليوم هذه الفرقة في إداء مراسمها المذهبية بدرجة جعلت ثلثي المسلمين يتبعونها في حركاتها، جم غفير من الهنود والفرس وسائر المذاهب أيضا شاركوهم في أعمالهم، وهذا أمر واضح أنه بعد مضي قرن تودع هذه الخيالات بطريق الإرث لأبناء تلك الطوائف، فيسلمون بها أو يعتقدون بذلك المذهب، وحيث إن فرقة الشيعة تعتقد أن جميع مطالبها مرتبطة بكبراء مذهبها ويطلبون المدد منهم في الحوائج والشدائد، فسائر الفرق أيضا التي تشاركهم في أفعالهم وأعمالهم تتأسى بهم كثيرا، فبمجرد مصادفة قضاء حوائجهم تزداد عقيدتهم رسوخا.

من هذه القرائن والأسباب يمكن أن يستدرك أنه لا يمر زمن قليل على هذه الفرقة حتى تتفوق من حيث العدد على جميع الفرق الإسلامية، كان أكثر هذه الفرقة إلى ما قبل قرن أو قرنين ما عدا إيران يعملون بالتقية في مذهبهم لقلّة العدد، وعدم القدرة، ومن الزمن الذي استولت فيه دول الغرب على الممالك الشرقية وأعطت الحرية لجميع المذاهب، تظاهرت هذه الفرقة بمراسم مذهبها في كل نقطة، وهذه الحرية أفادتهم بدرجة أنها رفعت من مذهب الشيعة اسم التقية.

بمناسبة الأسباب التي ذكرت، وقفت هذه الفرقة على مقتضيات العصر أكثر من سائر الفرق الإسلامية، وأقدمت على كسب المعاش وتحصيل العلوم أكثر من الآخرين، ومن هذه الوجهة فالرجال العاملون الذين يعيشون بكد اليمين يوجدون فيهم أكثر من سائر فرق المسلمين، وحيث إن الغالب عليهم العمل، فالملازمون لهم وخدامهم يصيرون بالطبع تابعين لهم، وعلاوة على ذلك أنهم بواسطة الأعمال يحتاج الناس إليهم، ومحبتهم ومعاشرتهم لسائر الفرق موجبة لاختلاط الآخرين معهم عند مشاركتهم لهم في مجالسهم ومحافلهم، وحينما يصغى المباشرون لهم إلى سماع أصول مذهبهم وأحاديثهم مرة بعد مرة لا محالة يألّفون مشربهم، وهذا هو عمل الدعاة، والأثر الذي يترتب على هذه الوضعية هو الأثر الذي توخته عرفاء دول الغرب في ترقية دين المسيح مع بذل أموال تحير العقول. من جملة الأمور السياسية التي ألبستها رؤساء فرقة الشيعة لباس المذهب من عدة قرون وصارت مورثة جدا لجلب قلوبهم وقلوب غيرهم، هي أصول التمثيل باسم الشبيهة والتعزية في مأتم الحسين، التمثيل أدخلته حكماء الهند في عباداتها لعدة أغراض خارجة عن موضوع بحثنا، الأوروبيون بمقتضى السياسة ألبسوا التمثيل لباس التفرج، وأظهروا في محلات التفرج العمومية لأنظار العام والخاص أمورا سياسية مهمة لاستجلاب القلوب، وقليلًا قليلًا أصابوا هدفين بسهم واحد، تفریح الطبائع، وجلب قلوب العامة في الأمور السياسية.

فرقة الشيعة حصلت من هذه النكتة على فائدة تامة فألبست ذلك لباس المذهب، فيستنبط أن فرقة الشيعة أخذت هذا العمل من الهنود، وعلى كل حال فالتأثير الذي يلزم أن يحصل على قلوب العامة والخاصة في إقامة العزاء والشبيهة قد حصل. من جهة يذكر في مجالس قراءة التعزية المتواصلة، وعلى المنابر المصائب التي وردت على رؤساء دينهم، والمظالم التي وردت على الحسين، ومع تلك الأحاديث المشوقة إلى البكاء على مصائب آل الرسول.

فتمثيل تلك المصائب للأنظار أيضا له تأثير عظيم ويجعل العام والخاص من هذه الفرقة راسخ العقيدة فوق التصور، وهذه النكات الدقيقة صارت سببا في أنه لم يسمع بأحد من هذه

الفرقة من ابتداء ترقى مذهب الشيعة أنه ترك دين الإسلام أو دخل في فرقة إسلامية أخرى. هذه الفرقة تعمل الشبيه بأقسام مختلفة، فتارة في مجالس مخصوصة ومقامات معينة، وحيث إنه في أمثال هذه المجالس المخصوصة والمقامات المعينة يكون اشتراك الفرق الأخرى معهم أقل، أو وجدوا تمثيلاً بوضع خاص، فعملوا الشبيه في الأزقة والأسواق، وداروا به بين جميع الفرق، وبهذا السبب تتأثر قلوب جميع الفرق منهم ومن غيرهم بذلك الأثر الذي يجب أن يحصل من التمثيل، ولم يزل هذا العمل شيئاً فشيئاً يورث توجه العام والخاص إليه، حتى أن بعض الفرق الإسلامية الأخرى وبعض الهنود قلدوا الشيعة فيه، واشتركوا معهم في ذلك.

وعمل الشبيه في الهند أكثر رواجاً منه في جميع الممالك الإسلامية، كما أن سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد. ويظن أن أصول التمثيل وعمل الشبيه بين الشيعة قد جاءت من جهة سياسة السلاطين الصفوية الذين كانوا أول سلسلة استولت على السلطنة بقوة المذهب ورؤساء الشيعة الروحانيون شيئاً فشيئاً أيدياً هذا العمل وأجازوه.

ومن جملة الأمور التي صارت سبباً في ترقى هذه الفرقة وشهرتها في كل مكان هو إرادة أنفسهم بالمرأى الحسن، بمعنى أن هذه الطائفة بواسطة مجالس المآتم، وعمل الشبيه، واللطم والدوران، وحمل الأعلام في مآتم الحسين، جلبت إليها قلوب باقي الفرق بالجاء والاعتبار والقوة والشوكة، لأنه من المعلوم أن كل جمعية وجماعة تجلب إليها الأنظار وتوجه إليها الخواطر إلى درجة ما.

مثلاً لو كان في مدينة عشرة آلاف نفس متفرقين، وكان في محل ألف نفس مجتمعين، كانت شوكة الألف وعظمتهم في أنظار الخاص والعام أكثر من العشرة آلاف، مضافاً إلى أنه إذا اجتمع ألف نفس انضم إليهم من غيرهم بقدرهم لبعضهم للتفرج، وبعضهم للصدقة والرفقة، وبعضهم لأغراض خاصة، وبهذا الانضمام تتضاعف قوة الألف وشوكتهم في الأنظار.

بعضها وأوكل الباقي إلى فطنتك:
فمنها: إنها جامعة إسلامية، ورابطة إمامية باسم النبي وآله صلى الله عليه
وآله ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله عز وجل، والتمسك بثقلي رسول الله صلى
الله عليه وآله وفيها من اجتماع القلوب على أداء الرسالة بمودة القريبى، وترادف

العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس في غيرها. وحسبك في رجحانها ما يتسنى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية، والأمور الإمامية ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملي (١)، نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند وغيرها من بلاد الإسلام.

ولا تنس ما يتهيأ للمجتمعين فيها من الاطلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسر لهم حينئذ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوا أنت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطة واحدة يسعون فيها وراء كل ما يرمون إليه. ومنها: إن هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وألطف أسلوب، بل هي أعلى صرخة للإسلام توظف الغافل من سباته، وتنبه الجاهل من سكراته، بما تشربه في قلوب المجتمعين، وتنفته في آذان المستمعين، وتبثه في العالم، وتصوره قلباً لجميع بني آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبوية، والخصائص العلوية، ومصائب أهل البيت عليهم السلام في سبيل الله، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة الله. فأولوا النظر والتحقيق يعلمون أن خطباء المآتم كلهم دعاة إلى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشر بالإسلام على التحقيق سواهم، وأنت تعلم أن الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة عن الألوف المؤلفة،

(١) نسبة إلى جبل عامل في لبنان موطن المصنف رحمه الله.

فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظفوا دعاة إلى دينهم بعد أولئك الخطباء ما تيسر ذلك لهم، ولو تيسر من يستمع الدعوة على مر الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المآتم بكل رغبة وإقبال.

ومنها: ما قد أثبتته العيان، وشهد به الحس والوجدان من بث روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم بيركتها، إذ هي - بشرط كونها على أصولها - أرقى مدارس للعوام، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها دور السير، ويقفون بها على أنواع العبر، ويتلقون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حمله ولا يسعهم جهله، بل هي المدرسة الوحيدة للعوام في جميع بلاد الإسلام.

وقد تفنن خطبائها في ما يصدعون به أولا على أعوادها ثم يتخلصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة، فمنهم: من يشنف المسامع ويشرف الجوامع بالحكم النبوية، والمواعظ العلوية، أو يتلو أولا من كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يقرب المستمعين إلى الله، ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه. ومنهم: من يتلو أولا من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وتاريخ أوصيائه عليهم السلام ما يبعث المستمعين على مودتهم، ويضطرهم إلى بذل الجهد في طاعتهم.

ومنهم: من ينبه الأفكار أولا إلى فضل رسول الله صلى الله عليه وآله ومقام أوصيائه عليهم السلام بما يسرده من الأحاديث الصحيحة، والآيات المحكمة الصريحة.

ومنهم: من يتلو أولا الأحكام الشرعية والعقائد الدينية ما تعم به البلوى المكلفين ولا مندوحة من معرفته لأحد من العالمين.

هذه سيرتهم المستمرة أيام حياتهم، فهل ترى بجدك للعوام مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها وعظيم مقاصدها؟ لا وسر الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها وحكمة الأوصياء الذين أرشدوا أوليائهم إليها.
ومنها: الارتقاء في الخطابة، والعروج إلى منتهى البراعة، كما يشهد به الوجدان، ولا نحتاج فيه إلى برهان.
ومنها: العزاء عن كل مصيبة، والسلوة لكل فادحة، إذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم، وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل في رثائهم عليه السلام: أنست رزيتكم رزاينا التي * سلفت وهونت الرزايا الآتية
ومنها: إنعاش أهل الفاقة، وإثلاج أكباد حرى من أهل المسكنة على الدوام بما نفق في هذه المآتم من الأموال في سبيل الله عز وجل، وما يبذل فيها لأهل المسغبة وغيرهم، وأنت تعلم أنه لا وسيلة لقراء تلك المآتم في التعيش غالبا إلا هذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء - بقطع النظر عن من يقومون بنفقته، ألوف مؤلفة يعيشون ببركة أهل البيت عليهم السلام ويتنعمون بيمن مآتمهم عليهم السلام.

ومنها: إن المصلحة التي استشهد الحسين عليه السلام - بأبي وأمي - في سبيلها، وسفك دمه الزكي تلقاءها، تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقتضي دوامها إلى يوم القيامة وبيان ذلك:

إن المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأظهروا التأيد لدينه، والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس، واغتر

بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الأمة أزمتهما، واستسلمت لهم برمتها، حرموا (والناس في سنة عن سوء مقاصدهم) من حلال الله ما شأؤوا، وحلّلوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين وحكموا فيه القاسطين، فسلموا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم حتى تفرقوا أيدي سبأ، ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام وكنوا به عن أخيه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

فلو دامت تلك الأحوال، وهم أولياء السلطة المطلقة، والرئاسة الروحانية، لما أبقوا للإسلام عينا ولا أثرا، لكن ثار الحسين عليه السلام فاديا دين الله عز وجل بنفسه وأحبائه حتى وردوا حياض المنايا، ولسان حاله يقول: إن كان دين محمد لم يستقم * إلا بقتلي يا سيوف خديني فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم حتى تجلت عداوتهم لله عز وجل، وظهر انتقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشى والماء تعبت فيه خنازير البر وكلابه، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من أشباله أحياء وقد غارت أعينهم من شدة العطش، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من شيبة الحمد حتى وطأوا جثثهم بسنابك الخيل، وحملوا رؤوسهم على أطراف الأسنة، وتركوا أشلائهم الموزعة عارية بالعراء، مباحة لوحوش الأرض وطير السماء، ثم أرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحي مسلبات، وطاقوا البلاد بهن سبايا كأنهن من كوافر البربر، حتى أدخلوهن تارة على ابن مرجانة، وأخرى على ابن آكلة الأكباد، وأوقفوهن على درج الجامع في دمشق حيث تباع جواري السبي. فلم تبق بعدها وقفة من عداوتهم لله، ولا ريبة بنفاقهم في دين الإسلام،

وعلم حينئذ أهل البحث والتنقيب من أولي الألباب أن هذه أمور دبرت بليل، وأنها عن عهد السلف بها إلى إلى خلفه، وما كانت ارتجالاً من يزيد - وما المسبب لو لم ينجح السبب - ثم لم تزل أنوار هذه الحقيقة تتجلى لكل من نظر نظراً فلسفياً في فجائع الطف وخطوب أهل البيت عليهم السلام، أو بحث بحث مدقق عن أساس تلك القوارع، وأسباب هاتيك الفظائع.

وقد علم أهل التدقيق من أولي البصائر أنه ما كان لهذا الفاجر أن يرتكب من أهل البيت ما ارتكب، لولا ما مهده سلفه من هدم سورهم، وإطفاء نورهم، وحمله الناس على رقابهم، وفعله الشنيع يوم بابهم. (١)
وتالله لولا ما بذله الحسين عليه السلام في سبيل إحياء الدين من نفسه الزكية، ونفوس أحبائه بتلك الكيفية، لأمسى الإسلام خبراً من الأخبار السالفة (٢)،

(١) أقول: أخرج البلاذري في تاريخه قال: لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب، كتب عبد الله بن عمر رسالة إلى يزيد بن معاوية جاء فيها: أما بعد، فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين. فكتب إليه يزيد:

أما بعد، يا أحمق! فإننا جئنا إلى بيوت مجددة، وفرش ممهدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها! فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سن هذا واستأثر بالحق على أهله.

(٢) قال (رحمه الله): كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب، وإليك ما ذكره المسيو مارين الألماني في كتابه "السياسة الإسلامية" بعين لفظ المعرب قال من جملة كلام طويل: لا يشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر وكيفية نجاح بني أمية في مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين أن الحسين قد أحيا بقتله دين جده وقوانين الإسلام وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين لأجل قتل الحسين، لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد، عزم الحسين لإنجاح هذا المقصد وإعلان الثورة ضد بني أمية من يوم توفي والده، فلما قام يزيد مقام معاوية خرج الحسين من المدينة وكان يظهر مقصده العالي ويث روح الثورة في المراكز المهمة الإسلامية كمكة والعراق وأينما حل فازداد - نفرة قلوب المسلمين التي هي مقدمة الثورة من بني أمية، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين وكان يعلم أن الثورة إذا أعلنت في جهة والحسين قائدها مع تنفر المسلمين عموماً من جومة بني أمية وميل القلوب وتوجه الأنظار إلى الحسين عمت جميع البلاد وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم فعزم يزيد قبل كل شيء من يوم بويع على قتل الحسين.

ولقد كان هذا العزم أعظم خطأً سياسياً صدر من بني أمية الذي جعلهم نسياً منسياً ولم يبق منهم أثر ولا خبر.

وأعظم دلالة على أن الحسين أقدم على قتل نفسه، ولم تكن في نظره سلطنة ولا رئاسة هو: أنه مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التي وقف عليه زمن أبيه وأخيه في قتال بني أمية كان يعلم أنه مع عدم تهيئة الأسباب له واقتدار يزيد لا يمكنه المقاومة والغلبة، وكان يقول: من يوم توفي والده أنه يقتل، وأعلن يوم خروجه من المدينة أنه يمضي

إلى القتل وأظهر ذلك لأصحابه والذي اتبعوه من باب إتمام الحجة حتى يتفرق الذين التفوا حوله طمعا بالدنيا، وطالما كان يقول: " خير لي مصرع أنا ملاقيه "، ولو لم يكن قصده ذلك ولم يكن عالما عامدا لجمع الجنود ولسعى في تكثير أصحابه وزيادة استعداده لا أن يفرق الذين كانوا معه، ولكن لما لم يكن له قصد إلا القتل مقدمة لذلك المقصد العالي وإعلان الثورة المقدسة ضد يزيد رأى أن خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلومية فإن أثر هكذا مصائب أشد وأكثر في القلوب.

من الظاهر أن الحسين مع ما كانت له من المحبوبة في قلوب المسلمين في ذلك الزمان لو كان يطلب قوة واستعدادا لأمكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشا جرارا، ولكنه لو وضع ذلك لكان قتله في سبيل طلب السلطنة والإمارة، ولم يفز بالمظلومية التي أنتجت تلك الثورة العظيمة، هذا هو الذي سبب أن لا يبقى معه أحدا، إلا الذين لا يمكن انفكاكهم عنه، كأولاده وإخوانه وبنو أخوته وبنو أعمامه وجماعة من خواص أصحابه، حتى أنه أمر هؤلاء أيضا بمفارقته، ولكنهم أبوا عليه ذلك، وهؤلاء أيضا كانوا من المعروفين بين المسلمين بحلالة القدر، وعظيم المنزلة، وقتلهم معه مما يزيد في عظم المصيبة وأثر الواقعة.

نعم، إن الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده في إفشاء ظلم بني أمية وإظهار عداوتهم لبني هاشم وسلك في ذلك كل طريق، لما كان يعلم عداوة بني أمية له ولبنو هاشم، ويعرف أنه بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله، وذلك يؤيد مقصده، ويكون له أثر عظيم في قلوب المسلمين - سيما العرب - كما وقع ذلك حملهم معه وجاء بهم إلى المدينة.

نعم، إن ظلم بني أمية وقساوة قلوبهم في معاملاتهم مع حرم محمد وصباياه أثر في قلوب المسلمين تأثيرا عظيما لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر في فعله هذا عقيدة بني أمية في الإسلام وسلوكهم مع المسلمين سيما ذراري نبيهم، لهذا كان الحسين يقول في جواب أصحابه والذين كانوا يمنعون عن هذا السفر: "أني أمضي إلى القتل، ولما كانت أفكار المانعين محدودة، وأنظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين العالية لم يألوا جهدهم في منعه وآخر ما أجابهم به أن قال لهم: شاء الله ذلك، وجددي أمرني به، فقالوا: إن كنت تمضي إلى القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال؟ فقال: "إن شاء الله أن يراهن سبايا" ولما كان بينهم رئيسا روحانيا لم يكن لهم بد عن السكوت.

ومما يدل على أنه لم يكن له غرض إلا ذلك المقصد العالي الذي كان في نفسه ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وإمارة ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية كما تصوره بعض المؤرخين منا أنه قال لبعض ذوي النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: "إن بعد قتلي وظهور تلك المصائب المحزنة يبعث الله رجلا يعرفون الحق من الباطل، يزورون قبورنا، ويبيكون على مصابنا، ويأخذون بثأرنا من أعدائنا، وأولئك جماعة ينشرون دين الله وشريعة جدي، وأنا وجددي نحهم وهم يحشرون معنا يوم القيامة".

ولو تأمل المتأمل في كلام الحسين عليه السلام وحركاته يرى أنه لم يترك طريقا من السياسية إلا سلكه في إظهار شنائع بني أمية وعداوتهم القلبية لبني هاشم ومظلومية نفسه، وهذا مما يدل على حسن سياسته وقوة قلبه وتضحية نفسه في طريق الوصول إلى المقصد الذي كان في نظره حتى أنه في آخر ساعات حياته عمل عملا حير عقول الفلاسفة ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي مع تلك المصائب المحزنة، والهموم المتراكمة، وكثرة العطش والجراحات وهو قصة الرضيع.

فلما كان يعلم أن بني أمية لا يرحمون له صغيرا رفع طفله الصغير تعظيما للمصيبة على يده أمام القوم، وطلب منهم أن يأتوه شربة من الماء فلم يجيبوه إلا بالسهم، ويغلب على الظن أن غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدة عداوة بني أمية لبني هاشم وأنها إلى أي درجة بلغت، ولا يظن أحد أن يزيد كان مجبورا على تلك الإقدامات الفجيعة لأجل

الدفاع عن نفسه، لأن قتل الطفل الرضيع في ذلك الحال بتلك الكيفية ليس هو إلا توحش وعداوة سبعية منافية لقواعد كل دين وشريعة، ويمكن أن تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني أمية ورفع الستار عن قبائح أعمالهم ونياتهم الفاسدة بين العالم سيما المسلمين، وأنهم يخالفون الإسلام في حركاتهم، بل يسعون بعصية جاهلية إلى اضمحلال آل محمد وجعلهم أيدي سبأ.

ونظرا لتلك المقاصد العالية التي كانت في نظر الحسين مضافا إلى وفور علمه وسياسته التي كان لا يشك فيها اثنان لم يرتكب أمرا يوجب مجبورية بني أمية للدفاع حتى أنه مع ذلك النفوذ والاعتدار الذي كان له في ذلك العصر، لم يسع في تسخير البلاد الإسلامية وضمها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد إلى أن حاصروه في واد غير ذي زرع، قبل أن تبدو منه أقل حركة عدائية، أو تظهر منه ثورة ضد بني أمية.

لم يقل الحسين يوما: سأكون ملكا أو سلطانا، وأصبح صاحب سلطة، نعم، كان يث روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني أمية واضمحلال الدين أن دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميته وهو مسرور، ولما حوضر في تلك الأرض القفراء أظهر لهم من باب إتمام الحجة بأنهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطة يزيد، ولقد كان لهذا الإظهار الدال على سلامة نفس الحسين في قلوب المسلمين غاية التأثير.

قتل قبل الحسين ظلما وعدوانا كثير من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات، وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضد الأعداء، كما وقع مكررا في بني إسرائيل وقصة يحيى من أعظم الحوادث التاريخية، ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع.

أقول: وإتماما للفائدة أكثر نذكر بعض عبارات المسيو ماريين الألماني والتي لم يذكرها المصنف رحمه الله هنا:

وقال المسيو ماريين كذلك: الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف هو سبط محمد المتولد من ابنته وحبيته فاطمة عليهم السلام ويمكننا القول بأنه كان جامعا للأخلاق والصفات المستحسنة عند العرب في ذلك الزمان، ووارثا للشجاعة من أبيه، وأعلم المسلمين بأحكام دين جده، وحاويا بدرجة كاملة للوجود الذي هو أحب الصفات، وكان طلق اللسان، فصيح البيان للغاية، اتفق المسلمون بلا مخالف على حسن العقيدة في الحسين حتى أن الطوائف التي تدم أباه وأخاه تمدحه وتثني عليه، وكتبهم مشحونة بذكر ملكاته الحسنة، وسجاياه المستحسنة، وكان غيورا صادقا غير هيب، وإن لغالب فرق المسلمين عقائد عظيمة في الحسين عليه السلام، ولكن الذي نقدر أن نكتبه في كتابنا بكمال الطمأنينة، وبلا خوف المعارضة هو أن تابعي علي عليه السلام يعتقدون في الحسين أكثر مما تقوله النصارى في المسيح عليه السلام، فكما أننا نقول إن عيسى تحمل هذه المصائب لتكفير السيئات، هم يقولون ذلك في الحسين، ويعدون الشقيع المطلق يوم القيامة، والشئ الذي لا يقبل الإنكار أبدا.

إذا قلناه في الحسين هو أنه كان في عصره أول شخص سياسي، ويمكن أن نقول أنه لم يختر أحد من أرباب الديانات سياسة مؤثرة مثل سياسته، ومع أن أباه عليا هو حكيم الإسلام، وحكمياته وكتباته الشخصية لم تكن بأقل مما هو لسائر حكماء العالم المعروفين، لم يظهر منه مثل السياسة الحسينية.

ولأجل إثبات هذه المسألة يلزم الالتفات قليلا إلى تاريخ العرب قبل الإسلام، فنرى أنها كانت قرابة بين بني هاشم وبني أمية، أي أنهم بنو أعمام لأن أمية وهاشم أنجال عبد مناف، ومن قبل الإسلام كان بينهم نفور وكدورة بدرجة متناهية، وحصل بينهم مرارا مجادلات وقتال، وكان كل من الطرفين طالبا تأره من الآخر، وكان بنو هاشم وبنو أمية أعزاء محترمين في قريش، ولهم السيادة، بنو أمية من جهة الغنى والرئاسة الدنيوية، وبنو هاشم من جهة العلم والرئاسة الروحانية، وفي بدء الإسلام ازدادت العداوة بين بني هاشم وبني أمية إلى أن فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة، وأدخل في طاعته وتحت أمره عموم قريش وبني أمية، وفي الواقع استولى على رئاسة العرب الدينية والدنيوية، فلأجل ذلك ارتفع قدر بني هاشم بين العرب وإطاعتهم بنو أمية، وأضرم هذا التقدم في الباطن نار الحسد لبني هاشم في صدور بني أمية، وكانوا على استعداد للإيقاع ببني هاشم حقدًا عليهم.

فلما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتسع لهم المجال لذلك، فسعوا أولاً أن لا يكون الخليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصول ولاية العهد، بل على أصول أكثرية الآراء ولم تدع شدة مخالفة بني أمية أن تكون أكثرية الآراء في الخلافة بجانب بني هاشم، فهنا نال بنو أمية مأربهم، وتغلبوا على بني هاشم.

وبسبب الخلافة تمكن بنو أمية من الحصول على مقام منيع، فسهلوا الطريق لمستقبلهم، وكانوا يسعون في رفعة منزلتهم عند الخلفاء يوماً فيوماً، وأصبحوا ركناً من أركان السلطنة الإسلامية حتى أصبح الخليفة الثالث منهم، وأصبح بنو أمية متفوقين تفوقاً مطلقاً في كل عمل ومكان، ووطدوا مقامهم للمستقبل، ونظراً إلى تلك العداوة والثارات التي كانت لبني أمية عند بني هاشم حسب عوائد العرب في ذلك الزمان كان إظهارهم لخلوص العقيدة والنية الصافية للإسلام أقل من سواهم، وكانوا باطناً يرون من العار أن يتبعوا ديناً يكون ختامه باسم بني هاشم، ولكثرة المسلمين في ذلك الزمان كان بنو أمية يسيرون وراء مقاصدهم تحت ظل هذا الدين، ولم يعلنوا بمخالفته، وتظاهروا بمتابعتة، ولما رأوا أنفسهم في المقامات العالية، ووطدوا مقامهم في الجاه والجلالة، أظهروا تمردهم عن أحكام الإسلام حتى أنهم كانوا في المحافل يستهزئون بدين جاء به بنو هاشم.

ولما رأى بنو هاشم أن الأمر صار إلى هذا، واطلعوا على نوايا بني أمية لم يقعدوا عن العمل، وأظهروا للناس أعمال الخليفة الثالث بأساليب عجيبة، فأثاروا المسلمين عليه حتى آل الأمر إلى أن اشترك رؤساء طبقات المسلمين في قتله، وبأكثرية الآراء أصبح علي الخليفة الرابع.

من بعد هذه الواقعة تأكد بنو أمية أنها ستكون لبني هاشم السيادة والعظمة كما كانت لهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلهذا قام معاوية الذي كان حاكماً لبلاد الشام من قبل الخلفاء السابقين، وكان ذا اقتدار ودهاء ونظر بعيد ناشراً لواء العصيان على علي بدعوى أن قتل عثمان كان بإشارة منه وألقى الخلاف بين المسلمين وبتلك الطريقة التي كانت بين العرب قبل الإسلام شهر السيف بينهم.

ومعاوية وإن لم يغلب علياً في هذه الحروب العديدة، لكنه لم يكن مغلوباً، ولم يطل زمن تمرد بني أمية على رئاسة بني هاشم حتى قتلوا علياً عليه السلام وعندئذ تغلب معاوية، وصالحه الحسن الذي هو الأخ الأكبر للحسين وهو الخليفة الخامس، وعادت الخلافة إلى بني أمية فكان معاوية من جهة يسعى في تقوية ملكه، ومن جهة أخرى يسعى في اضمحلال بني هاشم، ولم يفتر دقيقة واحدة عن محوهم.

وكان الحسين مع أنه تحت نفوذ أخيه الحسن لم يطع بني أمية، ولم يظهر مخالفتهم وكان يقول علناً لا بد أن أقتل في سبيل الحق، ولا أستسلم للباطل، وكان بنو أمية في اضطراب منه، وبقي هذا الاضطراب إلى أن مضى الحسن ومعاوية وجلس يزيد في مقام أبيه على أصول ولاية العهد، وأبطلت الخلافة بأكثرية الآراء من بعد علي عليه السلام، ولكن بعد تعيينه لولاية العهد استحصل معاوية على صك بأخذ البيعة له من رؤساء القوم، ورأى الحسين عليه السلام من جهة أن حركات بني أمية الذين كانت لهم السلطة المطلقة والرئاسة الروحانية الإسلامية قاربت أن تززع عقيدة المسلمين من دين جده، ومن جهة أخرى كان يعلم أنه إذا أطاع يزيد أو لم يطعه، فبنو أمية نظراً لعداوتهم وبغضهم لبني هاشم لا يألون جهداً في محوهم، وإذا دامت هذه الحال مدة لا يبقى أثر لبني هاشم في عالم الوجود، فلهذا صمم الحسين عليه السلام على إلقاء الثورة بين المسلمين ضد بني أمية، كما أنه رأى من حين جلوس يزيد في مقام أبيه وجوب عدم إطاعته، ولم يخف مخالفته له.

وأضحى المسلمون أمة من الأمم التالفة، إذ لو بقي المنافقون على ما كانوا عليه من الظهور للعامة بالنيابة عن رسول الله والنصح لدينه صلى الله عليه وآله، وهم أولياء السلطة المطلقة والإرادة المقدسة لغرسوا من شجرة النفاق ما أرادوا وبثوا من روح الزندقة ما شأؤوا وفعلوا بالدين ما توجبه عداواتهم له وارتكبوا من الشريعة كل أمر يقتضيه نفاقهم.

وأما وشيئة الحسين عليه السلام المخضوبة بدمه الطاهر، لولا ما تحمله سلام الله عليه في سبيل الله ما قامت لأهل البيت عليهم السلام - وهم حجج الله - قائمة، ولا عرفهم - وهم أولوا الأمر - ممن تأخر عنهم أحد، لكنه - بأبي وأمي - فضح المنافقين، وأسقطهم من أنظار العالمين، واستلفت الأبصار مصيبتهم إلى سائر مصائب أهل البيت، واضطر الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها، وحملهم على التنقيب عن أسبابها، والفحص عن جذورها وبذورها واستنهض الهمم إلى حفظ مقام أهل البيت عليهم السلام، وحرك الحمية على الانتصار لهم، لأن

الطبيعة البشرية، والجملة الإنسانية تنتصر للمظلومين وتنتقم بجهدتها من الظالمين فاندفع المسلمون إلى موالاتة أهل البيت عليهم السلام حتى كأنهم قد دخلوا - بعد فاجعة الطف - في دور جديد، وظهرت الروحانية الإسلامية بأجلى مظاهرها، وسطع نور أهل البيت عليهم السلام بعد أن كان محجوبا بسحائب ظلم الظالمين، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنة فيهم عليهم السلام، فهدى الله بها من هدى لدينه، وضل عنها من عمى عن سبيله.

وكان الحسين - بأبي وأمي - على يقين من ترتب هذه الآثار الشريفة على قتله، وانتهاب رحله، وذبح أطفاله، وسبي عياله، بل لم يجد طريقا لإرشاد الخلق إلى الأئمة بالحق، واستنقاذ الدين من أئمة المنافقين - الذين خفي مكرهم، وعلا في نفوس العامة أمرهم - إلا الاستسلام لتلك الرزايا، والصبر على هاتيك البلايا، وما قصد كربلاء إلا لتحمل ذلك البلاء عهد معهود عن أخيه، عن أبيه، عن جده، عن الله عز وجل، ويرشدك إلى ذلك - مضافا إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة - دلائل أقواله، وقرائن أفعاله، فإنها نص فيما قلناه، وحسبك منها جوابه لأم سلمة إذ قالت له - كما في البحار وجلاء العيون وغيرهما - : يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإنني سمعت جدك صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ولدى الحسين بأرض يقال لها كربلاء.

فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وأني مقتول لا محالة، وليس لي منه بد، وقد شاء الله أن يراني مقتولا، ويرى حرمي مشردين وأطفالي مذبحين (١). وجوابه لأخيه عمر إذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد: حدثني أخوك أبو

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٨٩، دار السلام للنوري ١ : ١٠٢.

محمد، عن أبيه، ثم بكى حتى علا شهيقه، فضمه الحسين إليه وقال - كما في الملهوف وغيره - : حدثك أني مقتول.

قال: حوشيت يا ابن رسول الله.

فقال: بحق أبيك بقتلي خبرك؟

قال: نعم، فلو بايعت.

فقال عليه السلام: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته، أتظن أنك علمت ما لم

أعلم؟ (١)

والرؤيا التي رآها في مسجد جده صلى الله عليه وآله حين ذهب ليودعه وقول النبي له فيها - كما في أمالي الصدوق وغيره - : بأبي أنت كأني أراك مرملا بدمك بين عصاة من هذه الأمة ما لهم عند الله من خلاق (٢).

وكتابه إلى بني هاشم لما فصل من المدينة، وقوله فيه - كما في الملهوف نقلا عن رسائل ثقة الإسلام - : من لحق بي استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح (٣).

وخطبته ليلة خروجه من مكة (٤)، وقوله فيها - كما في الملهوف وغيره - :

(١) الملهوف: ١٠٠، الأخبار الطوال: ٢٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٩٣ المجلس (٣٠).

(٣) الملهوف: ١٢٩، كامل الزيارات: ٧٥، بصائر الدرجات: ١٤١.

(٤) ولها أسماء أخرى كثيرة منها: أم القرى، والنساسة، وأم رحم، وهي بيت الله الحرام. والمك: النقض والهلاك، وسمي البلد الحرام مكة لأنها تنقض الذنوب وتنفيها، أو تمك من قصدها بالظلم، أي تهلكه. انظر: معجم البلدان ٥: ١٨١ - ١٨٨، مجمع البحرين ٥: ٢٨٩.

كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس (١) و كربلاء (٢) إلى أن قال: -
ألا ومن كان باذلاً فينا وهجته، موطئاً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فيأني
راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى.
وقوله - كما في الملهوف وغيره - : لولا تقارب الأشياء، وهبوط الأجل (٣)
لقاتلتهم بهؤلاء (٤)، ولكنني أعلم يقيناً أن من هناك مصرعي ومصرع أصحابي، لا
ينجو منهم إلا ولدي علي (٥).
وجوابه لأخيه محمد بن الحنفية إذ قال له - كما في الملهوف وغيره - : يا
أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟
قال: بلى، ولكن أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال:
يا حسين، أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.
فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة
وأنت تخرج علي مثل هذا الحال؟

(١) كانت مقبرة عامة للنصارى قبل الفتح الإسلامي، وتقع في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى. انظر:
تراث كربلاء: ١٩.

(٢) الملهوف: ١٢٦، مقتل الخوارزمي ١: ١٨٦.

(٣) كذا في الأصل، وفي الملهوف: وحضور الأجل، وفي بعض المصادر: وحبوط الأجر.
(٤) أي الملائكة.

قال الواقدي و زرارة بن خلج: لقينا الحسين بن علي عليه السلام قبل أن يخرج إلى العراق، بثلاثة،
فأخبرناه بضعف الناس بالكوفة، وأن قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأوماً بيده نحو السماء، ففتحت
أبواب السماء، فنزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلا الله عز وجل، فقال عليه السلام: لولا تقارب
الأشياء و.....

أنظر الملهوف: ١٢٥ - ١٢٦.

(٥) الملهوف: ١٣١، مقتل الخوارزمي ١: ١٨٥.

قال: فقال له: قد قال لي: إن الله شاء أن يراهن سبايا. (١)
وجوابه لابن عباس وابن الزبير (٢)، إذ أشارا عليه بالإمساك فقال لهما - كما
في الملهوف وغيره - : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بأمر، وأنا ماض
فيه.

فخرج ابن عباس وهو يقول: وا حسينا. (٣)
وجوابه لعبد الله بن جعفر (٤) ويحيى بن سعيد إذ حاولا منه الرجوع فأبى
وقال لهما - كما في تاريخي ابن جرير، وابن الأثير وغيرهما - : رأيت رسول الله
صلى الله عليه وآله في المنام وأمرني ما أنا ماض له.
وقوله - في كلام له مع ابن الزبير - : وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه
الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، ووالله ليعتدن كما اعتدت اليهود

-
- (١) الملهوف: ١٢٨، تاريخ الطبري ٥: ١٩١، الكامل في التاريخ ٤: ٧.
(٢) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، بويع له الخلافة سنة ٦٤ هـ عقب موت
يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة
ملكه المدينة، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، سار لمحاربته الحجاج الثقفي في أيام
عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة وعسكر الحجاج في الطائل، ونشبت بينهما حروب
انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة بعد أن خذله أصحابه وذلك سنة ٧٣ هـ، مدة خلافته ٩ سنين.
أنظر: تاريخ ابن الأثير ٤: ١٣٥، تاريخ الطبري ٧: ٢٠٢، تاريخ الخميس ٢: ٣٠١.
(٣) الملهوف: ١٠١.
(٤) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، صحابي، ولد بأرض
الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، كان كريما يسمى بحر
الجود، وللشعراء فيه مدائح، وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم صفين، توفي بالمدينة
سنة ٨٠ هـ، وقيل: غير ذلك. انظر: الإصابة ترجمة رقم ٤٥٨٢، فوات الوفيات ١: ٢٠٩.

في السبت. (١)
وقوله في مقام آخر - كما في كامل ابن الأثير وغيره -: والله لا يدعونني
حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم
حتى يكونوا أذل من فرام المرأة (يعني من خرقة الحيض).
وقوله لأبي هرة [الأزدي] - كما في تاريخ ابن جرير وغيره -: وأيم الله
لتقتلني الفئة الباغية. (٢)
ورؤياه التي رآها لما ارتحل من قصر بني مقاتل (٣) - كما في تاريخ الطبري
وغيره - فقال حين انتبه: إنا لله وإنا إليه راجعون، الحمد لله رب العالمين - مرتين
أو ثلاثا - .
وقالوا: فأقبل عليه ابنه علي فقال: يا أبتاه، جعلت فداك مما حمدت الله
واسترجعت؟
فقال: يا بني، خفقت برأسي فعن لي فارس، فقال: القوم يسيرون والمنايا
تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا، فقال: يا أبت لا أراك الله سوءا، ألسنا
على الحق؟
قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد.
قال: إذا لا نبالي نموت محقين!

-
- (١) تاريخ الطبري ٥: ١٩١، تاريخ ابن الأثير ٦: ٧٤.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٣١، الملهوف: ١٣٢.
(٣) وهو مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب الذي نسب إلى قصر مقاتل،
وكان يقال بعد: قصر ابن مقاتل، ويقولون: قصر بني مقاتل. أنظر: أنساب الأشراف ٤: ٥١٥.

فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولدا عن والده. (١)
وقوله لما أخبر بقتل قيس بن مسهر الصيداوي (٢) - كما في تاريخ الطبري
وغيره - : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. (٣)
إلى غير ذلك من أقواله الصريحة بأنه كان على يقين مما انتهت إليه حاله،
وأنه ما خرج إلا ليبدل في سبيل الله نفسه وجميع ما ملكته يده، ويضحى في إحياء
دين الله أولاده وإخوته، وأبناء أخيه، وبني عمومته وخاصة أوليائه، والعقائل
الطاهرات من نسائه.

إذ لم ير السبب للدين الحنيف شفا* إلا إذ دمه في نصره سفكا
وما سمعنا عليلا لا علاج له* إلا بنفس مداويه إذا هلكا

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٢٩٠.

(٢) قيس بن مسهر أسدي من عدنان، كان من شجعان الكوفة ومن وجهاء قبيلة بني أسد،
وأحد مبعوثي الكوفة إلى الإمام الحسين سار مع مسلم بن عقيل من مكة إلى الكوفة، وبعد
مدة حمل كتاب مسلم وسار به إلى الحسين بمكة يخبره بمبايعة أهل الكوفة له.
ولما وافى الإمام الحسين الحاجز من بطن ذي الرمة، كتب كتابا لشيعة من أهل الكوفة
يعلمهم بالقدوم إليهم، ودفع الكتاب إلى البطل الفذ قيس بن مسهر الصيداوي، حتى انتهى
إلى القادسية فاستولت عليه مفرزة من الشرطة أقيمت هناك وعلى رأسها الحصين بن نمير
وهو من قادة جيش الكوفة، وأسرع قيس إلى الكتاب فخرقه لئلا تطلع الشرطة على ما فيه،
وأرسل مخفورا إلى عبيد الله بن زياد، الذي لم ينجح في الحصول على الأسماء الواردة
الكتاب.

ولما تناهى خبر استشهاده إلى الحسين استعبر باكيا وقال: " اللهم اجعل لنا ولشيعتنا
منزلا كريما عندك، واجمع بيننا وإياهم في مستقر رحمتك ". انظر: الإرشاد للمفيد: ٢٢٠،
تاريخ الطبري ٥ : ٣٩٤ - ٣٩٥، رجال الشيخ: ٧٩، حياة الإمام الحسين ٣ : ٦٢.
(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٤٨٨، إعلام الوري: ١٣٦.

بقتله ناح للإسلام طيب هدى * فكلما ذكرته المسلمون ذكا
وصان ستر الهدى عن كل خائنة * ستر الفواطم يوم الطف إذ هتكا
نفسى الفداء لفاد شرع والده * بنفسه وبأهليه وما ملكا
قد آثر الدين أن يحيى فقحمها * حيث استقام القنا الخطي واشتبكا (١)
على أن الأمر الذي انتهت إليه حاله كان من الوضوح بمثابة لم تخف على
أحد، وقد نهاه عن ذلك الوجه (جهلا بمقاصده السامية) كثير من الناس، وأشفقوا
عليه وأنذروه بلؤم بني أمية وغدر أهل العراق.
فقال له أخوه محمد بن الحنفية - كما في الملهوف وغيره - : يا أخي، إن
أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك
كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه.
[فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي
يستباح به حرمة هذا البيت.
فقال له ابن الحنفية:] فإن خفت فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنك
أمنع الناس به، ولا يقدر عليك [أحد].
فرده الحسين عليه السلام برأفة ورفق، وقال: أنظر فيما قلت. (٢)
وأناه ابن عباس فقال: يا ابن عم، قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق،
فبين لي ما أنت صانع؟
قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى.

(١) هذه الأبيات من قصيدة للشريف الفاضل السيد جعفر الحلبي يرثي بها جده عليه السلام.
(٢) الملهوف: ١٢٨.

فقال له ابن عباس - كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما -:
أعيدك بالله من ذلك، أفسر إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟
فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر
لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك
أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونون أشد
الناس عليك.

فردده الحسين عليه السلام رد رحمة وحنان فقال له: أستخير الله وانظر ما
يكون.

فخرج ابن عباس، ثم جاءه مرة أخرى فقال له - كما في تاريخي الطبري
وابن الأثير وغيرهما -: يا ابن عم، إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في
هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا
البلد، فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب
إليهم، فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن
بها حصونا وشعابا، ولأبيك بها شيعة، فتكتب إلى الناس وتبث دعواتك، فإني
أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية.

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم، إني لأعلم والله إنك ناصح مشفق،
ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير.

ودخل عليه عمر بن عبد الرحمن المخزومي (١) فقال له - كما في تاريخي
الطبري وابن الأثير وغيرهما -: إني مشفق عليك، إنك تأتي بلدا فيه عماله

(١) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. أنظر ترجمته في تهذيب الكمال
٤٩٣: ١٤.

وأمرأؤه، ومعهم بيوت وأموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله خيرا يا ابن عم، فقد علمت أنك

مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن. (١)

وكتب إليه عبد الله بن جعفر بعد خروجه من مكة - كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما - : أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلك اليوم طفئ نور الأرض، فإني علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في أثر كتابي والسلام. (٢)

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد (وهو عامل يزيد يومئذ بمكة) فقال له: اكتب للحسين كتابا تجعل له الأمان فيه، وتمنيه فيه البر والصلة، وأسأله الرجوع، ففعل عمرو ذلك، وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر فلحقاه وقرأ عليه الكتاب، وجهدا أن يرجع، فلم يفعل. وقال له عبد الله بن مطيع إذ اجتمع به في الطريق على بعض مياه العرب - كما في تاريخ الطبري وغيره - أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لأن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا

والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك، ورحمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل،

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٣٨٢، تاريخ ابن الأثير ٦ : ٢٣٨، مقتل الخوارجي ١ : ١٩٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢١٨، تاريخ ابن الأثير ٦ : ٣٢١.

ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية. (١)
قالوا: فأبى إلا أن يمضي إنجازا لمقاصده السامية.
ولقيه أحد بني عكرمة ببطن العقبة - كما في تاريخ الطبري وغيره - فقال له:
أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء،
فقدمت عليهم كان ذلك رأيا، فأما علي هذه الحال فإنني لا أرى لك أن تفعل، فقال
له: يا عبد الله إنه ليس يخفي علي، الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب علي
أمره. (٢)

ولقيه بعض بني تميم قريبا من القادسية - كما في تاريخ الطبري وغيره -
فقال له: ارجع فإنني لم أدع لك خيرا أرجوه. (٣)
وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب (٤) الشاعر في الصفاح (٥) - كما في تاريخ
الطبري وغيره - فقال له: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية. (٦)
وما التقى بالطريق بأحد إلا التمسه على الرجوع إشفاقا عليه من لؤم بني

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ١٤٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٩ .

(٤) هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، شاعر من النبلاء من أهل
البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان شريفا في قومه، وكان أبوه من الأشراف الأجواد، وكذلك
جده، توفي في بادية البصرة سنة ١١٠ هـ وقد قارب المائة من عمره. أنظر: خزنة الأدب ١ :
١٠٥ - ١٠٨، جمهرة أشعار العرب: ١٦٣ .

(٥) اسم منزل في شمال الطريق بين مكة وكربلاء، بين حنين وأنصاب الحرم. ومعنى الصفاح
الأرض المجاورة لسفح الجبل. أنظر: الأمالي الخميسية ١ : ١٦٦ .

(٦) تاريخ الطبري ٥ : ٢١٨، الكامل لابن الأثير ٤ : ١٦، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٣٣٨،
الأمالي الخميسية ١ : ١٦٦ .

أمية وغدر أهل العراق، وما كان ليخفي عليه ما ظهر لأغلب الناس، لكنه وهؤلاء
كما قيل: - أنت بواد والعدول بوادي.
ما نزل - بأبي وأمي - منزلا ولا ارتحل منه - كما في الإرشاد وغيره (١) - إلا
ذكر يحيى بن زكريا وقتله.
وقال يوما: من هوان الدنيا على الله إن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي
من بغايا بني إسرائيل (٢).

(١) الإرشاد: ١٣١، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٥٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨ - ٢٩٩، عوالم
الإمام الحسين: ٦٠٧ - ٦٠٨، تاريخ الطبري ٥: ٢٣٠.
(٢) ثمة أوجه شبه بين شهادة الإمام الحسين عليه السلام وشهادة بعض الأنبياء، ومن جملة
ذلك الشبه بين مقتله ومقتل النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام، فرأس يحيى قد وضع في
طشت من الذهب وأرسل إلى امرأة بغي وكذلك رأس الإمام الحسين عليه السلام أرسل بعد
مقتله إلى ابن زياد وإلى يزيد بطشت من ذهب.
وقد انتقم الله لدم يحيى أن سلط على أولئك القوم "نبوخذ نصر" فقتل منهم سبعين ألفا،
وأوحى الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله: أنني قتلت في مقابل قتل يحيى
سبعين ألفا، وسأقتل لقاء قتل ابن بنتك ضعف هذا العدد. ومثلما وضعوا رأس يحيى في
الطشت، ذبحوا الحسين بن علي أيضا في كربلاء، ولعل هذا التشابه هو الذي جعل الإمام
الحسين يذكر يحيى بن زكريا في كل موضع يحل فيه أو يرحل عنه، وقال في أحد الأيام،
إن من هوان الدنيا أن يهدى رأس النبي يحيى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.
أنظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٥٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨ - ٢٩٩، عوالم الإمام
الحسين: ٦٠٧ - ٦٠٨.

وهناك قصة طريفة يرويها صاحب تفسير البرهان في شرحه للحروف القرآنية المقطعة
في أول سورة مريم* (كهيعص)* فيقول: إن هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع عليها عبده
زكريا ثم قصها على محمد عليه وآله السلام. وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء
بالخمسة فأهبط عليه جبرائيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمدا وعليا وفاطمة
والحسن عليهم السلام سري عنه همه وانجلي كربه، وإذا ذكر اسم الحسين خنقته العبرة،
فسأل الله عن سبب ذلك فأخبره القصة فقال: كهيعص، فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك
العترة الطاهرة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه والصاد صبره، فلما سمع ذلك
زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام وأقبل على البكاء والنحيب. وكان يدعو ربه أن يرزقه ولد
تقر به عينه على الكبر، وأن يفتنه بحبه، ثم يفجعه به كما فجع محمدا بولده، فرزقه الله يحيى
وفجعه به، وكان حمله مثل الحسين ستة أشهر. أنظر: تفسير البرهان ٣: ٣.

فهل تراه أراد بهذا غير الإشارة إلى أن سبيله في هذا الوجه إنما هو سبيل
يحيى عليه السلام؟
وأخبره الأسديان (١) وهو نازل في الثعلبية (٢) - كما في تاريخ الطبري وغيره
- بقتل مسلم بن عقيل (٣)، وهاني بن عروة (٤)، وأنهما يجران بأرجلهما في
الأسواق

(١) وهما: عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل، وقد قالوا له: إنه ليس لك بالكوفة ناصر، بل
هم عليك. أنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ١٦.
(٢) الثعلبية - بفتح أوله - من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي
ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له الضويحة على ميل منها مشرف، وإنما سميت بالثعلبية
لإقامة ثعلبة بن عمرو بها، وقيل: سميت بثعلبة بن دودان بن أسد وهو أول من حفرها ونزلها.
أنظر: معجم البلدان ٢: ٧٨.

وفي هذا الموضع لقي الإمام الحسين عليه السلام الطرماح ودعاه إلى الانضمام إليه
فذهب الرجل ليوصل بضاعته إلى عائلته لكنه لما عاد كان الحسين عليه السلام قد قتل،
وفيه أيضا أتاه رجل نصراني مع أمه وأسلمها على يده، وفيه كذلك بلغه خبر شهادة مسلم بن
عقيل عليه السلام. أنظر: مقتل الحسين للمقرم: ٢١١.

(٣) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، تابعي من ذوي الرأي والعلم
والشجاعة، أمه أم ولد اشتراها عقيل من الشام، وجه به الإمام الحسين عليه السلام إلى
الكوفة ليأخذ له البيعة على أهلها، فخرج من مكة في منتصف شهر رمضان سنة ٦٠ هـ،
ودخل الكوفة في اليوم السادس من شهر شوال، وهو أول من استشهد من أصحاب الحسين
عليه السلام. أنظر: مقاتل الطالبين: ٨٠، الطبقات الكبرى ٤: ٢٩، تسمية من قتل مع
الحسين: ٥١، الأخبار الطوال: ٢٣٣، تاريخ الكوفة: ٥٩.

(٤) هاني بن عروة المذحجي المرادي الغطيفي: كان صحابيا كأبيه عروة، وكان معمرًا، وهو
وأبوه من وجوه الشيعة، وحضر مع أمير المؤمنين عليه السلام حروبه الثلاث وهو القائل يوم
الجمل:

يا لك حربا حثها جمالها * يقودها لنقصها ضلالها
هذا علي حوله أقبالها

كان من أركان حركة حجر بن عدي الكندي ضد زياد بن أبيه، قتله عبيد الله بن زياد في
اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ وبعث برأسه مع رأس مسلم إلى يزيد.
أنظر: رغبة الأمل ٢: ٨٦، جمهرة الأنساب: ٣٨٢، الأعلام ٨: ٦٨.

بلا نكير، فهل يمكن بعد هذا أن يبقى له أمل بنصرة أهل الكوفة، أو طمع في شيء من خيرهم!

والله ما جاءهم إلا يائسا منهم، عالما بكل ما كان منهم عليه. (١)
وقد كتب وهو نازل بزبالة (٢) كتابا قرئ بأمره على الناس، وفيه:
بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فضيع: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر (٣)، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم

- (١) الملهوف: ١٣٤، الكامل لابن الأثير ٤: ١٧.
- (٢) زبالة - بضم أوله - منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، نزل فيه الحسين عليه السلام. وزبالة معناه الموضع الذي يجتمع فيه الماء، والموضع الملىء بالماء، وقيل: اشتهر الموضع باسم زبالة بنت مسعر، وكانت زبالة قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، تسكنها بطون من بني أسد، وقد بنوا فيه مسجد وقلعة.
- وقال أبو عبيدة السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق فيها حصن وجامع لنبي غاضرة من بني أسد. أنظر: معجم البلدان ٣: ١٢٩.
- وفي هذا الموضع سمع الإمام الحسين بخبر شهادة عبد الله بن يقطر مبعوثه إلى أهل الكوفة وإلى مسلم بن عقيل، وقد استشهد بالتزامن مع شهادة مسلم وهاني. أنظر: مقتل الحسين للمقرم: ٢١٣، الحسين في طريقه إلى الشهادة: ٨٧.
- (٣) وقيل: عبد الله بن يقطر، كانت أمه حاضنة للحسين وكان قد ولد قبل الحسين بثلاثة أيام، كان أبوه يقطر خادما للرسول صلى الله عليه وآله، وأمّه ميمونة أرضعته سووية هو والحسين في دار علي عليه السلام، وهو من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله.
- قبض عليه وهو يحمل رسالة من الحسين بعد خروجه من مكة إلى مسلم بن عقيل، فأمر به عبيد الله ابن زياد فألقي من فوق القصر فتكسرت عظامه وبقي فيه رمق فأجهز عليه عبد الملك بن عمير اللخمي. أنظر: أنصار الحسين: ١٠٦، تاريخ الطبري ٣: ٣٥٩، الإصابة ٣: ٥٨، وفيه عبد الله بن يقظة.

الانصراف فليصرف ليس عليه منا ذمام. (١)
قال محمد بن جرير الطبري - في تاريخ الأمم والملوك - : فتفرق الناس
عنه تفرقا، فأخذوا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من
المدينة.

قال: وإنما فعل ذلك لأنه ظن إنما اتبعه الأعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلدا قد
استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون
قال: وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه. (٢)
وذكر أهل الأخبار: إن الطرماح بن عدي (٣) لما اجتمع به في عذيب

(١) الحسين في طريقه إلى الشهادة: ٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٤٧.

(٣) التحق الطرماح بن عدي بالإمام في أثناء الطريق، وصحبه بعض الوقت، ولما سأل
الحسين أصحابه إن كان أحد فيهم يخبر الطريق على غير الجادة، انبرى له الطرماح بن
عدي، فقال له: أنا أخبر الطريق، وسار بين أيديهم إلى كربلاء، وأخذ يحدو الإبل بقصيدة
مطلعها:

يا ناقتي لا تدعري من زجري * وشمري بنا قبل طلوع الفجر

بخير ركبان وخير سفر * حتى تجلي بكريم النجر

أتى به الله بخير أمر * ثمت أبقاه بقاء الدهر

واستأذن الطرماح من الإمام أن يمضي لأهله ليوصل إليهم الميرة ويعود إلى نصرته، فأذن
له، فانصرف، وعندما رجع ووصل إلى عذيب الهجانات بلغه مقتل الإمام، فأخذ يبكي على
ما فاتته من شرف الشهادة مع الحسين. انظر: أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسين عليه
السلام: ١٧٨.

الهبجانات (١) دنا منه فقال له - كما في تاريخ الطبري وغيره - : والله إني لأنظر فما أرى معك أحدا، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك - يعني الحر (٢) وأصحابه - لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم تر عينا في صعيد واحد جمعا أكثر منه، فسألت عنهم فقييل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحوا إلى حرب الحسين، فأنشدك الله إن قدرت أن لا تقدم عليهم شبرا إلا فعلت، فإن أردت أن تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي

(١) اسم لأحد المنازل قرب الكوفة مر به سيد الشهداء، وسمي بالعذيب لما كان فيه من الماء العذب، وهو لبني تميم وهو قريب من عذيب القوادس، وعذيب القوادس ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وكان فيه ماء وبئر وبركة ودور وقصر ومسجد، وكانت فيه مسلحة للفرس. (معجم البلدان ٤ : ٩٢).

في هذا المنزل لقي أبو عبد الله عليه السلام أربعة رجال قادمين من الكوفة وفيهم نافع بن هلال وبعد أن كلمهم الإمام انضموا إليه وقاتلوا معه، وعند حركة قافلة الإمام تحرك الحر بجيشه أيضا، وفي الأثناء أتى كتاب ابن زياد إلى الحر يدعو فيه للتضييق على الحسين فعمل الحر على منع القافلة من المسير.

(٢) الحر بن يزيد بن ناجية بن سعيد من بني رياح بن يربوع، من الشخصيات البارزة في الكوفة، قائد من أشرف تميم، أحد أمراء الجيش الأموي في كربلاء، وكان يقود ربع تميم وهمدان، التقى مع الحسين عليه السلام عند جبل ذي حسم، تاب قبل نشوب المعركة لما أقبلت خيل الكوفة تريد قتل الحسين وأصحابه وأبى أن يكون منهم، فانصرف إلى الحسين، فقاتل بين يديه قتالا عجيبا حتى استشهد.

انظر: تاريخ الطبري ٥ : ٤٢٢، رجال الشيخ: ٧٣، البداية والنهاية ٨ : ١٧٢، الأعلام ٢ : ١٧٢، أنصار الحسين: ٨٤ - ٨٥.

يدعى (أجأ) (١) امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله ما دخل علينا فيه ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعت إلى الرجال ممن ب (أجأ) و (سلمى) من طيء، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيء رجالا وركبانا، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم، والله لا يوصل إليك أبدا ومنهم عين تطرف.

فقال له: جزاك الله وقومك خيرا، وأبى أن ينصرف عن مقصده. وأنت تعلم أنه لو كان له رغبة في غلبة، أو ميل إلى سلطان، لكان لكلام الطرماح وقع في نفسه عليه السلام، ولظهر منه الميل إلى ما عرضه عليه، لكنه - بأبي وأمي - أبى إلا الفوز بالشهادة، والموت في إحياء دين الإسلام، وقد صرح بذلك فيها تمثل به، إذ قال له الحر: أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن.

فقال عليه السلام - كما في تاريخ الطبري وغيره (٢) - :
سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مشورا وخالف مجرما
وحسبك في إثبات علمه من أول الأمر بما انتهت إليه حال ما سمعته من
إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتله في شاطئ الفرات بموضع يقال له: كربلاء
وبكائه عليه، ونداء أمير المؤمنين عليه السلام لما حاذى نينوى وهو منصرف إلى

(١) قال الزمخشري: أجأ وسلمى جبلان... و "أجأ" سمي باسم رجل وسمي "سلمى" باسم امرأة، وقد تغنى الشعراء بقصة جبهما. (معجم البلدان ١: ٩٤ - ٩٩). (٢) تاريخ الطبري: ٥: ٢٣٨، تاريخ ابن الأثير ٦: ٢١٣.

صفيين: صبرا أبا عبد الله، صبرا أبا عبد الله بشاطئ الفرات. (٢)
وقوله إذ مر بكر بلاء: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وها هنا
مهراق دمائهم.
وقول الحسين عليه السلام لأخيه عمر: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله
عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وإن تربتي تكون بقرب تربته.
وقول الحسن للحسين عليهما السلام - كما في أمالي الصدوق وغيرهما -
من جملة كلام كان بينهما: ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون
ألف رجل، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك
ونسائك، وانتهاج ثقلك، فعندها يحل الله ببني أمية اللعنة. (١)
إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أن قتل الحسين عليه السلام كان
معروفا عند أهل البيت منذ أخبر الله به نبيه صلى الله عليه وآله، بل صريح أخبارنا
أن ذلك مما أوحى إلى الأنبياء السابقين، وقد سمعت ما أشرنا إليه من بكائهم
عليهم السلام، ويظهر من بعض الأخبار أن قتل الحسين عليه السلام كان معروفا
عند جملة من الصحابة والتابعين حتى أنهم ليعلمون أن قاتله عمر بن سعد.
وحسبك ما نقله ابن الأثير حيث ذكر مقتل عمر بن سعد في كامله عن
عبد الله بن شريك قال: أدرك أصحاب الأردية المعلمة، وأصحاب البرانس السود
من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد، قالوا: هذا قاتل الحسين عليه
السلام، وذلك قبل أن يقتله.
قال: وقال ابن سيرين: قال علي لعمر بن سعد: كيف أنت إذا قمت مقاما
(٢) أمالي الطوسي ١: ٣٢٣.

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٣.

تخير فيه بين الجنة والنار، فتختار النار. (١)
أترى الحسين عليه السلام كان جاهلا بما عليه أصحاب السواري؟
كلا، والله ما علم أصحاب البرانس السود ذلك إلا منه، أو من أخيه، أو من
جده، أو من أبيه.
وقد أطلنا الكلام في هذا المقام، إذ لم نجد من وفاه حقه، وخرج من عهده
التكليف بإيضاحه، والحمد لله على التوفيق لتحرير هذه المسألة، وتقدير
شواهدا وأدلتها على وجه تركز النفس إليه، ولا يجد المنصف بدا من البناء
عليه، بل لا أظن أحدا يقف على ما تلوناه، ثم يرتاب فيما قرناه.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) تاريخ ابن الأثير ٦: ٣١٦، الطبقات ٥: ١٢٥، الأعلام ٥: ٤٧.

المجالس الفاخرة
في
مآتم العترة الطاهرة

التعريف الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خاتم رسله، وأهدى سبله، محمد سيد الأنبياء، وأفضل من أخلته الأرض ومن عرج به إلى السماء، وعلي آله المعصومين المظلومين، الذين افترض الله تعالى مودتهم وولايتهم وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: فيقول العبد الجاني علي بن إسماعيل بن جواد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن إبراهيم - الملقب بشرف الدين - الموسوي العاملي غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه: إن سيدنا ومولانا سماحة الإمام وآية الله الملك العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي رفع الله درجته كان قد ألف سنة ١٣٣٠ هـ كتاب "المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة"، فجعله عبارة عن مقدمة وأربعة أجزاء في مجلدات أربعة، وفي سنة ١٣٣٢ هـ شرع في طبعه، فما تم طبع المقدمة حتى طرقت العالمين طوارق الحرب العامة (١) فمنعت من إكمال الطبع. وفي سنة ١٣٣٨ هـ مني قدس الله سره في سبيل الله بما مني به أجداده الطاهرون، فشرد في الله عز وجل، ونهبت داره، وتمزقت - بعين الله تعالى - كتبه كل ممزق، فكان هذا الكتاب مما أصيبت الأمة بفقدته يومئذ. وكان المجلد الأول منه: في هدي النبي وسيرته صلى الله عليه وآله منذ نشأ

(١) أي الحرب العالمية الأولى والتي اندلعت سنة ١٩١٧ م.

حتى اختار الله له دار كرامته، وقد تتبع خصائصه المقدسة قبل البعثة وبعدها، فمثلها أعلاما لنبوته، وآيات بينات على صدق دعوته، فكانت شؤونه بمجرد ما أدل على رسالته من سائر معجزاته الباهرة، وآياته الظاهرة، وقد أقام قدس سره من أفعال النبي وأقواله صلى الله عليه وآله أدلة محسوسة، وبراهين ملموسة، على طرز حديث، وأسلوب جديد، يألفه فلاسفة العصر ولا يسعهم أن يقفوا أمامه إلا موقف التسليم طوعا أو كرها.

المجلد الثاني: في أحوال أمير المؤمنين، وسيدة نساء العالمين، ومجتابهما أبي محمد السبط الأكبر سيد شباب أهل الجنة، وقد اشتمل على سيرتهم ومناقبتهم وفضائلهم، وقد أوردتها - أعلى الله مقامه - على وجه الاستدلال على عصمتهم وإمامتهم عليهم السلام.

المجلد الثالث: خاص بسيد الشهداء أرواحنا له الفداء.

المجلد الرابع: في التسعة من أبناء المعصومين عليهم السلام، وقد اشتمل على ما لم يأت به أحد من الاستدلال على إمامة التسعة بمجرد هديهم وسمتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وقد أبرز أسراراً مكنونة، وحكما في أفعالهم بالغة. وتخلص في كل مجلس من مجالس الأجزاء الأربعة إلى مصائب أهل البيت عليهم السلام الدالة على جلاله قدرهم، وعظيم صبرهم، فأسفا على فقد هذا الكتاب الذي لم يبق منه إلا مقدمته المطبوعة كرسالة على حدة، وهي في بابها مما لا نظير له، وقد أثبت فيها بالأدلة الشرعية، والفلسفة العقلية، حسن المآتم الإمامية، والمظاهرات الحسينية، بما لم يسبق إليه، ولا يلحق فيه. وقد التقطت من أفواه قراء المآتم بعض المجالس المحفوظة، وهي غير مرتبة، ولا واقعة في مواقعها التي أوقعها فيها المؤلف أعلى الله مقامه.

وجمعتها في حياته قدس الله نفسه الزكية، وقرأتها عليه من أولها حتى انتهائها، فأقرها، وحبذ عملي هذا وباركه.
وإنا خسرنا - كما خسرت الأمة الإسلامية - قائداً حكيماً، ومصلحاً عظيماً، وبطلاً معلماً من أبطال الفكر والقلم، والعلم والعمل، والإصلاح والبناء، تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه الفسيح من جنانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
وكان أعلى الله مقامه قد ألقى نظرة على المقدمة، ورتبها بعض الترتيب وحوورها مجالس نثنتها كما هي بلا نقیصة ولا زیارة.

مقدمة الكتاب (١)

الأصل العملي يقتضي إباحة البكاء على مطلق الموتى من المؤمنين، وراثتهم بالقريض، وتلاوة مناقبهم ومصائبهم، والجلوس حزنا عليهم، والإنفاق عنهم في وجوه البر، ولا دليل على خلاف هذا الأصل، بل السيرة القطعية، والأدلة اللفظية حاكمان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأمور إذا كان الميت من أهل المزايا والآثار النافعة، وفقا لقواعد المدنية، وعملا بأصول العمران، لأن تمييز المصلحين يكون سببا في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعيا إلى كثرة الناسجين على منوالهم، وتلاوة أخبارهم ترشد العالمين إلى اقتفاء آثارهم، وذكرى ما أصاب الأئمة في سبيل مصالح الأمة، تبعث فيها إلى روح الإيمان والهدى، وتأخذ بأعناقها وقلوبها إليهم، وإن طال العهد وبعد المدى.... وهنا مطالب خمسة:

الأول: في البكاء.

الثاني: في الرثاء.

الثالث: في تلاوة مناقب الميت ومصائبه.

الرابع: في الجلوس حزنا عليه.

الخامس: في الإنفاق عنه في وجوه البر.

(١) ذكرت هذه المقدمة بالتفصيل في " المقدمة الزاهرة " التي تجدها في أول كتابنا هذا، وقمنا هناك بذكر مصادر جميع الروايات التي وردت فيها، ولذا سوف لا نعيد تخريج الروايات هنا إلا تلك التي لم تذكر في " المقدمة الزاهرة ". المحقق.

وهذه المطالب الخمسة هي كل ما تقوم به الشيعة في مجالسها الحسينية. ونحن في هذه المقدمة نثبت استحبابها شرعا، وإنا مقتدون فيها بأهل بيت العصمة، ومعدن الهدى والرحمة، وأن الحكم فيها بين الرجال والنساء سواء، وأن الفلسفة الصحيحة تقتضي رجحان هذه المآتم عقلا، وتفصيل ذلك كله في مجالس.

المجلس الأول: في البكاء

لا ريب في جواز البكاء على موتى المؤمنين، بدليل فعل النبي صلى الله عليه وآله.

أما فعله فمتواتر في موارد عديدة:

- (١) أحدها: يوم مات عمه وكافله أبو طالب.
- (٢) ثانيها: يوم استشهاد عمه الحمزة في أحد.

(١) قال (رحمه الله):... روي عن علي عليه السلام قال: لما مات أبو طالب أخبرت النبي صلى الله عليه وآله بموته، فبكى وقال: اذهب فاغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

(٢) قال (رحمه الله): فعن ابن مسعود: ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله باكيا أشد من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق - أي شهق حتى بلغ الغشي - يقول: يا عم رسول الله، يا حمزة، يا أسد الله، وأسد رسول الله، يا حمزة، يا فاعل الخيرات، يا حمزة، يا كاشف الكربات، يا ذاب عن وجه رسول الله... إلى آخر نياحته وندبته... (أنظر: السيرة الحلبية ١: ٤٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٣٨٧).

وسائر من أرخ مقتل حمزة في غزوة أحد، وترى ندبة النبي ونياحته هذه قد عدد فيها محاسن عمه بما يهيج الحزن واللوعة عليه.

وقال ابن عبد البر في ترجمة حمزة من الاستيعاب: لما رأى النبي صلى الله عليه وآله حمزة قتيلا بكى، فلما رأى ما مثل به شهق.

وذكر المؤرخون: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يومئذ إذا بكت صافية يبكي، وإذا نشجت ينشج، قالوا: وجعلت فاطمة تبكي، فلما بكت بكى رسول الله.

وهذا الحديث حجة من جهة جواز البكاء من جهة أنه بكى صلى الله عليه وآله، ومن جهة أنه أقر صافية والزهراء على بكائهما، على أن مجرد بكاء سيدة النساء حجة قاطعة.

ثالثها: يوم استشهد ابن عمه جعفر، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة
في مؤتة. (١)

رابعها: يوم مات ولده إبراهيم إذ بكى عليه. فقال له عبد الرحمن بن عوف
: وأنت يا رسول الله!

قال: يا بن عوف، إنها رحمة (٢) ثم أتبعها - يعني عبرة - بأخرى فقال صلى
الله عليه وآله: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا
بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

خامسها: يوم زار صلى الله عليه وآله قبر أمه آمنة، فبكى وأبكي من

(١) قال (رحمه الله): ذكر ابن عبد البر في أحوال جعفر من استيعابه: أن النبي صلى الله عليه وآله بكى
على جعفر وزيد وقال - يندبهما - : أخوأي ومؤنساي ومحدثاي.
وأخرج البخاري في أبواب الجنائز من صحيحه: أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى
جعفرا وزيدا وابن رواحة وإن عينيه لتذرفان.

(٢) قال (رحمه الله): أخرجه البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وآله: إنا بك لمحزونون، من
أبواب الجنائز... ولا يخفى ما في تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء، وأراد بقوله:
إن العين تدمع... إلى آخره: أن لا إثم بدمع العين وحزن القلب، وإنما الإثم بقول ما يسخط
الرب، كالاغتراف عليه عز وجل.

حوله. (١)

سادسها: يوم ماتت إحدى بناته صلى الله عليه وآله، إذ جلس على قبرها وعيناه تدمعان.

سابعها: يوم مات صبي لإحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟

قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. (٢)

ثامنها: يوم اشتكى سعد بن عبادة فأتاه النبي صلى الله عليه وآله يعودته ومعه بعض أصحابه، فوجده في غاشية أهله، فقال صلى الله عليه وآله: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلى الله عليه وآله، فلما رأى القوم

(١) قال (رحمه الله): وهذا الحديث يشتمل على فعله وتقريره صلى الله عليه وآله، فهو حجة من جهتين.

أقول: روى الشيخ الطبرسي في إعلام الوري بأعلام الهدى بإسناده عن بريدة قال: انتهى النبي صلى الله عليه وآله إلى رسم قبر، فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب، ثم بكى، فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: هذا قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي فأدركتني رقتها فبكيت، فما رأيت ساعة أكثر باكيا من تلك الساعة. فانظر - عزيزي القارئ - بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله على أمه وإقامته المأتم عليها بعد عشرات من السنين، حتى بكى وأبكى أصحابه، وهي باعتقاد أهل السنة كافرة، لهذا روى مسلم هذا الحديث: استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يأذن لي؟! أنظر: إعلام الوري: ٣١٦، إرشاد الساري - الهامش - ٤: ٣٢٥، كتاب الجنائز. (٢) قال (رحمه الله): تأمل في قوله صلى الله عليه وآله: هذه رحمة، وقوله صلى الله عليه وآله: وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، يتضح لك استحباب البكاء.

بكاءه بكوا، فقال صلى الله عليه وآله: إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب... الحديث. (١)

والصاحح الدالة على بكائه على الموتى مما لا يكاد يحصى.
وأما قوله صلى الله عليه وآله وتقريره الدالان على جواز البكاء
فمستفيضان ومواردهما كثيرة.

أحدها: يوم استشهد جعفر الطيار، إذ جاءت النبي صلى الله عليه وآله
امرأته أسماء بنت عميس فعزاها، ودخلت فاطمة عليها السلام وهي تبكي
وتقول: واعماه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: على مثل جعفر فلتبك البواكي. (٢)
ثانيها: يوم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من أحد، وجعلت نساء
الأنصار يبكين على من قتل من رجالهن.
فقال - بعد أن أقرهن على البكاء - : ولكن حمزة لا بواكي له، ثم نام فانتبه
وهن يبكين حمزة فهن إلى اليوم إذا بكين يندبن حمزة. (٣)

(١) قال (رحمه الله): وهذا الحديث حجة من ثلاث جهات، فعل النبي صلى الله عليه وآله وقوله وتقريره.
(٢) قال (رحمه الله): هذا الحديث مستفيض وطرقه صحيحة، وقد ذكره ابن عبد البر في ترجمة جعفر
من الاستيعاب، وهو مشتمل على تقرير النبي صلى الله عليه وآله على البكاء وأمره به،
على أن مجرد بكاء الزهراء حجة بالغة.
(٣) قال (رحمه الله): ولا تنس كلمة النبي صلى الله عليه وآله في طلب البكاء على حمزة وما فيها من
الدلالة على

الاستحباب، وحسبك بها، ويقول: على مثل جعفر فلتبك البواكي دليلا على ذلك...
وأما ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وفي
رواية: ببعض بكاء أهله عليه. وفي رواية: يبكاء الحي. وفي رواية: يعذب في قبره بما ينح
عليه. وفي رواية: من يبك عليه يعذب. فإنه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل.
قال الفاضل النووي - عند ذكر هذه الروايات في باب الميت - ما هذا لفظه: هذه
الروايات كلها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله.
[قال:] وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجت بقوله تعالى:
* (ولا تزر وازرة وزر أخرى) * إلى آخر كلامه.

وأنكر هذه الروايات أيضا ابن عباس واحتج على خطأ راويها، والتفصيل في
الصحيحين وشروحهما، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتى
أخرج الطبري في حوادث سنة ١٣ من تاريخه عند ذكر وفاة أبي بكر في الجزء الرابع من
تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيب قال: لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح،
فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين،
وقال عمر لهشام بن الوليد: أدخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة. فقالت عائشة لهشام حين
سمعت ذلك من عمر: إني أخرج عليك بيتي. فقال عمر لهشام: أدخل فقد أذنت لك، فدخل
هشام وأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر فعلاها بالدرة، فضربها ضربات، فتنفرق النوح
حين سمعوا ذلك.

قلت: كأنه لم يعلم تقرير النبي صلى الله عليه وآله نساء الأنصار على البكاء على موتاهن، ولم يبلغه قوله صلى الله عليه وآله: " لكن حمزة لا بواكي له "، وقوله صلى الله عليه وآله: " على مثل جعفر فلتبك البواكي "، وقوله صلى الله عليه وآله: " إنما يرحم الله من عباده الرحماء ".

ولعله نسي نهي النبي صلى الله عليه وآله إياه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسي نهيه إياه عن انتهارهن في مقام آخر.

ثالثها: يوم ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حيث بكت عليها النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه - مع أن النبي صلى الله عليه وآله أقرهن على البكاء -، فقال صلى الله عليه وآله: دعهن يبكين.
ثم قال صلى الله عليه وآله: مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة... وقعد صلى الله عليه وآله على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي،

فجعل صلى الله عليه وآله يمسح دمعها بثوبه رحمة لها.
رابعها: يوم مرت جنازة علي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعها بواكي
فنهزن عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: دعهن يا عمر، فإن النفس
مصابة والعين دامعة.

إلى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاؤه....

وقد بكى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، إذ غيب الله ولده.
وقال: * (وقال يا أسفا على يوسف وبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) * (١) حتى
قيل: ما جفت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما، وما على
وجه الأرض أكرم على الله تعالى منه.....

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه سأله جبرائيل عليه السلام: ما بلغ

وجد يعقوب على يوسف؟

قال: وجد سبعين تكلي.

قال: فما كان له من الأجر؟

قال: أجر مائة شهيد.

أقول: أي عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء: بعد ثبوته عن الأنبياء * (ومن
يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) * (٢)، وقد استمرت سيرة الأئمة على
الندب والعيول، وأمروا أوليائهم بإقامة ماتم الحزن على الحسين جيلا بعد جيل.
قال الصادق عليه السلام: إن علي بن الحسين عليهما السلام بكى على أبيه

(١) سورة يوسف: ٨٤. (٢) سورة البقرة: ١٣٠.

مدة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى ولا أوتي بشراب إلا بكى، حتى قال له بعض مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف أن تكون من الهالكين. قال عليه السلام: * (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) * (١). (٢)

وفي رواية أخرى قال: ويحك إن يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولدا فغيب الله واحدا منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم وابنه حي في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر (٣) من أهل بيتي مقتولين حولي.

وكان إذا أخذ إناء ليشرب بكى حتى يملأها دما، ف قيل له في ذلك، فقال: كيف لا أبكي وقد منع أبي الماء الذي كان مطلقا للسباع والوحوش... وعن الصادق عليه السلام: البكاؤون خمسة: آدم بكى على الجنة،

ويعقوب بكى على يوسف، ويوسف بكى على يعقوب، وفاطمة بكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قيل لها: أذيتنا بكثرة بكائك، وعلي بن الحسين بكى على أبيه حتى لحق بربه، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، وكان يقول: إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك العبرة... (٤)

وقال الصادق عليه السلام: وكان جدي علي بن الحسين عليهما السلام إذا ذكره - يعني الحسين بأبي وأمي - بكى حتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه [قال]: وأن الملائكة الذين عند قبره ليكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء،

(١) سورة يوسف: ٨٦.

(٢) و (٣) كامل الزيارات: ١٠٧ ح ١.

(٤) أنظر تعليقتنا حول عدد الشهداء من أهل البيت عليهم السلام في المقدمة الزاهرة ص: ٦١.

وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدى حقنا.

وقال الرضا عليه السلام: إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال فاستحلت فيه دماءنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسببت فيه ذرارينا ونساءنا، وأضرمت النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا.

إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى فيه ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم مصيبته وحزنه وبكائه...

وقال عليه السلام: من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

وعن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال لي: يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، إذ قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله.

يا بن شبيب، إن كنت باكيا لشيء فابك للحسين عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض من

شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع لقتله - إلى أن قال: -
يا بن شبيب، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلي، فاحزن لحزننا،
وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا....
وقال عليه السلام: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له
حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبتة وحزنه وبكائه، جعل
الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه...
وعن الباقر عليه السلام قال: كان أبي يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل
الحسين عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده، صرف الله عن وجهه الأذى،
وآمنه يوم القيامة من سنخه والنار...
وقال الصادق عليه السلام لفضيل بن يسار: أتجلسون وتحدثون؟ قال:
نعم، جعلت فداك.
قال عليه السلام: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من
أحيا أمرنا.
يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر
الله له ذنوبه....
وعن أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله
الصادق عليه السلام في يوم قط فرؤى فيه مبتسما إلى الليل.
قال: وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول: الحسين عبرة كل مؤمن....
وعن الصادق عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبارة،

لا يذكرني مؤمن إلا استعبر (١).... جعلت فداك
يا بن النبي المصطفى ووصيه * وأخا الزكي ابن البتول الزاكية
تبكيك عيني لا لأجل مثوبة * لكنما عيني لأجلك باكية
تبتل منكم كربلا بدم ولا * تبتل مني بالدموع الجارية
أنست رزيتكم رزاينا التي * سلفت وهونت الرزايا الآتية
ولقد يعز على رسول الله أن * تسبى نساءه إلى يزيد الطاغية
ويرى حسينا وهو قره عينه * ورجاله لم تبق منهم باقية
وجسومهم تحت السناكب بالعرى * ورؤوسهم فوق الرماح العالية
ويزيد يقرع ثغره بقضيبه * مترنما منه الشمامة بادية (٢)

(١) قال (رحمه الله): إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة بمعناها عن الأئمة الأبرار، وناهيك بها حجة على رجحان المآتم الحسينية، واستحبابها شرعا، فإن أقوال أئمة الثقلين وأفعالهم وتقريرهم، حجة لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرر في مظانه من كتب المتكلمين من أصحابنا.

وكنا فصلنا القول فيه في كتابنا الكبير " سبيل المؤمنين "، على أن الاقتداء بهم لا يتوقف - عند الخصم - على عصمتهم، بل يكفينا فيه ما اتفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة وأضرابهم كالثوري، والأوزاعي علما ولا عملا.

وأنت تعلم أن هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة، أو صاحبيه أبي يوسف والشيباني، لاستبق الخصم إليها، وعكف أيام حياته عليها، فلم ينكرها علينا، ويندد بها بعد ثبوتها عن أئمة أهل البيت يا منصفون!؟

(٢) وهي للشيخ عبد الحسين الأعسم، وهو ابن الشيخ محمد علي بن الحسين بن محمد الأعسم الزبيدي النجفي، وفد في حدود ١١٧٧ وتوفي سنة ١٢٤٧ هـ بالطاعون العام في النجف، كان فقيها عالما محققا أدبيا وشاعرا. انظر أدب الصف للسيد المجاهد جواد شبر ٦: ٢٨٩.

قد أوهنت جلدي الديار الخالية * من أهلها ما للديار ومالية
ومتى سألت الدار عن أربابها * يعد الصدى منها سؤالي ثانية
ومعالم أضحت مآتم لا ترى * فيها سوى ناع يجاوب ناعية
كانت غياثا للمنوب فأصبحت * فلجميع أنواع النوائب حاوية
ورد الحسين إلى العراق وظنهم * تركوا النفاق إذ العراق كما هية
قست القلوب فلم تمل لهداية * تبا لها تيك القلوب القاسية
ما ذاق طعم فراتهم حتى قضى * عطشا فغسل بالدماء القانية
لابن النبي المصطفى ووصيه * وأخي الزكي ابن البتول الزاكية
تبكيك عيني لا لأجل مثوبة * لكنما عيني لأجلك باكية
تبتل منكم كربلا بدم ولا * تبتل مني بالدموع الجارية
أنست رزيتكم رزاينا التي * سلفت وهونت الرزايا الآتية
وفجائع الأيام تبقى مدة * وتزول وهي إلى القيامة باقية
لهفي لركب صرعوا في كربلا * كانت بها آجالهم متدانية

نصروا ابن نبيهم طوبى لهم * نالوا بنصرتهم مراتب سامية

(١٣٧)

المجلس الثاني: في الرثاء
لا ريب في جواز رثاء موتى المؤمنين، لأصالة الإباحة، وعدم الدليل على
خلافها (١) وقد رثى آدم ولده هابيل، واستمرت على ذلك ذريته إلى يومنا هذا بلا

(١) قال (رحمه الله): لكن الذي يظهر من القسطلاني - في باب رثى النبي سعد بن خولي ص ٣١٨ من
الجزء ٣٠ من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري - أن جماعة يفصلون القول في
الرثاء فيحرمون منه ما اشتمل على مدح الميت وذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن
وتهيج اللوعة، ويبيحون منه ما عدا ذلك، والحق إباحته مطلقا إلا إذا اشتمل على الباطل،
إذ لا دليل على الحرمة، والنهي الذي يزعمون إنما يستفاد منه الكراهة في موارد آخر ليست
موضوع بحثنا، على أن النهي غير صحيح عندنا.

نكير.

وأقر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أصحابه مع إكثارهم من تهيج الحزن به، وتفننهم في ذلك بذكر مدائح الموتى في أخلاقهم وأفعالهم (١). ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله تنافست فضلاء الصحابة في رثائه.

فرثته بضعتة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام بأبيات تهيج الأحزان، ذكر القسطلاني منها هذين البيتين:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام صرن لياليا

(١) قال (رحمه الله): تلك مراثيهم في كتب الأخبار، فراجع " الاستيعاب " إن أردت بعضها أحوال سيد الشهداء حمزة، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ، وشماس بن عثمان بن الشريد، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وأبي خراش الهذلي، وإياس بن بكير الليثي، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم. ولاحظ من " الإصابة " أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب، وأبي زيد الطائي، وأبي سنان بن حريث المخزومي، والأشهب بن رميلة الدارمي، وزينب بنت العوام، وعبد الله بن عبد المدان الحارثي، وجماعة آخرين لا يحضرني أسمائهم، ودونك كتاب (الدرة في التعازي والمراثي) وهو في أول الجزء الثاني من العقد الفريد تجد فيه مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئا كثيرا. وإذا تتبعت كتاب " أسد الغابة " تجد الكثير من مراثي الصحابة، وليس شيء مما أشرنا إليه إلا وقد اشتمل على ما يهيج الحزن، ويجدد اللوعة بمدح الميت بالحق، وذكر محاسنة بالصدق. أقول: وقد فصلنا الكلام في كل ما ذكره المصنف رحمه الله في مقدمة الكتاب، فيمكنك مراجعة ذلك للاطلاع أكثر على تلك المراثي وغيرها.

ورثته أيضا بأبيات تثير الأشجان، ذكر ابن عبد ربه منها هذين البيتين:
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا * لما نعت وحالت دونك الكتب
ورثاه كل من عمته صفية، وابن عمه أبي سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب، وأبي ذؤيب الهذلي، وأبي الهيثم بن التيهان، وأم رعدة القشيرية،
وعامر بن الطفيل وغيرهم.

ومن استوعب الاستيعاب، وتتبع طبقات ابن سعد وأسد الغابة والإصابة
يجد من مرثي الصحابة شيئا كثيرا. (١)

وقد أكثر الخنساء - وهي صحابية ذات شأن - من رثاء أخويها صخر
ومعاوية - وهما كافران - وأبدعت في مدائح صخر، وأهاجت عليه لواعج
الأحزان، على أنها كانت من الصالحات، وقد بذلت أولادها الأربعة في نشر
الدعوة الإسلامية، وسرها قتلهم في هذا السبيل، وما برحت ترثي أخويها حتى
ماتت، فما أنكر عليها في ذلك أحد.

وأكثر أيضا متمم بن نويرة من تهيج الحزن على أخيه مالك في مرثيه
السائرة حتى وقف مرة في المسجد وهو غاص بالصحابة، واتكأ على سية قوسه
أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح فأنشد:

نعم القتل إذ الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا بن الأزور
ثم أوما إلى أبي بكر فقال مخاطبا له:
أدعوته بالله ثم غدرته * هو لو دعاك بذمة لم يغدر

(١) وللاطلاع أكثر على هذه المرثي، أنظر: المقدمة الزاهرة لهذا الكتاب.

فقال أبو بكر: والله ما دعوته، ولا غدرته، ثم قال متمم:
لنعم حشو الدرع كان وحاسرا* ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه* حلو شمائله عفيف المأزر
وبكي حتى انحط عن سية قوسه.

قالوا: فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء، فما أنكر عليه في بكائه، ولا
في رثائه منكر، مع ما في بكائه ورثائه من المغازي السياسية، بل قال له عمر:
لوددت أنك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك، فرثي متمم بعدها
زيدا فما أجاد.

فعاتبه عمر بقوله: لم لم ترث أخي كما رثيت أخاك؟

فقال: إنه والله ليحركني لأخي ما لا يحركني لأخيك.

واستحسن الصحابة والتابعين ومن بعدهم مرآئيه في مالك، فكانوا يتمثلون
بها إذا اقتضى الأمر ذلك، كما فعلته عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن
فبكت عليه وتمثلت بقول متمم:

وكنا كندمانى جذيمة حقة* من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كآني ومالكا* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وما زال الرثاء فاشيا بين المسلمين في كل عصر ومصر لا يتناكرونه.

وحسبنا دليلا على استحبابه في ماتمنا ما رواه أصحابنا عن زيد الشحام

قال: كنا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام نحن وجماعة من الكوفيين، فدخل

جعفر بن عفان فقربه الإمام وأدناه، ثم قال: يا جعفر بلغني أنك تقول الشعر في

الحسين وتجيد.

قال: نعم جعلت فداك.

قال: قل، فأنشدته:

ليبك على الإسلام من كان باكيا * فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين للرماح دريئة * وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء شلوا مبددا * عليه عتاق الطير باتت وظلت
فما نصرته أمة السوء إذ دعا * لقد طاشت الأحلام منهم وظلت
وما حفظت قرب النبي ولا رعت * وزلت بها أقدامها واستزلت
أذاقته حر القتل أمة جده * فتبت أكف الظالمين وشلت
فلا قدس الرحمن أمة جده * وإن هي صامت للإله وصلت
كما فجعت بنت الرسول بنسلها * وكانوا كرامة (١) الحرب حين استقلت
فبكي الصادق عليه السلام ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه
ولحيته ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدك الملائكة المقربون، وأنهم لها هنا يسمعون
قولك في الحسين، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، وقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر
في ساعتك الجنة وغفر لك.
ثم قال عليه السلام: ألا أزيدك؟
قال: نعم يا سيدي.
قال عليه السلام: ما من أحد قال في الحسين شعرا، فبكى وأبكى إلا
أوجب الله له الجنة وغفر له.
وقد نسج جعفر بن عفان في هذا الرثاء على روي سليمان بن قتة

(١) كذا في الأصل، وفي المصدر: حماة.

العدوي (١)، إذ مر بكر بلاء لثلاث بعد قتل الحسين وأصحابه، فنظر إلى مصارعهم ومضاربهم، فأنشأ يقول ويكي:
مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها أمثالها (٢) حين حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
وأن قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا غيائثا ثم أضحوا رزية * ألا عظمت تلك الرزايا وجلت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة * لقتل حسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده * وأنجمها ناحت عليه وصلت (٣)

- (١) في القاموس: قته: كضية، اسم (أم سليمان) بن حبيب المحاربي (التابعي) المشهور يعرف بابن قته، وهو القائل في رثاء الحسين عليه السلام:
وأن قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت
وهو مولى بني تيم بن مرة، توفي بدمشق سنة ١٢٦ هـ، وينبغي أن يكون أول من رثى الحسين عليه السلام، لأنه مر بكر بلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث ليال، فنظر إلى مضاربهم، واتكأ على قوس له عربية وأنشأ يقول: مررت....
وقيل: إن هذه المرثية لأبي الرميح (الزميخ) الخزاعي.
أنظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٥٩٦ (وذكر أن قته اسم أمه)، الجرح والتعديل ٤: ١٣٦، المعجم الأوسط ٢: ٤٥٧، طبقات القراء ١: ٣١٤، تهذيب الكمال ٦: ٤٧٧.
(٢) في بعض المصادر: كعهدها، وقد صحفت في مصادر أخرى، فقد وردت في تهذيب الكمال وأنساب الأشراف: "فألفيتها أمثالها... " وهذا التصحيف متعمد من أشياخ آل أبي سفيان لعنهم الله.
(٣) قال (رحمه الله): أنشد هذه الأبيات أبو تمام في الحماسة، والمبرد في الكامل لسليمان بن قته، ونسبها ابن الأثير في آخر وقعة الطف من كامله إلى التيمي تيم مرة قال: وكان منقطعا إلى بني هاشم، والظاهر أنه أراد سليمان بن قته لأنه تيمي بالولاء.
وقال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة: رواها البرقي لأبي زميخ الخزاعي، وأوردها ابن عبد البر في ترجمة الحسين من الاستيعاب، فنسبها إلى سليمان بن قته الخزاعي، وقيل: إنها لأبي الرميح الخزاعي.

ورحم الله الحسين بن الضحاك (١) إذ نسج على هذا الروي والقافية، فقال:
ومما شجا قلبي وأسبل (٢) عبرتي * محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالطف عنها سجوفها * كعاب كقرن الشمس لما تبدت
إذا حفزتها وزعة من منازع * لها المرط عادت بالخضوع ورنت
وربات خدر من ذوابة هاشم * هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا مني إذا ما ذكرتها * على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغيظه (٣) * ولا بلغت آمالها ما تمتت (٤)
ولله در عواطف الامام محمد بن إدريس الشافعي (٥) حيث يقول من أبيات
له في رثاء الحسين عليه السلام: (٦)
تزلزلت الدنيا لآل محمد * وكادت لهم صم البجال تذوب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة * وان كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه * صبيغ بماء الارجوان خضيب (٧)

(١) هو أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي المعروف بالخليع أو الخالع، ولد سنة ١٦٢ ومات سنة ٢٥٠ فيكون عمره ٨٨ سنة، وقيل: بل عمر أكثر من مائة سنة، وكانت ولادته بالبصرة. أنظر: أدب الطف ١: ٣١٠.

(٢) في أدب الطف: وأوكف.

(٣) في أدب الطف: بغيطة.

(٤) الدر النضيد: ١٢٦.

(٥) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ولد سنة ١٥٠ هـ و توفي سنة ٢٠٤ بمصر، وهو أحد أئمة المذاهب الاربعة السنية.

(٦) انظر: يبايع المودة ٢: ٣٥٦، بحار الانوار ٤٥: ٢٧٤، فرائد السمطين ٢: ٢٦٦.

(٧) قال رحمه الله: هذا الرثاء نقله عن الامام الشافعي جمال الدين الحافظ الزرندي المدني كما في كتاب معارج الاصول، ونقله الفاضل البلخي في يبايعه.

أقو: وأورد هذه الابيات ابن شهر اشوب في مناقب آل أبي طالب:

تاوب غمي والفواد كتيب * وأرق نومي فالرقاد غريب

ومما نفى نومي وشيب لمتي * تصاريف أيام لهن خطوب

فمن مبلغ عني الحسين رسالة * وإن كرهتها أنفس وقلوب

قتيل بلا جرم كأن قميصه * صبيغ بماء الارجوان خضيب

وللسيف أعوال وللرمح رنة * وللخيل من بعد الصهيل نجيب

تزلزلت الدنيا لآل محمد * وكادت لهم صم الجبال تذوب

وغارت نجوم واقشعرت كواكب * وهتك أستار وشق جيوب

يصلى على المبعوث من آل هاشم * ويغزى بنوه إن ذا لعجيب

لئن كان ذنبي حب آل محمد * فلذلك ذنب لست عنه أتوب

هم شفعايني يوم حشري وموقفي * إذا ما بدت للناظرين خطوب

وقال الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في يبايع المودة: قال الحافظ جمال الدين

مدني في كتابه (معراج الوصول) ان الامام الشافعي أنشد:

تأوة قلبي والفؤاد كئيب * وأرق نومي فالسهاد عجيب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة * وإن كرهتها أنفس وقلوب
ذبيح * بلا جرم كأن قميصه * صبيغ بماء الارجوان خضيب
الآبيات...

وروى الصدوق في أماليه وفي ثواب الأعمال، وابن قولويه في كامله
بالإسناد إلى أبي عمارة قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال:
أنشد في الحسين، فأنشدته فبكي، ثم أنشدته فبكي، قال: فوالله ما زلت أنشده
وهو يبكي حتى سمعت البكاء من الدار.
فقال: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين فأبكي فله الجنة، ومن أنشد في
الحسين فتباكي فله الجنة....
وروى الصدوق في ثواب الأعمال، وابن قولويه في كامله بالإسناد إلى
أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقال: يا

أبا هارون، أنشدني في الحسين، فأنشدته - فلم يعجبه الإنشاد لخلوه من الرقة المشجية وكأنه تركها حياء من الإمام عليه السلام - .
فقال: لا، - يعني لا تنشد بهذه الطريقة -، بل كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره.

قال: فأنشدته (١) حينئذ:

أمرر على جدث الحسين * فقل لأعظمه الزكية

يا أعظما لا زلت من * وطفاء ساكبة روية (٢)

وإذا مررت بقبره * فأطل به وقف المطية

وابك المطهر للمطهر * والمطهرة التقية

كبكاء معولة أتت * يوما لواحدھا المنية

قال: فبكي، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأخرى:

يا مريم قومي واندبي مولاك * وعلى الحسين اسعدي بيكاك

قال: فبكي الصادق وتهايج النساء من خلف الستر، فلما أن سكتن قال: يا

أبا هارون، من أنشد في الحسين فبكي وأبكي عشرة كتبت لهم الجنة - إلى أن

قال: - ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على

الله ولم يرض له بدون الجنة.

ودخل عبد الله بن غالب على الإمام الصادق عليه السلام فأنشده مرثيته في

الحسين عليه السلام، فلما انتهى إلى قوله: لبلىة... البيت، صاحت باكية من وراء

(١) قال (رحمه الله): أنشد أبو هارون هذه الأبيات وهي للسيد إسماعيل الحميري.

(٢) وطفاء - كحمراء - : منهمة، من قولهم: وطف المطر: انهمر، ويقال: سحابة وطفاء، أي: مسترخية لكثرة مائها.

الستر: يا أبتاه. (١)
ولالإمام الثامن الضامن عليه السلام مع دعبل الخزاعي قضية مشهورة (٢)،

(١) أنظر: كامل الزيارات: ١٠٥ ح ٣.
(٢) قال (رحمه الله): أشار إليها الفاضل العباسي في أحوال دعبل من معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص في أول ص ٣٧٣، وذكرها الصدوق في عيون أخبار الرضا، والعلامة الأربلي في كشف الغمة، والمجلسي في بحار الأنوار، وأبو الفرج الأصفهاني في أغانيه، وغير واحد من المحدثين والمؤرخين.
أقول: وقد ذكرنا القصة مفصلة في الهامش أثناء تعليقنا على ذكرها في المقدمة الزاهرة.

أما أبيات القصيدة التي أنشدها دعبل فمنها:
مدارس آيات خلعت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله من خيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثففات
منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات
إذا لم نناج الله في صلواتنا * بأسمائهم لم يقبل الصلوات
فيا رب زدني في هواي بصيرة * وزد جبههم يا رب في حسناتي
سأبكيهم ما حج لله راكب * وما ناخ قمري على الشجرات
سقى الله قبرا بالمدينة غيثه * فقد حل فيه الأمن والبركات
قبور بطن النهر من جنب كربلا * معرسهم منها بشط فرات
توفوا عطاشا بالفرات فليتنى * توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم * سقتني بكأس الشكل والفضعات
أفاطم لو خلعت الحسين مجدلا * وقد مات عطشاننا بشط فرات
إذا للطمت الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندي * نجوم سماوات بأرض فلاة
ديار رسول الله أصبحن بلقعا * وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة * وآل رسول الله في الفلوات

وذلك لما وفد عليه بعقريته التائية تلك القصيدة التاريخية الرنانة، التي تجاذبت بها أندية الأدب، وانتشرت في أقطار العرب، وقامت بتلاوتها في دار الرضا قيامة الأحزان، وقرعت ساحته الشريفة بنوح دعبل بها الأشجان، فبكى الإمام أحر بكاء، وعلا من وراء الستر صراخ النساء، وكان لأطفاله رنين ومأق ورغاء (١) حتى استولى عليه الإغماء، واشترك في البكاء معه جنة الأرض وملائكة السماء. وقد علم الناس أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد أمر بشرا (٢) برثاء سيد الشهداء حيث قال:

يا بشر، رحم الله أباك لقد كان شاعرا، فهل تقدر على شئ منه؟
قال: نعم يا بن رسول الله.

قال عليه السلام: أدخل المدينة وانع أبا عبد الله.
قال بشر بن حذلم: فركبت فرسي، وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت:
يا أهل يثرب لا مقام لكم بها * قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكر بلاء مضر ج * والرأس منه على القناة يدار (٣)

(١) قال رحمه الله: المأق: ما يأخذ الصبي بعد البكاء من الشهيق الشبيه بالفواق، ورغاء الصبي: هو أشد ما يكون من بكائه.

(٢) وهو بشر بن حذلم، وقيل أيضا: إن اسمه بشير بن حذلم، وهو من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، رافق عيال الإمام الحسين عليه السلام عند عودتهم من الشام إلى المدينة. أنظر: الملهوف: ٢٢٦.

(٣) حياة الإمام الحسين ٢: ٤٢٣، الملهوف: ٢٢٧.

المجلس الثالث: في تلاوة الأحاديث
لا ريب في رجحان تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الموتى من
المؤمنين ومصائبهم، إذ تكون كذكرى لحياتهم، تنتفع الأمة بها على قدر مكانتهم
في محامد الصفات، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال.
وأن أمة تهتم بتاريخ عزمائها الممتازين في دينهم وديناهم، لتعد حافظة
مجدها، ناصحة لمن بعدها، وقد جرت سيرة الخلف والسلف على ذكر مناقب
الموتى ومصائبهم، كناية وخطابة، نظما ونثرا، والعقل والنقل يحكمان بحسن
ذلك، وقواعد المدنية تقتضيه، وأصول الترقى في المعارف والفضائل توجبه، إذ به
تحفظ الآثار النافعة، وتخلد الأرواح الشريفة، وبالتنافس فيه تعرج أبطال المنابر
إلى أوج البلاغة، وتستوي رجال المحابر بيراعتها على عرش البراعة.
وما أحوج الأمة إلى ذكرى ما أصاب سلفها من النوائب أيام بؤسهم، وما
اكتسبوه من المآثر والمناقب أيام عزهم إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب (١).
وهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله يمثلان مناقب
الأنبياء ومصائبهم بأجلى مظاهر التمثيل، ويصوران مثالب أعداء الله وأعداء
أنبيائه بأوضح التصوير، ولولا الكتاب والسنة، ما عرفنا فضائل أنبياء الله، ولا
رذائل أعدائه، وأنى لنا - لولا الكتاب والسنة - بالوقوف على نصح الأنبياء لله
تعالى ولعباده، والصبر على الأذى الذي نالهم في سبيل الحق من النماردة

(١) سورة الزمر: ٢١.

والفراغة والعمالقة، وأصحاب الرس والأخدود وغيرهم.
فالقول بتحريم تلاوة مناقب أهل المناقب من الموتى ومصائبهم يستلزم
تحريم تلاوة الكتاب والسنة، وقراءة التاريخ وعلم الرجال، ومن يرضى لنفسه
هذا الحمق! ويختار لبصيرته هذا العمي! نعوذ بالله من سفه الجاهلين.
وقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خباب بن الأرت في ظهر الكوفة،
وهو أول من دفن هناك فقال عليه السلام - في تأبينه - :
رحم الله خبابا، لقد أسلم راغبا، وهاجر طائعا، وعاش مجاهدا، وابتلي
في جسمه أحوالا، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا.
ووقف الإمام زين العابدين على قبر جده أمير المؤمنين عليهما السلام
فقال:

أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، وعملت بكتابه، واتبعت سنن نبيه
صلى الله عليه وآله، حتى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره، لك كريم
ثوابه، وألزم أعدائك الحججة في ظلمهم إياك مع ما لك من الحجج البالغة.
ووقف الإمام الصادق عليه السلام على قبر جده الإمام الحسين عليه
السلام فقال:

أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن
المنكر، وأطعت الله ورسوله، وعبدته مخلصا، وجاهدت في سبيله صابرا
محتسبا حتى أتاك اليقين، فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة
سمعت بذلك فرضيت به. (١)

(١) العقد الفريد ٢: ١٤٧.

ووقف الحسين على قبر أخيه الحسن عليهما السلام فقال:
أأدهن رأسي أم تطيب محاسني * وخذك مغفور وأنت تريب
وليس حريبا من أصيب بماله * ولكن من وارى أخاه حريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه * ألا كل من تحت التراب غريب
بكائي طويل والدموع غزيرة * وأنت بعيد والمزار قريب (١)
ووقف محمد بن أمير المؤمنين - المعروف بابن الحنفية - على قبر أخيه،
وخليفة أبيه أبي محمد الحسن الزكي المجتبي عليه السلام فحنقته العبرة فقال:
يرحمك الله أبا محمد، فلئن عزت حياتك فقد هدت وفاتك، ولنعم الروح
روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا تكون كذلك وأنت بقية
ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غدتك أكف الحق،
وربيت في حجر الإسلام، فطبت حيا وطبت ميتا، وإن كانت أنفسنا غير طيبة

(١) قال محمد بن أبي طالب في تسليية المجالس وزينة المجالس: ولما وضع الحسن عليه
السلام في قبره أنشأ سيدنا ومولانا أبو عبد الله الحسين عليه السلام:
أأدهن رأسي أم أطيب محاسني * ورأسك مغفور وأنت سليب
أو استمتع الدنيا بشئ أحبه * ألا كل ما أدنى إليك حبيب
فلا زلت أبكي ما تغنت حمامة * عليك وما هبت صبا وجنوب
وما هملت عيني من الدمع قطرة * وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
بكائي طويل والدموع غزيرة * وأنت بعيد والمزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه * ألا كل من تحت التراب غريب
فلا يفرح الباقي خلاف الذي مضى * فكل فتى للموت فيه نصيب
وليس حريبا من أصيب بماله * ولكن من وارى أخاه حريب
نسيبك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسيب
أنظر: مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٤٥، تسليية المجالس وزينة المجالس ٢: ٦٥، بحار
الأنوار ٤٤: ١٦٠ ذ ٢٩.

بفراقك، ولا شاكاة في الخيار لك.
ثم بكى بكاء شديدا وبكى الحاضرون حتى علا نسيجهم وفيهم الحسين
وإخوته وابن عباس وسائر الهاشميين. (٢)
ولما توفي أمير المؤمنين عليه السلام قام الخلف من بعده أبو محمد الحسن
الزكي عليهما السلام فقال:
لقد قتلتم الليلة رجلا والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون
بعده، [والله] إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبعثه في السرية
وجبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، [والله] ما ترك بيضاء ولا صفراء...
إلى آخر كلامه. (١)
ووقف أمير المؤمنين عليه السلام على الضريح الأقدس، ضريح النبي
صلى الله عليه وآله ساعة دفنه فقال:
إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك
لجليل، وإنه بعدك لقليل. (٢)
وعن أنس بن مالك قال: لما فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقبلت فاطمة عليها السلام فقالت:
[يا أنس] كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
التراب

-
- (١) تاريخ الأمم والملوك (حوادث سنة ٤٠)، العقد الفريد ٢: ٧٨.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٥: ١٥٧.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٩٤، العقد الفريد ٢: ١٠٢.

ثم بكت ونادت: يا أبتاه أجااب ربا دعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه من ربه ناداه، يا أبتاه إلى جبريل نعاها، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه لست بعد اليوم أراه. (١)

وكأني بها وقد أصلى ضلعها الخطب، ولاع قلبها الكرب، ولج فؤادها الحزن، واستوقد صدرها الغين، حين ذهبت كاظمة، ورجعت راغمة، ثم انكفأت إلى قبر أبيها باكية شاكية قائلة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة* لو كان شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها* فاختل قومك فأشهدهم فقد نكبوا (٢)
فليت بعدك كان الموت صادفنا* لما قضيت وحالت دونك الكتب (٣)
ولم تزل - بأبي هي وأمي - بعد أبيها صلى الله عليه وآله ذات غصة لا
تساغ، ودموع تترى من مقلة عبرى، قد استسلمت للوجد، وأخلدت في بيت
أحزانها إلى الشجون، حتى لحقت بأبيها صلى الله عليه وآله معصبة الرأس، قد
ضاقت عليها الأرض برحبها.

فلما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من دفنها في ظلام الليل، ورهقه من
الحزن عليها ما عيل به صبره، وضاق به صدره، استقبل بوجهه ضريح رسول الله
صلى الله عليه وآله يشكو إليه بثه وحزنه، وقد جاشت في صدره غصص الهموم،

(١) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٥٣ ح ٦٦٧٣، الطبقات الكبرى ٢: ٣١١، صحيح البخاري ٦:
١٨، سنن ابن ماجة ١: ٥٢٢ ح ١٦٣٠، سنن النسائي ٤: ١٣، العقد الفريد ٣: ٢٣٠،
المستدرک علی الصحیحین ١: ٣٨٢.

(٢) قال رحمه الله: الموجود في شرح النهج: واختل قومك فاشهدهم ولا تغب لكن الصحيح ما
أثبتناه وهو المأثور عندنا ومعنى نكبوا: عدلوا.
(٣) العقد الفريد ٣: ١٩٤، النهاية لابن الأثير ٣: ١٥٦.

واعتلجت فيه حزازات الغموم، فقال وهو يحرض بريقه، ويميد به شجوه، وقد
انحلت عقود دموعه، وتناثرت لآلئ جفونه:
السلام عليك يا رسول الله، وعلى ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة
اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي، ألا أن لي
في التأسى بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة
قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فلقد
استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، وأما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، أو
يحتار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبؤك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها،
فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر. (١)
فلأي الأمور تدفن سرا * بضعة المصطفى ويعفى ثراها
فمضت وهي أعظم الناس شجوا * في فم الدهر غصة من جواها
وكأني بأمر المؤمنين عليه السلام واقفا على قبرها وهو شجي بغصصه، لا
يملك دمه ولا قلبه، وكأني به ينشد:
لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل (٢)

(١) قال رحمه الله: هذا الكلام من الثابت عنه عليه السلام المأثور في كتاب نهج البلاغة.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٩٨.

المجلس الرابع: في الجلوس حزنا على الموتى
لا ريب في أن النبي صلى الله عليه وآله حزن حزنا شديدا على شيخ
الأباطح وبيضة البلد، عمه وكافله أبي طالب، وعلى صديقه الكبرى أم المؤمنين،
وقد ماتا في عام واحد، فسماه النبي صلى الله عليه وآله (عام الحزن)،
ولزم بيته (١) وأقل من الخروج حزنا عليهما، وكان إذا تهجمت عليه قريش يندب عمه
فيقول: (يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك) (٢).

وصح جلوسه في المسجد حزنا على ابن عمه جعفر وصاحبيه زيد وابن
رواحة. (٣)

وصح أيضا أنه حزن حزنا شديدا، لم ير أشد منه حين قتل القراء من
أصحابه وقتت شهرا يستغفر لهم، ويدعو على قاتليهم في قنوته.
والعقل يحكم برجحان الجلوس حزنا على فقد المصلحين من أهل الحفائظ
والأيادي المشكورة، لأن تمييزهم بذلك يكون سببا في تنشيط أمثالهم، وأداء
حقهم بعد موتهم، ويكون داعيا إلى كثرة الناسجين على منوالهم.

(٣) قال رحمه الله: والحديث هذا ثابت في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه
الحزن ص ١٥٤

من الجزء الأول من صحيح البخاري، وفي باب التشديد في النياحة ص ٣٤٥ من
الجزء

الأول من صحيح مسلم، وثابت في صحيح أبي داود أيضا.

(١) أنظر: السيرة النبوية ١: ١٠٨، الكامل في التاريخ ١: ٤٦٢، السيرة الحلبية ١: ٤٦٢ باب وفاة أبي
طالب وخديجة.

(٢) السيرة النبوية ١: ١٠٨.

أما الجلوس لذكرى ما أصاب الأئمة في سبيل مصالح الأمة، فيبعث فيها روح الإيمان والهدى، ويأخذ بقلوبها إليهم، وإن بعد العهد وطال المدى. وقول اللائمين: بأنه لا يحسن الجلوس حزنا على الميت إذا تقادم العهد بموته (١) لا يتم في فجائعنا بأهل البيت، حيث لا يتلاشى الحزن عليهم مهما تقادم العهد بهم، بل لا تحبو زفرة تلك الفجائع، ولا تخمد لوعة هاتيك القوارع، ما بقي الزمان، وكر الجديدان، فقرب العهد بها وبعده عنها سيان، وما أولى هذا اللائم، بقول بعض الأعاضم:

خلي أميمة عن ملا* مك ما المعزي كالثكول
ما الراقد الوسنان مثل معذب القلب العليل
سهران من ألم وهذا نائم الليل الطويل
ذوقي أميمة ما أذوق وبعده ما شئت قولي
ورحم الله القائل:

ويل قلبي الشجى مما يعاني من ملام الخلي طعنا ووخزا
ولو علم اللائم الأحمق بما في حزنا على أهل البيت من النصره لهم،
والحرب الطاحنة لأعدائهم، لخشع أمام حزنا الطويل، ولأكبر الحكمة المقصودة
من هذا النوح والعيول، ولأذعن للأسرار في استمرارنا على ذلك في كل جيل،

(١) قال رحمه الله: أخرج الإمام أحمد في ص ٢٠١ من الجزء الأول من مسنده من حديث الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها. وروى ابن ماجه وأبو يعلى عنه هذا الحديث أيضا كما في ترجمته عليه السلام من الإصابة.

وما أولاه وإيانا بقول القائل:
لو كنت تعلم ما أقول عذرتني* أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني* وعلمت أنك جاهل فعذرتك
علي أن الأوامر المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة تستوجب التعبد بترتيب
آثار الحزن على الدوام، ولو ثبتت هذه الأوامر عن أئمة المذاهب الأربعة لعمل
اللائمون بها، فلماذا إذن يلوموننا بعد ثبوتها عن أئمة العترة، وسفينة نجاه الأمة،
وباب حطة، وأمان أهل الأرض، وأعدل كتاب الله، وعيبة رسوله، لو كانوا
ينصفون؟؟

ولم يلومنا اللائمون في حزننا، مع تقادم العهد بمصيبتنا، ويحبذون استمرار
أهل المدينة على ندب حمزة كلما ناحوا على ميت منهم؟
فإن كان بكأؤهم على حمزة مواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله بمصيبته
في عمه، وأداء لواجب قوله صلى الله عليه وآله: (لكن حمزة لا بواكي له)، فإن
بكأؤنا إنما هو مواساة له في مصيبته بريحانته من الدنيا، وقرّة عينه، وأداء لواجب
بكائه عليه.

أيكي رسول الله صلى الله عليه وآله على الحسين - بأبي هو وأمي - قبل
الفاجرة ونحن لا نبكيه بعدها؟؟

ما هذا شأن المتأسي بنبيه، والمواسي له؟!
ألم يرو الإمام أحمد: أن عليا لما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين
نادى: صبيرا أبا عبد الله، صبيرا أبا عبد الله بشط الفرات، فسئل عن ذلك فقال:
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو يبكي، فسألته

فقال: قام من عندي جبرئيل فحدثني إن الحسين يقتل بشط الفرات.
قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟
قال: قلت: نعم، فمد يده، فقبض قبضة من تراب، فأعطانيها.
وأخرج ابن سعد، عن الشعبي قال: مر علي رضي الله عنه بكربلاء عند
مسيره إلى صفين، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء، فبكى حتى بل
الأرض من دموعه.
ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقلت: ما
يبكيك؟
قال: كان عندي جبرئيل آنفا، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ
الفرات، بموضع يقال له: كربلاء....
وأخرج الملاء: أن عليا مر بموضع قبر الحسين عليه السلام فقال: هاهنا
مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد،
يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض....
ومن حديث أم سلمة قالت: كان عندي النبي صلى الله عليه وآله ومعي
الحسين، فدنا من النبي صلى الله عليه وآله فأخذته، فبكى فتركته، فدنا منه،
فأخذته، فبكى فتركته، فقال له جبرئيل: أتجبه يا محمد؟!
قال: نعم.
قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها، فبكى
النبي صلى الله عليه وسلم.
وروى الماوردي الشافعي، عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن علي

على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه، فقال جبرئيل: إن أمتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه يقتل ابنك اسمها الطف.

فلما عرج جبرئيل عليه السلام، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وحذيفة، وعمار، وأبو ذر، وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله!؟

فقال: أخبرني جبرئيل: إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاء بهذه التربة (١)، فأخبرني إن فيها مضجعه.

فإذن أول من بكى في هذه الأمة على الحسين، وأول من أهدى إليه تربته، وأول من شمها، وأول من تلا على الناس مقتل الحسين بأرض الطف لهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأول من سمع حديث مقتله لأصحابه الكرام، ولا احتمال إلا أنهم واسوا يومئذ رسول الله صلى الله عليه وآله في حزنه وبكائه ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر (٢)، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٣).

وأخرج الترمذي: إن أم سلمة رأت النبي صلى الله عليه وآله - فيما يراه النائم - باكيا، وبرأسه ولحيته التراب فسألته، فقال: قتل الحسين آنفا. قال في الصواعق: وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار، أشعث أغبر، وفي

(١) قال رحمه الله: إن تربة يحملها الروح الأمين إلى سيد النبيين والمرسلين لحقيقة بالاحترام وجديرة بأن تدخر وتحمل وتهدي بكل إجلال وإعظام.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة الحديد: ٢٤، سورة الممتحنة: ٦.

يده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتبعه منذ اليوم.

قال: فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم.
وأما صحاحنا فإنها متواترة في بكائه صلى الله عليه وآله، على سبطه
وريحانته في مقامات عديدة، يوم ولادته وقبلها، ويوم السابع من مولده، وبعده
في بيت الزهراء، وفي حجرته، وعلى منبره، وفي بعض أسفاره، تارة يبكيه
وحده، ومرة هو والملائكة، وأحيانا هو وعلي وفاطمة، وربما بكاه هو وبعض
أصحابه، وربما قبله في نحره وبكى، وربما قبله في شفتيه فبكى، وربما بكى إذا
رآه فرحا أو رآه حزنا.

ولله در السيد الرضي حيث يقول:

لو رسول الله يحيا بعده * قعد اليوم عليه للعزا
جزروا جرز الأضاحي نسله * ثم ساقوا أهله سوق الأما
ليس هذا لرسول الله يا * أمة الطغيان والبغي جزا
يا رسول الله لو أبصرتهم (١) * وهم ما بين قتلى وسبا
من رميض يمنع الظل ومن * عاطش يسقي أنابيب القنا
ومسوق عاثر يسعى به خلف * محمول على غير وطا
لرأت عينك منهم منظرا * للحشى شجوا وللعين قذا
لا أرى حزنكم ينسى ولا رزؤكم * يسلى وإن طال المدى (٢)
(٢) هذه الأبيات من قصيدة رائعة للشريف الرضي ألقاها وهو بالحائر الحسيني وهي
بعنوان
(كربلا كرب وبلا). أنظر: ديوان الرضي ١: ٤٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
١: ٣٨٦.

(١) كذا في الأصل، وفي ديوان الرضي: عاينتهم.

المجلس الخامس: في الإنفاق صدقة عن الميت
لا ريب في استحباب الإنفاق صدقة عن موتى المؤمنين، وقد فعل النبي
صلى الله عليه وآله ذلك وأمر به.

ففي الصحيحين بطرق متعددة عن عائشة قالت: ما غرت على أحد من
نساء النبي [مثل] ما غرت على خديجة وما رأيتها، لكن كان النبي صلى الله عليه
وآله يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق
خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة، فيقول لي: إنها كانت
وكانت وكان لي منها ولد. (١)

وأخرج مسلم: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله
إن أمتي افتلت نفسها ولم توص، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟
قال صلى الله عليه وآله: نعم.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده: إن سعد بن عبادة قال: إن ابن بكر أخا بني
ساعدة توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أمتي توفيت وأنا غائب
عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشئ عنها؟
قال: نعم.

قال: فإني أشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها. (٢)

(١) قال رحمه الله: هذا الحديث يدل على استحباب صلة أصدقاء الميت وأوليائه صدقة عنه.
(٢) قال رحمه الله: ربما كان المنكرون علينا فيما نفعه في مجالسنا من الصدقة عن الحسين عليه
السلام لا يقنعون بأقوال النبي ولا بأفعاله صلى الله عليه وآله إلا أن يكون ذلك مأثورا عن
سلفهم، وحينئذ نحتج عليهم بما فعله الوليد بن أبي معيط الأموي، إذ مات ليبد بن ربيعة
العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزورا فجزرت عنه. نقل ذلك ابن عبد البر
في ترجمة ليبد من الاستيعاب.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. وفي خصال الصدوق بالأسناد إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا. بأبي أنتم وأمي أهل بيت الرحمة، أسبغتم على العالمين آلاءكم، وأفضتم على أهل الأرض سجال نعمائكم، فأياديكم تسترق الأعناق، ومننكم تستعبد قلوب الأحرار، وما رأى الراؤون أعطى لجزيل عن ظهر يد منكم (١)، أنشأتم الهدى، وكافحتم الكفر والضلال، والبغي والفساد والعمى، وسنيتم في الأرض صراطا مستقيما، وقاسيتم من الناس في سبيل هدايتهم بلاء عظيمًا. سلبوكم بشبا الصوارم أنفسا* قام الوجود بسرهما المكنون فما خطر أموالنا وأنفسنا في جنب أموالكم وأنفسكم التي بذلتموها فينا، وكيف نستكثر أموالا وأنفسا نقابل بها تلك الأموال والأنفس، وأن الجرأة عليكم بسلب عقال من أموالكم المقدسة، أو مسيل قطرة من دمائكم الزكية لأفضع من اجتياح أموال العالمين وأنفسهم كافة، فالويل لمن قتلكم وسلبكم، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، تبت أيديهم ولعنوا بما ارتكبوا، إذ قتلوا عترة رسول الله وبقيته فيهم. أمة قاتلت إمام هداها* يا ترى أين زال عنها حياها ويحهم أخزاهم الله، كيف سلبوه حتى ثيابه، فأخذ قميصه - بأبي وأمي -

(١) قال رحمه الله: أي تفضلا من غير مكافأة ولا قرض.

إسحاق بن حوية (١)، وأخذ سراويله أبجر بن كعب (٢)، وأخذ عمامته أحنس بن

(١) وهو: إسحاق بن حوية (حياة) الحضرمي، أحد المجرمين في جيش الكوفة ممن شارك في واقعة كربلاء، حيث قام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بسلبه قميصه، وهو من جملة من تطوع - بأمر عمر بن سعد - لرض جسد الإمام الحسين عليه السلام بالخييل، حيث تعتبر هذه الجريمة من الجرائم المفجعة التي ارتكبتها جيش ابن زياد بحق الإمام الحسين، وكانت هذه الجريمة قد تمت بتحريض من شمر بن ذي الجوشن لابن زياد، فالكتاب الذي بعثه عمر بن سعد إلى ابن زياد كان كتابا عاديا، لكن ابن زياد رد عليه بكتاب يعنفه فيه، وكتب إليه: إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتمنيه، ولا لتطاوله، ولا لتقعد له عندي شافعا، انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلي سلما، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فاوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق شاق قاطع ظلوم، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا، وخل بين شمر وبين العسكر، فأتي شمر بالكتاب وسلمه لعمر بن سعد.

وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عصر يوم عاشوراء نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب إلى الحسين فيوطئه بفرسه؟ فانتدب منهم عشرة، حيث داسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا صدره وظهره، وهم: إسحاق بن حوية الحضرمي الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأحنس بن مرثد، وحكيم بن طفيل السبيعي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خيشمة الجعفي، وواظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهانئ بن ثبيت الحضرمي، وأسيد بن مالك لعنهم الله. وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد، فقال أحدهم وهو أسيد بن مالك: نحن رضينا الصدر بعد الظهر * بكل يعسوب شديد الأسر فقال ابن زياد لعنه الله: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره. قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعا أولاد زنا. وهؤلاء أخذهم المختار رحمه الله فشد أيديهم وأرجلهم بسلاسل الحديد، وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا. أنظر: الملهوف: ١٨٣، زينة المجالس: ٤٥٩.

(٢) وقيل اسمه: أبجر بن كعب، حيث قام بتجريد الإمام من ثيابه بعد قتله، وترك جسد الحسين عاريا على رمضاء كربلاء، وقد يبست يدا هذا الشخص فيما بعد حتى أصبحتا كالخشبتين، وجاء في خبر آخر إنه أصيب بعد ارتداء السروال بشلل في رجله أقعده عن الحركة تماما.

أنظر: إثبات الهداة ٥: ٢٠١، عوالم الإمام الحسين: ٢٩٧، بحار الأنوار ٤٥: ٥٧.

مرثد، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله، وسلبوا نساءه
وهن عقائل النبوة، وخفريات بين الوحي والتنزيل.
قال حميد بن مسلم (١): فوالله لقد كنت أرى المرأة من نساء الحسين وبناته
وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.
قال: ثم انتهينا إلى علي بن الحسين عليهما السلام وهو منبسط على
فراش، وهو شديد المرض، ومع شمر (٢) جماعة من الرجال فقالوا له: ألا نقتل هذا

(١) في تنقيح المقال ١: ٣٨٠: حميد بن مسلم الكوفي، لم أقف فيه إلا على عد الشيخ رحمه
الله إياه في رجاله من أصحاب السجاد عليه السلام، وظاهره كونه إماميا، إلا أن حاله
مجهول.

وفي مستدركات علم الرجال ٣: ٢٨٩: حميد بن مسلم الكوفي، عد من مجاهيل
أصحاب السجاد عليه السلام وهو ناقل جملة من قضايا كربلاء على نحو يظهر منه أنه كان
في وقعة الطف... وكان من جند سليمان بن صرد الخزاعي من طرف المختار في مقتل عين
الوردة في حرب الشام لطلب ثأر الحسين عليه السلام.
أقول: يحتمل أن يكون أكثر من شخص بهذا الاسم، فأحدهما كان في وقعة الطف ونقل
بعض الوقائع وأرسل عمر بن سعد رأس الحسين معه ومع جماعة إلى عبيد الله بن زياد، مما
يدل على أنه كان من أعوان عمر بن سعد، والثاني إمامي من أصحاب الإمام السجاد ومن
جند سليمان بن صرد.

(٢) شمر بن ذي الجوشن - واسمه شرحبيل - بن قرط الضبابي الكلابي، أبو السابغة، من كبار
قتلة ومبغضي الحسين عليه السلام، كان في أول أمره من ذوي الرئاسة في هوازن موصوفا
بالشجاعة، وشهد يوم صفين مع علي عليه السلام، سمعه أبو إسحاق السبيعي يقول بعد
الصلاة: اللهم إنك تعلم أنني شريف فاغفر لي!! فقال له: كيف يغفر الله لك وقد أعنت على قتل
ابن رسول الله؟! فقال: ويحك كيف نصنع، إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم! ولو
خالفناهم كنا شرا من هذه الحمر؟ ثم إنه لما قام المختار طلب الشمر، فخرج من الكوفة
وسار إلى الكلتانية - قرية من قرى خوزستان - ففجأه جمع من رجال المختار، فبرز لهم
الشمر قبل أن يتمكن من لبس ثيابه فطاعنهم قليلا وتمكن منه أبو عمرة فقتله وألقيت جثته
للكلاب. أنظر: الكامل في التاريخ ٤: ٩٢، ميزان الاعتدال ١: ٤٤، لسان الميزان ٣: ١٥٢.

العليل؟!]

[قال حميد حميد بن مسلم:] فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان! إنما هذا صبي وإنه لما به،

فلم أزل حتى دفعتهم عنه.

قال: وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تتعرضوا لهذا الغلام المريض، وسألته النسوة ليسترجع ما أخذ منهن ليسترن به، فقال: من أخذ من متاعهن شيء فليرده عليهن.

[قال:] فوالله ما رد أحد منهم شيئاً.

[وروى حميد بن مسلم أيضاً قال: رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطهن، وهم يسلبونهن أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط، وقالت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله؟ لا حكم إلا لله، يا لثارات رسول الله.

قال: فأخذها زوجها وردها إلى رحله.

أنسى هجوم الخيل ضابحة (١) على خيام نساكم بالعواسل والقضب

(١) ضبحت الخيل في عدوها: أسمعت من أفواها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحة.

عشية حنت جزعا خفراتكم * بأوجهها ندبا لحامي الحمى الندب
صرخن بلا لب وما زال صوتها * يغض ولكن صحن من دهشة اللب
فأبرزن من حجب الخدور تود لو * قضت نحبها قبل الخروج من الحجب
وسيقت سبايا فوق أحلاس هزل * إلى الشام تطوي البيد سهبا على سهب
يسار بها عنفا بلا رفق محرم * بها غير مغلول يحن على صعب
ويحضرها الطاعي يناديه شامتا * بما نال أهل البيت من فادح الخطب
ويوضع رأس السبط بين يديه كي * تدار عليه الراح في مجلس الشرب
ويسمع آل الله شتم خطيبه * أبا الحسن الممدوح في محكم الكتب
يصلي عليه الله جل وتحتري * على سبه من خصها الله بالسب

الفصل الأول
فيما يتلى بتمامه صبيحة العاشر من المحرم،
ويتلى مجالس متعددة في سائر أيام العشر،
أو في باقي أيام السنة، فهو ليوم العاشر
مجلس واحد، ولغيره اثنا عشر مجلسا
فلينتبه القارئ - في غير يوم عاشوراء - بوقوفه عليها،
وليدكرني بأدعيته فإني مضطر إليها، والله ولي التوفيق
وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[المجلس الأول]

كان مولد الحسين عليه السلام لخمس [ليال] خلون من شعبان سنة أربع للهجرة، وروي غير ذلك (١).

ولما ولد هبط جبرئيل عليه السلام في ألف ملك يهئون النبي صلى الله عليه وآله، وقد سر به وسماه حسينا.

وعن أم الفضل (٢) قالت: رأيت في منامي قبل مولد الحسين عليه السلام (٣) كأن قطعة من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله قطعت فوضعت في حجري، فقصصت ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: (رأيت خيرا، إن

(١) وقيل: اليوم الثالث منه، وقيل: في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة.
(٢) لبابة بنت الحارث الهلالية، الشهيرة بأُم الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب، ولدت من العباس سبعة، أسلمت بمكة بعد إسلام خديجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها ويقيل في بيتها، توفيت نحو ٣٠ هـ. أنظر: الإصابة: ترجمة رقم ٩٤٢ و ١٤٤٨، الجمع بين الصحيحين: ١٢ ٦، الأعلام ٥: ٢٣٩.

(٣) قال رحمه الله: وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أم الفضل زوجة العباس، قالت: كأن في بيتي عضوا من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزعت من ذلك فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: خيرا تلد فاطمة غلاما فتكفلينه بلبن ابنك قثم، قالت: فولدت حسينا فأعطيته حتى تحرك أو فطمته ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسته في حجره فبال، فضربت بين كتفيه، فقال: ارفقي بابني رحمك الله أو أصلحك الله أو جعلت ابني... الحديث في ص ٣٣٩ من الجزء السادس.

صدقت رؤياك فإن فاطمة تلد غلاما، وأدفعه إليك لترضعينه).
قالت: فجرى الأمر على ذلك.

فجئت به يوما إليه فوضعتَه في حجره، فبينما هو يقبله بال، ففطرت من بوله قطرة على ثوب النبي صلى الله عليه وآله، فقرصته، فبكي، فقال النبي كالمغضب: (مهلا يا أم الفضل، فهذا ثوبي يغسل، وقد أوجعت ابني).
قالت: فتركتَه في حجره وقمت لآتيه بماء، فجئت إليه فوجدته يبكي، فقلت: مم بكائك يا رسول الله؟

فقال: (إن جبرئيل أتاني فأخبرني أن أمي ستقتل ولدي [هذا]، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة). (١)

ولما أتت على الحسين من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر ملكا محرمة وجوههم، باكية عيونهم، وهم يقولون: إنه سينزل بولدك الحسين ما نزل بهاييل من قابيل، وسيعطى مثل أجر هاييل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل.

[قال:] ولم يبق في السماوات ملك مقرب إلا ونزل إلى النبي صلى الله عليه وآله يقرؤه السلام، ويعزيه عن الحسين، ويخبره في ثواب ما يعطى، ويعرض

(١) المستدرک ٣: ١٧٦، دلائل النبوة ١: ٢١٣، الصواعق المحرقة: ١١٥، الخصائص الكبرى ٢: ١٢٥، الفصول المهمة ١٥٤، كنز العمال ٦: ٢٢٣ (باختلاف يسير في الألفاظ).

عليه تربته (١) والنبى يقول: (اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتعه بما طلبه).

[قال:] فلما أتى على مولده سنتان خرج النبى صلى الله عليه وآله في سفر له، فوقف في بعض الطريق، واسترجع ودمعت عيناه.

فسئل عن ذلك، فقال: ([هذا] جبرئيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء، يقتل فيها ولدي الحسين [بن فاطمة]).

ف قيل له: من يقتله يا رسول الله؟

فقال: (رجل اسمه يزيد،) وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه).

ثم رجع صلى الله عليه وآله من سفره مهموما مغموما، فصعد المنبر فخطب، والحسن والحسين بين يديه، ثم نزل فوضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين، وقد رفع رأسه إلى السماء فقال:

(اللهم إن محمدا عبدك ونبيك، وهذان أطائب عترتي وخيار ذريتي [وأرومتي (٢)] ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل جبرئيل: عليه السلام أن ولدي

(١) قال رحمه الله: وقد أخرج أحمد بن حنبل من حديث علي عليه السلام في ص ٨٥ من الجزء الأول من مسنده حديثا في هذا الموضوع طويلا جاء في آخره: أن جبرائيل عليه السلام حدث النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين بشط الفرات وأنه قال له: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم.

قال صلى الله عليه وسلم: فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا. (٢) الأرومة: الأصل.

[هذا مخذول مقتول.

اللهم بارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قتله وخاذله).

[قال:] فضج الناس في المسجد بالبكاء.

[فقال النبي (ص): (أَتَبْكُونَ وَلَا تَنْصُرُونَهُ؟! اللَّهُمَّ فَكُنْ لَهُ أَنْتَ وَلِيًّا وَنَاصِرًا)]. (١)
[ثم رجع صلى الله عليه وآله فخطب خطبة أخرى موجزة وهو متغير اللون وعيناه تهملان دموعا فقال:

(أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإني أنتظرهما، وإني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي المودة في القربى. ألا وإنه سترد علي [يوم القيامة] ثلاث آيات من هذه الأمة: الأولى: سوداء مظلمة قد فرغت لها الملائكة، فتقف علي، فأقول: من أنتم؟

فينسون ذكري، فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول [لهم]: أنا أحمد نبي العرب والعجم.

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٦٣، ذخائر العقبى: ١٤٩، الصراط السوي للشيخاني المدني: ٩٣، الملهوف: ٩٤.

فيقولون: نحن من أمتك.
فأقول لهم: كيف خلفتموني في عترتي وكتاب ربي؟
فيقولون (١): أما الكتاب فضيعناه، وأما عترتك فحرصنا على أن نبيدهم
عن آخرهم.

فأولي عنهم وجهي، فيصدرون عطاشا مسودة وجوههم.
ثم ترد علي راية أخرى أشد سوادا من الأولى، فأقول لهم: كيف
خلفتموني في الثقيلين الأكبر والأصغر: كتاب ربي وعترتي؟
فيقولون: أما الأكبر فخالفناه، وأما الأصغر فخذلناهم ومزقناهم (٢) كل
ممزق.

فأقول: إليكم عني! فيصدرون ظمأ عطاشا مسودة وجوههم.
ثم ترد علي راية أخرى تلمع وجوههم نورا، فأقول [لهم]: من أنتم؟
فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمة محمد المصطفى،
ونحن بقية أهل الحق، حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله وحرمنا حرامه، وأحببنا

(١) قال رحمه الله: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون [النور: ٢٤]، ويوم
يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء [فصلت
: ١٩ - ٢١].
(٢) في الأصل: فخذلناه ومزقناه.

ذرية نبينا فنصرناهم وقاتلنا معهم.
فأقول لهم: أبشروا فإنني نبيكم محمد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم،
ثم أسقيهم من حوضي فيصرون مرويين مستبشرين، ثم يدخلون الجنة
خالدين فيها أبد الأبدين). (١)

وروى الشيخ في الأمالي بأسانيده إلى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن
أسماء بنت عميس قالت: لما ولدت فاطمة الحسين عليهما السلام كنت أخدمها
في نفاسها به، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: هلمي ابني يا أسماء، فدفعته
إليه في خرقة بيضاء، فأخذه وجعله في حجره، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في
اليسرى.

قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: إنه سيكون لك حديث،
اللهم العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك.

قالت أسماء: فلما كان يوم السابع من مولده جاء النبي صلى الله عليه وآله
ففق عنه كبشا أملح، وأعطى القابلة الورك ورجلا، وحلق رأس الحسين
وتصدق بوزن الشعر ورقا، وحلق رأسه بالخلوق.

قالت: ثم وضعته في حجره، فقال: يا أبا عبد الله، عزيز علي، ثم بكى.
[قالت أسماء:] فقلت: بأبي أنت وأمي مما بكأوك في هذا اليوم وفي اليوم

(١) الملهوف: ٩٥ - ٩٦.

الأول؟!!

قال صلى الله عليه وآله: أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة.

ثم قال: اللهم إني أسألك فيهما ما سألك إبراهيم عليه السلام في ذريته:
اللهم أحبهما وأحب من يحبهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض. (١)
أشدد يدا بحب آل أحمد* فإنها عقدة فوز لا تحل
وابعث لهم مراثيا ومدحا* صفوة ما راض الضمير ونخل
وما الخبيثان ابن هند وابنه* وإن طغى أمرهما بعد وجل
بمبدعين للذي جاء به* وإنما تقفيا تلك السبل

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٣٦٢، وانظر: ذخائر العقبى: ١١٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٨٧،
الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٥٤، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ١٢٥.

[المجلس الثاني]

كانت إمامة الحسين بعد أخيه الحسن عليهما السلام ثابتة، وطاعته على جميع الخلق فريضة، بنص أبيه وجده عليهما السلام عليه، وعهد أخيه الحسن ووصيته إليه، وكانا سيدي شباب أهل الجنة (١) بشهادة جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وهما سبطاه بالاتفاق الذي لا مرية فيه، وريحانتاه من الدنيا (٢) وحببياه من جميع أهلها، وهما حجتا الله لنبيه صلى الله عليه وآله في المباهلة (٣)، وحجتا

(١) راجع: المعجم الكبير للطبراني: ج ٣ ص ٢٥ - ٣٠ ح ٢٥٩٨ - ٢٦١٨، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٨٢ -

١٨٤، حلية الأولياء للأصبهاني: ج ٥ ص ٧١، مقتل الحسين للخوارزمي: ج ١ ص ٩٢، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ص ٧٢ ح ١٢٩ و ص ٧٤ ح ١٣٢ و ص ٧٦ ح ١٣٣ و ص ٧٧ ح ١٣٤ و ص ٧٩ ح ١٣٨ و ص ٨٠ - ٨٣ ح ١٣٩ - ١٤٣، فرائد السمطين للجويني:

ج ٢ ص ٤١ ح ٣٧٤، و ص ٩٨ - ٩٩ ح ٤٠٩ و ٤١٠ و ص ١٢٩ ح ٤٢٨، بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٦٤

ح ٩ و ج ١٦ ص ٣٦٢ ح ٦٢ و ج ٢٢ ص ٢٨٠ ح ٣٣ و ج ٢٥ ص ٣٦٠ ح ١٨.

(٢) كنز العمال: ج ١٣ ص ٦٦٧ ح ٣٧٦٩٩، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤ ص ٢٠٧.

(٣) إشارة إلى آية المباهلة وهي قوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [آل عمران: ٦١]

فقد أجمع الجمهور على أن هذه الآية الشريفة نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وذلك لما أراد المباهلة مع نصارى نجران. راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١: ١٥٥ - ١٦٦ ح ١٦٨ - ١٧٦، المستدرک للحاكم ٣: ١٥٠، أسباب النزول للواحدى: ٥٨ - ٥٩، صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ ح ٣٢، سنن الترمذي ٥: ٢١٠ ح ٢٩٩٩، إحقاق الحق للتستري ٣: ٤٦ - ٦٢، مجمع الزوائد ٧: ١١٠، فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٥٧١ ح ٩٦٦ و ص ٥٩٣ ح ١٠٠٨، الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ١٢: ٨٥ ح ١٢١٨٦، المطالب العلية لابن حجر ٤: ٥٦ ح ٣٩٤٩.

الله بعد على الأمة في الدين والملة.

وإن من برهان كمالهما، وحجة اختصاص الله لهما بفضله: بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله لهما، ولم يبايع صبيا غيرهما، وكان من عناية الله الخاصة بهما الدالة على تفضيلهما نزول القرآن بإيجاب الجنة ثوابا على عملهما أيام طفولتهما حيث كانوا: يوفون بالندى ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١) ولم ينزل قرآن بذلك في طفلين سواهما. وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامتهما بقوله: ابناي هذين إمامان قاما أو قعدا (٢).

ودلت وصية الحسن إلى الحسين على إمامته، كما دلت وصية أمير المؤمنين إلى الحسن على إمامته، ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام على إمامته من بعده. وتفصيل هذا في مظانه من كتب الأعلام من علمائنا رضي الله عنهم ورضوا عنه. (٣) فالحسين إمام بعد صنوه المجتبي، وإن لم يدع إلى نفسه أيام معاوية (٤)

(١) الدهر: ٧ - ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٩١ ح ٥ و ج ٤٤ ص ١ ح ٢.

(٣) للاطلاع على هذه الوصايا، أنظر الإرشاد للمفيد.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، مؤسس الدولة الأموية في الشام، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها، ولي قيادة جيش تحت إمرة أخيه في خلافة أبي بكر، وصار واليا على الأردن في خلافة عثمان، ثم ولاه دمشق، وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاية أمصارها تابعين له، وبعد قتل عثمان وولاية علي عليه السلام وجه له لفوره بعزله، وعلم معاوية قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان واتهم عليا بدمه ونشبت الحروب الطاحنة واستعمل معاوية الخديعة والمكر، مات معاوية في دمشق سنة ٦٠ هـ وعهد بالخلافة إلى ابنه يزيد. أنظر: تاريخ الطبري ٦: ١٨٠، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢، البدء والتاريخ ٦: ٥.

للتقية التي كانوا عليها، والحال التي آل أمرهم بعد النبي صلى الله عليه وآله إليها، فهو في ذلك كأبيه أمير المؤمنين حيث يقول: وصفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء - إلى أن قال: - فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شذى، أرى تراثي نهبا. (١)

(١) فلقد صبر أمير المؤمنين عليه السلام على اغتصاب الخلافة وظلم الزهراء عليها السلام وتحريف دين الله وسنة نبيه، ولذا جاءت خطبته الشقشقية تعبيرا عن حالة الظلم التي تعرض لها البيت النبوي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ونظرا لأهمية الخطبة نحن نوردتها كاملة.

يقول الإمام علي عليه السلام: (أما والله لقد تمصصها فلان) (وفي نسخة ابن أبي قحافة) وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرجا. ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه! فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان (وفي نسخة ابن الخطاب) بعده. ثم تمثل بقول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها * ويوم حيان أخي جابر
فيا عجبنا بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشد ما تشطرا ضرعيها! - فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها حرم وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس. وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة. وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم. فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكنني أسففت إذ أسفوا. وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته!

فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون: كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين) بلى! والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها!

أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كظة ظالم. ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز! انظر: شرح نهج البلاغة لمحمد عبدة ١: ٣٤ (الخطبة الشقشقية).

وعلى هذا المنوال نسج الحسن - بأبي وأمي - أيام الهدنة، إذ تغلب عليه ابن آكلة الأكباد، وهم جميعا على سنن النبي في أول أمره حيث لم يتمكن صلى الله عليه وآله من دعوة أحد إلى الله حينئذ أصلا، وحال أوصيائه من بعده كحالهم حين كان في الشعب محصورا، وفي الغار مستورا، ولئن كانت هذه الحال منافية للنبوة فهي غير منافية للإمامة بطريق أولى كما يعلمه أولو الألباب.

ولما هلك معاوية وانقضت الهدنة التي كانت تمنع الحسين عليه السلام من الدعوة إلى نفسه ووجد في ظاهر الحال من الأنصار ما يتسنى له القيام بالدعوة إلى الله تعالى، نهض بأعبائها، وتوجه بولده وأهل بيته من حرم الله تعالى وجرم رسوله إلى العراق للاستنصار على الظالمين، بمن دعاه إلى ذلك من أهل الكوفة، وقدم أمامه ابن عمه مسلما للدعوة إلى الله عز وجل، والبيعة له على الجهاد في إعلاء كلمته تعالى، وإنقاذ الدين والمسلمين من أولئك المنافقين، فبايعه أهل الكوفة على ذلك وعاهدوه، وضمنوا له النصر والنصيحة ووثقوه، ثم لم تطل المدة حتى نكثوا البيعة، وأسلموا مسلما فقتل بينهم غريبا مظلوما، وحيدا شهيدا، وخرجوا إلى حرب الحسين عليه السلام ففعلوا به ما لم يفعلوه

بالخوارج، وقابلوه بما لم يقابلوا به أهل الخنا والريب.
جعجعوا (١) به ومنعوه المسير إلى بلاد الله، وحالوا بينه وبين ماء الفرات،
حتى قضى شهيدا ظمأنا، مظلوما مهموما، مجاهدا مكابدا، صابرا محتسبا، قد
نكثت بيعته، واستحلت حرمة، ولم يوف له بعهد، ولا رعيت فيه ذمة وعقد،
وانتهبوا أمواله، وسبوا عياله، فلهفي لآل الرسول، وللخفريات من عقائل البتول،
وقد ضاقت بهم المذاهب، وارتجت عليهم المسالك، مولهين مدلهين، خائفين
مترقبين.

كانت بحيث عليها قومها ضرب * سرادقا أرضه من عزهم حرم
يكاد من هيبة أن لا يطوف به * حتى الملائك لولا أنهم خدم
فغودرت بين أدي القوم حاسرة * تسبى وليس لها من فيه تعتصم
نعم لوت جيدها للعب هاتفة * بقومها وحشاها ملؤه ضرم
عجت بهم مذ على أبرادها اختلفت * أيدي العدو ولكن من لها بهم
قومي الأولى عقدوا قدما مآزرهم * على الحمية ما ضيموا ولا اهتضموا
ما بالهم لا عفت منهم رسومهم * قروا وقد حملتنا الأنين الرسم

(١) كتب ابن زياد إلى عمر: أن جعجع بالحسين، أي أنزله بجعجاع وهو المكان الخشن الغليظ، وهذا
تمثيل لإلجائه إلى خطب شاق وإرهاق، وقيل المراد إزعاجه، لأن الجعجاع مناخ سوء لا يقر فيه
صاحبه، ومنه جعجع الرجل: قعد على غير طمأنينة. انظر: الفائق: ٣٦٤.

[المجلس الثالث]

لما اختار الله تعالى للأمام أبي محمد الحسن السبط عليه السلام دار كرامته ومأوى أصفياه، كتب الشيعة في العراق إلى الحسين عليه السلام يعرضون عليه البيعة (١) ويبدلون له النصر فأبى عليهم، وذكر أن بينهم عليهم السلام وبين معاوية هدنة لا يجوز لهم نقضها، فلما هلك معاوية وذلك للنصف من رجب سنة ستين (٢) قام من بعده ولي عهده يزيد المتهتك، وسكيره المفضوح، وهو صبي يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ولا يعرف من الدين موطن قدمه، ولا يرقب إلا ولا ذمة.

فكتب إلى ابن عمه الوليد بن عتبة (٣) - وكان واليا على المدينة - يأمره بأخذ البيعة له من الناس عامة، ومن الحسين خاصة، ويقول له: (إن أبي عليك الحسين فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه) (٤).

(١) إرشاد المفيد: ٢٠٠، الملهوف: ٩٦.

(٢) أنظر: تاريخ الطبري ٦: ١٨٠، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢، البدء والتاريخ ٦: ٥، الأعلام ٧: ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ابن حرب الأموي، أمير من رجالات بني أمية، ولي المدينة سنة ٥٧ هـ أيام معاوية، ومات معاوية فكتب إليه يزيد أن يأخذ له البيعة، عزله يزيد سنة ٦٠ هـ واستقدمه إليه، فكان من رجال مشورته بدمشق، ثم أعاده سنة ٦١ هـ وثورة عبد الله بن الزبير في أبنائها بمكة، وظل في المدينة إلى أن توفي بالطاعون سنة ٦٤ هـ.

أنظر: مرآة الجنان ١: ١٤٠، نسب قريش: ١٣٣ و ٤٣٣، الأعلام ٨: ١٢.

(٤) الملهوف: ٩٧.

فاستشار الوليد مروان (١) في ذلك، فقال له: إنه لا يبايع، ولو كنت مكانك لضربت عنقه.

ثم بعث إلى الحسين عليه السلام، فجاءه - بأبي وأمي - في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه، فنعى [الوليد] إليه معاوية، وكلفه بالبيعة (٢). فقال له عليه السلام: إن البيعة لا تكون سرا، فإذا دعوت الناس غدا فادعنا معهم.

فقال مروان: لا تقبل أيها الأمير عذره، فإن بايع الآن وإلا فاضرب عنقه. فغضب الحسين عليه السلام ثم قال: ويل بك يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.

ثم أقبل على الوليد فقال: (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل [فاسق] شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)، ثم خرج عليه السلام، فقال مروان للوليد: عصيتني.

فقال: ويحك أنك أشرت علي بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن الدنيا بأسرها تكون لي وأنني قتلت حسيناً أن قال: لا أبايع، والله ما أظن أن

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص، ولد بمكة وسكن المدينة، جعله عثمان من خاصته واتخذه كاتباً له، وبعد قتل عثمان خرج مروان مع عائشة إلى البصرة، وشهد صفين مع معاوية، ولي المدينة سنة في ولاية معاوية، وهو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص (طريد رسول الله)، مات سنة ٦٥ بالطاعون، وقيل: قتله زوجته أم خالد.
أنظر: أسد الغابة ٤: ٣٤٨، تاريخ ابن الأثير ٤: ٧٤، تاريخ الطبري ٧: ٣٤.
(٢) أي البيعة ليزيد.

أحدا يلقي الله بدم الحسين عليه السلام إلا وهو خفيف الميزان يوم القيامة، لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.
فأقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين.
فما أصبح - بأبي وأمي - خرج يستمع الأخبار فلقه مروان فقال: يا أبا عبد الله إني لك ناصح، فأطعني ترشد.
فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟ قل حتى أسمع.
فقال: إني أمرت ببيعة يزيد فإنه خير لك في دينك ودنياك!
فقال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون على الإسلام السلام إذا قد بليت الأمة براع مثل يزيد. وطال الحديث بينهما حتى ولى مروان وهو غضبان.
فلما كان آخر يوم السبت بعث الوليد برجاله إلى الحسين ليحضر فيبايع.
فقال له الحسين عليه السلام: أصبحوا ثم ترون ونرى.
فكفوا عنه ولم يلحوا عليه.
فخرج - بأبي وأمي - من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجل أهل بيته، سار من المدينة وهو يقرأ: فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (١).
ولزم الطريق الأعظم، فسئل أن يتنكب الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقه الطلب فأبى وقال: لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض، وكان دخوله

(١) سورة القصص: ٢١.

مكة ليلة الجمعة لثلاث مضيين من شعبان دخلها وهو يقرأ: ولما توجه تلقاء
مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (١).
فأقام فيها باقي شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة وثمان ليال من
ذي الحجة، ثم لم يأمن على نفسه، ولم يتمكن من تمام حجه مخافة أن يقبض
عليه بمكة فينفذ به إلى يزيد بن معاوية فأحل من إحرامه وجعلها عمرة مفردة
وخرج من مكة وهي حرم الله الذي يأمن فيه الوحش والطير، كما خرج من
المدينة وهي حرم جده رسول الله خائفا يترقب...
فوا لهفتاه ووا جزعاه عليك يا ودیعة المصطفى، وريحانته من الدنيا.
و وا حر قلباه لك يا خامس أصحاب الكساء، وقررة عين سيدة النساء.
يا بن مكة ومنى، وابن زمزم والصفاء، خفت على نفسك في الحرم، وأنت
أمن الخائفين، وفررت منهم لما خفتهم بأطفالك وعيالك، وأنت ملجأ الهاربين.
فيا لله من هذه الفادحة التي أكلت جبرائيل، و وا مصيبتاه من هذه النازلة إذ
عظمت على الرب الجليل.

مثل ابن فاطمة بييت مشردا ويزيد في لذاته متنعم
ويضييق الدنيا على ابن محمد حتى تقاذفه الفضاء الأعظم
خرج الحسين من المدينة خائفا كخروج موسى خائفا يتكتم
وقد انجلى عن مكة وهو ابنها وبه تشرفت الحطيم وزمزم
لم يدر أين يريح بدون ركابه فكأنما المأوى عليه محرم
فمشت تؤم به العراق نجائب مثل النعم به تخب وترسم

(١) سورة القصص: ٢٢.

[المجلس الرابع]

ولما نزل الحسين عليه السلام مكة أقبل أهلها ومن كان فيها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه، وجاءه ابن عباس وابن الزبير فأشارا عليه بالإمساك فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بأمر وأنا ماض فيه). فخرج ابن عباس وهو يقول: (وا حسينا) (١).

وجاءه ابن عمر فأشار عليه بالصلح. فقال عليه السلام: (يا أبا عبد الرحمن أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوعي الفجر والشمس سبعين نبيا، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئا فلم يعجل الله عليهم ثم أخذهم أخذ عزيز ذي انتقام، اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي) (٢).

وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد، وعرفوا بامتناع الحسين من بيعته، ومجيئه إلى مكة (٣).

-
- (١) الملهوف: ١٠١، أنساب الأشراف للبلاذري، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٦٦.
(٢) أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ١٦٦ - ١٦٧.
(٣) الإرشاد للمفيد: ٢٠٦.

فاجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي (١)، فلما تكاملوا قام سليمان فقال: إن معاوية قد هلك، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته، وخرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه، ونقتل أنفسنا دونه فاكتبوا إليه، وإن خفتكم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه.

قال: فاكتبوا إذا إليه. فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم
للحسين بن علي عليهما السلام.

(١) أبو مطرف سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون عبد العزى بن منقذ السلولي الخزاعي، صحابي، كان اسمه في الجاهلية (يسار) وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله باسم (سليمان)، شهد الجمل وصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من أوائل من سكن الكوفة من المسلمين، كان من وجهاء الشيعة فيها، وله مكانة جلييلة عندهم، قاد ثورة التوابين التي انطلقت من الكوفة للمطالبة بدم الحسين عليه السلام.

بعد موت معاوية كان من جملة من كتب إلى الحسين يدعوه للقدوم إلى الكوفة، وقف إلى جانب مسلم بن عقيل عند وثوبه فيها، لكن ابن زياد ألقاه في السجن، ولهذا لم يحظ بالمشاركة في معركة الطف.

وبعد واقعة كربلاء، حين استشعر أهل الكوفة الندم لنكولهم عن نصره الحسين، اضطلع هو بقيادة ثورة التوابين الذين أعلنوا ثورتهم عام ٦٥ للهجرة، وكان شعارهم (يا لثارات الحسين)، حيث اشتبكوا مع جيش ابن زياد في موضع يقال له (عين الوردة) واستشهد في هذه المعركة هو وعدة من أصحابه، قتله الحصين بن نمير، وقيل: إنه استشهد أثناء الاشتباك مع القوات التي كانت موفدة من الشام إلى الحجاز. كان عمر سليمان بن صرد عند استشهاده ٩٣ سنة، وبعد استشهاده أرسلوا رأسه إلى مروان بن الحكم في الشام، أنظر: الإصابة ترجمة رقم ٣٤٥٠، أسد الغابة ٢: ٤٤٩، تاريخ الإسلام ٣: ١٧، الأعلام ٣: ١٢٧.

من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة (١) ورفاعة بن شداد (٢) وحبیب بن مظاهر (٣) وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

(١) هو: المسيب بن نجبة (نجية) بن ربيعة بن رياح الفزاري، تابعي، كان من وجوه أصحاب علي عليه السلام وشارك معه في مشاهدته كلها، شهد القادسية وفتوح العراق، شارك في ثورة التوابين الذين خرجوا للمطالبة بدم الحسين وشهداء كربلاء، بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ولما قتل سليمان، أخذ الراية وقاتل بشجاعة حتى قتل.

كان المسيب من أشد الناس حسرة على عدم شهادته بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أعلن ندمه في خطابه الذي ألقاه على جموع التوابين، وقد أسف كثيرا على عدم نصرته له بعدما وصله كتاب الإمام ومبعوثه. أنظر: الإصابة ترجمة رقم ٨٤٢٤، مروج الذهب ٣: ٩٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٢٤٨، الأعلام ٧: ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) رفاعة بن شداد البجلي، قارئ من الشجعان المقدمين، من أهل الكوفة، من شيعة علي عليه السلام، قتل سنة ٦٦ هـ. أنظر: الأعلام ٣: ٢٩.

(٣) حبیب بن مظاهر - أو مظهر أو مطهر - بن رئاب بن الأشتر بن حجون الأسدي الكندي ثم الفقعسي، تابعي، من القواد الشجعان، نزل الكوفة، صحب علي عليه السلام في حروبه كلها.

قال أصحاب السير: إن حبيبا نزل الكوفة وصحب عليا عليه السلام وكان من خاصته وحملة علومه، وكان من (شرطة الخميس) التي أوجدها الإمام علي عليه السلام في الكوفة، وكان ممن سعى لأخذ البيعة لمسلم بن عقيل عند دخوله الكوفة، وهو أحد الزعماء الكوفيين الذين كتبوا إلى الحسين عليه السلام، وكان معظما عند الحسين عليه السلام.

وعند التعبئة للقتال جعله الحسين على ميسرة أصحابه، وكان قد بذل محاولة لاستقدام أنصارا من بني أسد، وحال الجيش الأموي دون وصولهم معسكر الحسين عليه السلام.

أما قصة حوارهم مع ميثم التمار فهي مشهورة، وذلك أنهما مرا في مجلس لبني أسد قبل عاشوراء بسنوات، وتحدث كل منهما عن الكيفية التي سيستشهد بها الآخر، وكان ذلك مدعاة لتعجب الحاضرين. كان يرتجز يوم الطف ويقول:

أنا حبیب وأبي مظهر فارس هيجاء وحرب تسعر

في كربلاء كان حبیب بن مظاهر مستبشرا بقرب استشهاده ورواحه الجنة، فكان يمزح مع برير بن خضير، ولما قتل حبیب هد ذلك حسينا فقال عليه السلام: أحتسب نفسي وحماة أصحابي. قتله بدليل بن صريم الغفقاني، وكان عمره آنذاك ٧٥ سنة، وطافوا برأسه أيضا بالكوفة مع سائر رؤوس الشهداء.

أنظر: تاريخ الطبري ٥: ٣٥٢ - ٤٤٠، لسان الميزان ٢: ١٧٣، الأعلام ٢: ١٦٦.

سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.
أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه
الأمّة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها،
واستبقي شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها، فبعدا له كما
بعدت ثمود، وإنه ليس علينا إمام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق:
والنعمان بن بشير (١) في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة [ولا جماعة]،
ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام
إن شاء الله تعالى، والسلام عليك يا بن رسول الله وعلي أبيك من قبلك ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم سرحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني، وعبد الله بن وال،
وأمر وهما بالنجاء (٢). فخرجا مسرعين حتى قدما على الإمام عليه السلام بمكة
لعشر مضيّن من شهر رمضان.

وبعد يومين من تسريحهم بالكتاب (٣) أنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي
وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي، ومعهم
نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله أمير شاعر، من أهل المدينة،
وجهته نائلة - زوجة عثمان - بقميص عثمان إلى معاوية، فنزل الشام وشهد صفين مع معاوية، وولي
القضاء بدمشق، وولي بعده اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، وعزل عنها وصارت له ولاية
حمص، واستمر فيها إلى أن مات يزيد، فبايع النعمان لابن الزبير، وتمرد أهل حمص فخرج هاربا،
فأتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة ٦٥ هـ.
أنظر: جمهرة الأنساب: ٣٤٥، أسد الغابة ٥: ٢٢، الأعلام ٨: ٣٦.

(٢) النجاء: الإسراع والسبق.

(٣) الإرشاد: ٢٠٣، الملهوف: ٦٥.

ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه عليه السلام هاني بن هاني السبيعي (١)
وسعيد بن عبد الله الحنفي (٢) وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي عليهما السلام.

من شيعته من المؤمنين والمسلمين.

أما بعد: فحي هلا فإن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل
ثم العجل العجل.

ثم كتب شيبث بن ربعي (٣)، وحجار بن أبجر (٤)، ويزيد بن الحارث (٥)،

(١) هانئ بن هانئ الهمداني الكوفي، روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهنه أبو إسحاق
السبيعي. أنظر: تهذيب التهذيب ١١: ٢٢ - ٢٣.

ولم ينعته كل من ترجمه بالسبيعي، والسبيعي بطن من بطون همدان.

(٢) وروي كذلك باسم سعد، وهو من بني حنيفة بن لجيم من بكر بن وائل، وهو أحد الرسل الذين حملوا
رسائل الكوفيين إلى الحسين عليه السلام، من أعظم الثوار تحمسا.

أنظر: تاريخ الطبري ٥: ٤١٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٩٥.

(٣) شيبث بن ربعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس، شيخ مصر وأهل الكوفة في أيامه، أدرك عصر
النبوة، ولحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد إلى الإسلام، ثار على عثمان، قاتل الحسين عليه السلام بعد أن
كتب إليه يدعوه إلى المحجى، مات بالكوفة نحو سنة ٧٠ هـ.

وقيل: إنه لما قبض على شيبث قال له إبراهيم: أصدقني ما عملت يوم الطف؟ قال: ضربت وجهه
الشريف بالسيف!! فقال له: ويلك يا ملعون، ما خفت من الله تعالى ولا من جده رسول الله، ثم جعل
يشرح أفخازه حتى مات.

أنظر: الإصابة ترجمة رقم ٣٩٥٠، تهذيب التهذيب ٤: ٣٠٣، ميزان الاعتدال ١: ٤٤٠.

(٤) حجار - ككتان وككتاب - بن أبجر الكوفي، يقال فيه ممن يروي عن أمير المؤمنين، روى عنه
السماك بن

حرب. أنظر: الرجال في تاج العروس ٢: ٢٥.

(٥) يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني، أدرك عصر النبوة، وأسلم على يد أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام، وشهد اليمامة، ونزل بالبصرة، قتل في الري سنة ٦٨ هـ.

الإصابة ترجمة رقم ٩٣٩٨، تهذيب التهذيب ٨: ١٦٣، جمهرة الأنساب: ٣٠٥.

وعروة بن قيس (١)، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن عمرو التميمي (٢):
أما بعد: فقد اخضر الجناب (٣)، وأينعت الثمار، [وأعشبت الأرض،
وأورقت الأشجار،] فإذا شئت فاقبل علي جند لك مجندة والسلام.
وتواترت عليه الكتب حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف
كتاب، وهو مع ذلك يتأني ولا يجبههم.
فورد عليه في يوم واحد ست مائة كتاب، وتلاقت الرسل كلها عنده
فسألهم عن الناس، وقال لهاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي:
خبراني من اجتمع علي هذا الكتاب؟
فذكر له وجوه أهل الكوفة، وأولي الرأي منهم.
فقام - بأبي وأمي - عند ذلك فصلى ركعتين بين الركن والمقام، ثم كتب مع
هاني وسعيد:

بسم الله الرحمن الرحيم
من الحسين بن علي.

إلي الملاء من المؤمنين والمسلمين:

أما بعد: فإن هانيا وسعيدا قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من

(١) ظاهرا الصحيح: عزرة بن قيس. راجع: تاريخ الطبري ٥: ٣٥٣، أنساب الأشراف ٣: ١٥٨.
(٢) محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي الدارمي، من أهل الكوفة، له مع الحجاج
وغيره من أمرائها أخبار، كان أحد أمراء الجند في صفين مع علي عليه السلام، توفي نحو ٨٥ هـ. أنظر:
المحبر: ١٥٤ و ٣٣٨ و ٣٣٩، لسان الميزان ٥: ٣٣٠.
(٣) في بعض المصادر: اخضرت الجنات، والجناب: الفناء، وما قرب من محلة القوم.

رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذاكرتم، ومقالة جلكم: (إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والهدى).
وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل.
فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم، وذوي الحجي والفضل منكم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله تعالى فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام.
ودعا سلام الله عليه مسلم بن عقيل فسرجه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمار بن عبد الله السلولي وعبد الله وعبد الرحمن الأرحبيين، وأمره بالتقوى وكتمان أمره والल्पف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك.
فأقبل مسلم رضوان الله عليه حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وودع أهله ومن يحب.
وسار حتى وصل الكوفة فنزل في دار المختار بن [أبي] عبيدة الثقفي (١)، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، وكلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون.

(١) المختار بن أبي عبيدة ابن مسعود الثقفي أبو إسحاق، من زعماء الثائرين على بني أمية، من أهل الطائف، انتقل إلى المدينة مع أبيه، وبقي المختار في المدينة منقطعا إلى بني هاشم، تزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخت المختار صفية، وكان المختار مع علي عليه السلام بالعراق، وسكن البصرة بعد علي عليه السلام، قبض عليه عبيد الله بن زياد في البصرة وحبسه ونفاه بشفاعه ابن عمر إلى الطائف، ذهب إلى الكوفة بعد موت يزيد لأخذ الثأر من قتلة الحسين، واستولى على الكوفي والموصل وتبع قتلة الحسين عليه السلام، قتله مصعب بن الزبير بعد حرب بينهما سنة ٦٧ هـ.
أنظر: الإصابة ترجمة رقم ٨٥٤٥، الفرق بن الفرق: ٣١ - ٣٧، الكامل في التاريخ ٤: ٨٢ - ١٠٨، تاريخ الطبري ٧: ١٤٦.

وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.
فكتب مسلم إلى الحسين بذلك، وطلب منه القدوم عليهم.
وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل، حتى علم النعمان بن بشير
بذلك - وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقره يزيد عليها - وعلم بمكان
مسلم فلم يتعرض له بسوء.
فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أمية فقال له: إنه
ما يصلح ما ترى أيها الأمير إلا الغشم - أي الظلم - وأن هذا الذي أنت عليه فيما
بينك وبين عدوك لرأي المستضعفين.
وكتب إلى يزيد كتاباً فيه: أن مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعت الشيعة
للحسين، فإن يكن لك فيها حاجة فابعث إليها قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك
في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف.
ثم كتب كل من عمارة بن عقبة وعمر بن سعد بنحو من ذلك.
وبعد وصول كتبهم إلى يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد - وكان والياً على
البصرة (١) - بأنه قد ولاة الكوفة وضمها إليه، وعرفه أمر مسلم بن عقيل وشدد
عليه في تحصيله وقتله.
فأسرع اللعين إلى الكوفة، واستخلف أخاه عثمان على البصرة، وكان
دخوله إلى الكوفة ليلاً، فظن أهلها أنه الحسين عليه السلام فتباشروا بقدومه
ودنوا منه، فلما عرفوا أنه ابن مرجانة تفرقوا عنه. فدخل قصر الإمارة وبات فيه
إلى الغداة، ثم خرج فأبرق وأرعد، ووعد وتوعد.
فلما سمع مسلم بن عقيل بذلك خاف على نفسه، فقصده هاني بن عروة

(١) البصرة بلدة إسلامية بنيت في خلافة عمر في السنة ١٨ من الهجرة، سميت بذلك لأن البصرة الحجاره
الرخوة، وهي كذلك، فسميت بها، والبصرتان: البصرة والكوفة. مجمع البحرين ٣: ٢٢٥ - ٢٢٦.

فآواه وأكرم مثواه، وكثر اختلاف أصحابه إليه يبايعونه على السمع والطاعة. لكنهم نقضوا بعد ذلك بيعته، وأخفروا ذمته، ولم يثبتوا معه على عهد، ولا وفوا له بعقد، وكان - بأبي هو وأمي - من أسود الوقائع، وسقاة الحتوف، وأبابة الذل، وأولي الحفائظ، وله - حين أسلمه أصحابه، واشتد البأس بينه وبين عدوه - مقام كريم، وموقف عظيم، إذ جاءه العدو من فوقه ومن تحته، وأحاط به من جميع نواحيه، وهو وحيد فريد، لا ناصر له ولا معين، فأبلى بلاء حسنا، وصبر صبر الأحرار على ضرب سيوفهم، ورضخ أحجارهم (١) وما ناله من ضياتهم الشحيذة، وأطنان قصبهم الملتهبة، التي كانوا يرمونه من فوق البيت عليه، حتى وقع في أيديهم أسيرا، بعد أن فتك بهم، وأذاقهم وبال أمرهم، ثم قتلوه ظلما وهو يكبر الله ويستغفره، ويصلي على رسوله صلى الله عليه وآله، وصلبوا جثته بالكناسة، وبعثوا برأسه إلى الشام.

رعي الله جسما بالكنائس مصلبا* ورأسا له فوق السنان مركبا
لقد سامه الأعداء خفضا فما ارتضى* سوى الرفع فوق السمهرية منصبا
وقفت بمستن النزال فلم تجد سوى* الموت في الهيجا من الضيم مهربا
إلى أن وردت الموت والموت سنة* لكم عرفت تحت الأسنة والضبا
ولا عيب في الحر الكريم إذا* قضى بحد الضبا حرا كريما مهذبا

(١) رضخ رأسه بالحجر: رضه.

[المجلس الخامس]

لما جاء عبيد الله بن زياد (١) إلى الكوفة (٢)، وضع المراصد، وبث الجواسيس فيها على مسلم، حتى علم أنه في دار هاني، فدعا محمد بن الأشعث (٣) وأسماء بن خارجة (٤) وعمرو بن الحجاج، فقال: ما يمنع هانيا من إتياننا؟

فقالوا: ما ندري، وقد قيل: إنه يشتكي.

فقال: بلغني ذلك، ثم علمت أنه قد برئ وأنه يجلس على باب داره، ولو أعلم أنه شك لعدته، فألقوه ومروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا، فإنني لا أحب أن يفسد عندي مثله، [لأنه] من أشرف العرب.

(١) عبيد الله بن زياد بن أبيه، ولد بالبصرة، وكان مع والده لما مات بالعراق، قصد الشام فولاه عمه معاوية خراسان سنة ٥٥٣ هـ وبقي فيها سنتين، ونقله معاوية إلى البصرة أميرا عليها سنة ٥٥٥ هـ، وأقره يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ، وكانت فاجعة الصف في أيامه وعلى يده، وبعد هلاك يزيد بايع أهل البصرة لعبيد الله، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه، فهرب متخبئا إلى الشام، ثم عاد يريد العراق، فلحق به إبراهيم الأشر فافتتلا وتفرق أصحاب عبيد الله فقتله ابن الأشر في خازر من أرض الموصل، ويدعى عبيد الله بابن مرجانة، وهي أمه كانت معروفة بالفسق والفجور. أنظر: تاريخ الطبري ٦: ١٦٦ و ٧: ١٨ و ١٤٤، الأعلام ٤: ١٩٣.

(٢) الإرشاد: ٢٠٨، الملهورف: ١١٤.

(٣) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أبو القاسم، من أصحاب مصعب بن الزبير، قتل سنة ٦٧ هـ. أنظر ترجمته في الإصابة رقم ٨٥٠٤، الأعلام ٦: ٣٩.

(٤) أسماء بن خارجة بن حصين الفزاري، تابعي، من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة، توفي سنة ٦٦ هـ. أنظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٢: ٣٧٢، الأعلام ١: ٣٠٥.

فأتوه ووقفوا عشية على باب داره، فقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير، فإنه ذكرك وقال: لو أعلم أنه شك لعدته؟ فقال: الشكوى تمنعني.

فقالوا: [إنه] قد بلغه جلوسك كل عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يتحملة السلطان من مثلك، لأنك سيد قومك، ونحن نقسم عليك إلا ركبت معنا.

وما زالوا به حتى غلبوه على رأيه، فدعا بثيابه فلبسها، ثم دعا ببغلتته فركبها، فلما دنا من القصر أحس ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة:

يا بن أخي إني والله لخائف من هذا الرجل فما ترى؟ فقال: والله يا عم ما أتخوف عليك شيئاً، فلا تجعل على نفسك سييلاً، ولم يكن حسان يعلم الذي أضمر ابن مرجانة لهاني. فجاءه رحمه الله تعالى والقوم معه حتى دخلوا جميعاً على ابن زياد، فلما رأى هانياً قال: أتتكم بخائن (١) رجلاه. ثم تمثل فقال: أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد (٢)

(١) كذا في الأصل والمصادر، والظاهر أن الصحيح: حائن، وهو الذي حان حينه وهلاكه، راجع مجمع الأمثال للميداني.

(٢) هذا البيت ل (عمرو بن معدي كرب الزبيدي) وهو فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة ٩ هـ في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا، يكنى أبا ثور، توفي على مقربة من الري سنة ٢١ هـ، وقيل: قتل عطشا يوم القادسية. انظر: الإصابة رقم (٥٩٧٢)، خزنة الأدب ١: ٤٢٥ - ٤٢٦، الأعلام ٥: ٨٦.

فقال له هاني: وما ذاك يا أمير؟
فقال: إيها يا هاني ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين
وعامة المسلمين؟ جئت بابن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح
والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى علي.
فقال: ما فعلت.

قال: بلى قد فعلت.

فلما كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلا الإنكار، دعا ابن زياد بمعقل (١) مولاه
حتى وقف بين يديه - وكان عينا له على أخبارهم من حيث لا يدرون، وقد عرف
كثيرا من أسرارهم، إذ كان يظهر لهم الإخلاص لأهل البيت والتفاني في حبهم -
فلما رآه هاني علم أنه كان عينا عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده
ثم راجعته نفسه فقال:

أصلح الله الأمير والله ما بعثت إلى مسلم بن عقيل، ولا دعوته، ولكن
جاءني مستجيرا فأجرته، واستحييت من رده، ودخلني من ذلك ذمام فضيفته
وأويته، والآن فخل سبيلي حتى أرجع إليه وأمره بالخروج من داري إلى حيث
شاء من الأرض لأخرج بذلك من ذمامه وجواره، ثم أرجع إليك حتى أضع يدي
في يدك.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني حتى تأتيني به.
فقال: والله لا آتيك به أبدا، آتيك بضيبي تقتله!
فقال: والله لتأتيني به.

(١) لم يذكره، وهو ملعون خبيث.

فقال: والله لا آتيك به، فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي (١) فقال: أصلح الله الأمير خلني وإياه حتى أكلمه.
فقام فخلى به ناحية وهما بحيث يراهما ابن زياد ويسمع كلامهما فبينما هما يتناحيان إذ رفعوا أصواتهما. فقال الباهلي:
يا هاني أنشدك بالله لا تقتل نفسك، ولا تدخل البلاء على عشيرتك فوالله إنني لأنفس بك عن القتل، إن هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة وإنما تدفعه إلى السلطان.
فقال هاني: والله إن علي في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيئي ورسول ابن رسول الله وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا واحدا ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه، فأخذ يناشده وهو يقول:
والله لا أدفعه أبدا.
فسمع ابن زياد ذلك فقال: ادنوه مني فادني منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك.
فقال هاني: إذا تكثر البارقة حول دارك.
فقال ابن زياد: وا لهفاه عليك أبا البارقة تخوفني؟ وهاني يظن أن عشيرته يمنعونه، ثم قال: ادنوه مني فادني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبهته وخرده حتى كسر أنفه وسال الدماء على ثيابه ونثر لحم خده وجبينه على لحيته الشريفة فانكسر القضيب.
وضرب هاني يده على قائم سيف شرطي فجاذبه ذلك الرجل، فصاح

(١) في بعض المصادر مسلم بن عمر، وفي أخرى مسلم بن عمير الباهلي. لم يذكره.

اللعين ابن مرجانة: خذوه، فجروه حتى ألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه وجعلوا عليه حرسا.

فقام حسان بن أسماء بن خارجة إلى ابن زياد فقال: أرسل غدر - نحن - سائر اليوم أيها الأمير، أرسلتنا إلى الرجل، وأمرتنا أن نجئك به، حتى إذا جئناك به هشمت وجهه، وأسلت دماؤه وزعمت أنك تقتله؟.

فغضب ابن مرجانة وقال: وإنك لها هنا، ثم أمر به فضرب وقيد وحبس. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إلى نفسي أنعك يا هاني.

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانيا قد قتل، وكان هاني صهره على بنته رويحة (١)، فأقبل عمرو في مذبح كافة حتى أحاط بالقصر، ونادى: أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذبح ووجوهها لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغنا أن صاحبنا قد قتل.

فأتاهم القاضي شريح (٢) - وكان مع ابن زياد في القصر حين دخل عليه هاني وفعل معه ما فعل - فأخبرهم بسلامته فرضوا بقوله وانصرفوا.

تبا لهم وترحا، لقد خطمهم (٣) ابن مرجانة بالذل، وقادهم ببرة (٤) الهوان وعفر وجوههم إذ هشم وجه سيدهم، وأرغم آنافهم إذ كسر أنفه، وألقاهم في

(١) رويحة ابنة عمرو، كانت أم ولد للأشعث بن قيس الكندي، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد، أعتقها الأسيد الحضرمي. انظر: الكامل في التاريخ ٤: ٣١، أعلام النساء المؤمنات: ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية، توفي سنة ٧٨ هـ، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧ هـ. انظر: الطبقات ٦: ٩٠ - ١٠٠، وفيات الأعيان ١: ٢٢٤.

(٣) من خطم البعير: وهو أن يشد على أنفه حبل يقاد به.

(٤) البرة: حلقة تجعل في لحم أنف البعير ويشد إليها الزمام.

مراغة (١) الذل إذ ألقاه في الحبس، ومرغهم في حمأة (٢) الهوان إذ جروه قتيلا
برجله في الأسواق.
أما هاني فقد فاز بالشهادة، وختمت أيامه بالسعادة.
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشورا وخالف مجرما
وقد ثارت به الحمية لله عز وجل، وعصفت في رأسه لرسول الله صلى الله
عليه وآله، وأخذته حفاظ الولاية لآله الطيبين الطاهرين، فبذل نفسه، ووقاهم
بمهجته.
فوا لهفاه ما أعز جانبه.
وأسفا عليه ما أمنع حوزته.
وحزنا لوجهه الميمون المشرق وقد شوّهه اللعين ضربا بعصاه.
ونفسي الفداء لذلك الأنف الحمي وقد كسر في سبيل الله.
ولله تناثر اللحم من جبينه الواضح، وخده الزاهر، وجبهته المباركة على
كريمته الشريفة.
وفي عين الله خضبت تلك الشيبة العزيزة بدماء ذلك الأغر، دون أن يهتضم
جاره أو يستباح ذماره.
كريم أبي شم الدنية أنفه فأشممه شوك الوشيج المسدد
وقال: قفي يا نفس وقفة وارد حياض الردى لا وقفة المترد

(١) المراغة: الموضع تتمرغ فيه الدواب.
(٢) الحمأة: الطير الأسود المنتن.

[المجلس السادس]

لما بلغ مسلم بن عقيل ما فعل ابن زياد بهاني بن عروة، خرج بمن بايعه لإنقاذ هاني، وحرب ابن زياد (١) فتحصن اللعين عنه بقصر الإمارة، واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل أصحابه الذين معه في القصر يشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعدونهم بأجناد الشام. فلم يزالوا كذلك حتى جاء الليل، فجعل أصحاب مسلم يتفرقون عنه، ويقول بعضهم لبعض: ماذا نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم. وما زالوا يتفرقون حتى أمسى ابن عقيل وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفسا في المسجد. فلما رأى ذلك خرج متوجها نحو أبواب كندة، فما بلغها إلا ومعه منهم عشرة.

ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدلّه، فالتفت فإذا لا يحس بأحد، فمضى على وجهه متلدا في أزقة الكوفة لا يدري كيف يصنع ولا أين يذهب. ومشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: (طوعة) أم ولد - كانت للأشعث ابن قيس فأعتقها، فتزوجت أسيد الحضرمي فولدت له بلالا، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره - فسلم عليها مسلم فردت عليه، ثم طلب منها

(١) الإرشاد: ٢١٠، الملهوف: ٨٢.

ماء فسقته، وأدخلت الإناء، ثم خرجت فوجدته جالسا، فقالت له: ألم تشرب الماء؟

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك فسكت.

ثم أعادت عليه القول. فسكت.

فقالت له في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله، قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك.

فقام وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصير منزل ولا عشيرة، فهل لك من أجر ومعروف ولعلي مكافئك بعد اليوم.

قالت: يا عبد الله وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني.

قالت: أنت مسلم؟

قال: نعم؟

قالت: أدخل، فدخل بيتا في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش.

وجاء ابنها وعرف بمكان مسلم فوشى به إلى ابن زياد.

فأحضر محمد بن الأشعث، وضم إليه قومه، وبعث معه عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلا من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها مسلم، فلما سمع وقع حوافر الخيل، وأصوات الرجال علم أنه قد أتى فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار فشد عليهم فضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم

عادوا إليه فشد عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمر (١) فضرب بكر لعنة الله فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى، وفصلت ثنيتاه، وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة، وثنى بأخرى على حبل عاتقه، كادت تطلع من جوفه، وجعل يحارب أصحاب ابن زياد حتى قتل منهم جماعة، فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطناب القصب، ثم يلقونه عليه من فوق السطح، فخرج عليهم مصلتا بسيفه فناده محمد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول: أقسمت لا أقتل إلا حرا* وإن رأيت الموت شيئا نكرا
أكره أن أخدع أو أغرا أو* أخلط البارد سخنا مرا
كل امرئ يوما يلاقي شرا* أضربكم ولا أخاف ضرا
فناده ابن الأشعث: إنك لا تكذب ولاه.
وكان قد أثنى بالحجارة، وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى الحائط.
فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك الأمان.
فقال: أنا آمن؟

قال: نعم.

ثم قال للقوم: ألي الأمان؟

قالوا: نعم.

فقال: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم، وأوتي بيغلة فحمل عليها، فاجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه، فكأنه عند ذلك يأس من نفسه فدمعت

(١) بكر بن حمران الأحمر، خبيث ملعون، قاتل مسلم بن عقيل. أنظر: مستدركات علم الرجال ٢: ٥٠.

عيناه، ثم قال:
هذا أول الغدر أين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى.
فقال له عبيد الله السلمي: إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل
الذي نزل بك لم يبك.
قال: إني والله ما لنفسى بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لا أحب
لها طرفة عين تلتفا، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي، أبكي للحسين وآل الحسين
عليه السلام.
ثم أقبل على ابن الأشعث فقال: إنك ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟
تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لساني يبلغ الحسين - فإني لا أراه إلا قد
خرج اليوم، أو هو خارج غدا بأهل بيته - فيقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك،
وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل، وهو يقول: إرجع فداك
أبي وأمي بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذين كان
يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة كذبوك، وليس لمكذوب رأي.
وأقبل ابن الأشعث بمسلم إلى باب القصر، فدخل على ابن زياد فأخبره
الخبر، وقد اشتد العطش بمسلم وعلى باب القصر جماعة ينتظرون الأذن، وإذا
قلة باردة على الباب. فقال:
أسقوني من هذا الماء.
فقال مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها، والله لا تذوق منها قطرة
أبدا حتى تذوق الحميم في نار جهنم.
فقال له ابن عقيل: لأمك الشكل ما أجفاك وأفضك وأقسى قلبك، أنت يا بن
باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم.

ثم تساند إلى حائط وجاء عمرو بن حريث (١) بقلة عليها منديل وقدح
فصب فيه ماء وقال له: اشرب.
فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دما من فيه، ففعل ذلك مرتين، فلما ذهب
في الثالثة ليشرّب سقطت ثنيتاه في القدح.
فقال: الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.
ثم أدخل على ابن مرجانة فلم يسلم عليه.
فقال له الحرس: سلم على الأمير.
فقال له: اسكت ويحك والله ما هو لي بأمر.
فقال له ابن زياد: إيها يا بن عقيل! أتيت الناس وهم جميع، فشتت بينهم،
وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض.
قال: كلا لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل
خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لأمر
بالعدل، وندعوا إلى حكم الكتاب.
فقال ابن زياد: وما أنت وذاك، ثم قال عليه اللعنة: يا فاسق إن نفسك
تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك له أهلا.
فقال مسلم: من أهله إذا لم نكن نحن أهله؟
فقال ابن زياد: أهله أمير المؤمنين يزيد.

(١) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله المخزومي، روى عن أبي بكر وابن مسعود، وروى عنه
ابنه جعفر والحسن العرنبي والمغيرة بن سبيع وغيرهم، كانت داره مأوى لأعداء أهل البيت، ولي الكوفة
لزياد بن أبيه ولابنه عبید الله، مات سنة ٨٥ هـ.
أنظر: سير أعلام النبلاء ٣: ٤١٧ - ٤١٩، الأعلام ٥: ٧٦.

فقال مسلم: الحمد لله على كل حال رضينا بالله حكما بيننا وبينكم.
فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.
فقال مسلم: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع
سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.
فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً عليهم السلام.
فأخذ مسلم لا يكلمه، ونظر إلى جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد
فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك نصح
حاجتي، وهي سر بيننا، فامتنع اللعين أن يسمع منه، فأمره ابن مرجانة بذلك،
فقاما إلى ناحية في المجلس وابن مرجانة يراهما، فقال:
إن علي سبعمائة درهم لبعض أهل الكوفة فبع سيفي ودرعي واقضها
عني، وإذا قتلت فاستوهب جثتي فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من
يرده، فإنني كتبت إليه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً.
فقال ابن سعد: أتدري أيها الأمير ما قال؟ إنه ذكر كذا وكذا وكذا.
فقال ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن.
وأمر لعنة الله أن يصعدوا به فوق القصر ويضربوا عنقه، ثم يتبعوه جسده
ودعا بكر بن حمران فقال له:
إصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبر الله ويستغفره،
ويصلي على رسوله ويقول:
اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا، فأشرف على موضع
الحداتين فضرب عنقه وأتبع جسده رأسه.
ثم أمر ابن زياد بهاني في الحال فقال:

أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه، فأخرج وهو مكتوف فجعل يقول:
وامدحجاه ولا مدحج لي اليوم، يا مدحجاه يا مدحجاه، وأين مدحج؟
فلما رأى أن أحدا لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف وهو يقول: أما
من عصا أو سكين أو حجر يحاجز بها رجل عن نفسه؟
فوثبوا إليه فشدوه وثاقا ثم قيل له: مد عنقك.
فقال: ما أنا بها سخى، وما أنا بمعينكم على نفسي.
فضربه مولى لابن مرجانة - تركي - بالسيف فلم يصنع شيئا، فقال هاني:
إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك ثم ضربه أخرى فقتله شهيدا
محتسبا.

وفي مسلم وهاني يقول عبد الله بن زبير الأسدي (١):
فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري* إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه* وآخر يهوى من طمار (١) قتيل
أصابهما أمر اللعين فأصبحا* أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه* ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيى من فتاة حية* وأقطع من ذي شفرتين صقيل (٢)

(١) زبير - بفتح الزاي المعجمة كحبيب -، وعبد الله بن زبير الأسدي بن الأعشى، واسمه قيس بن بجرة
بن

قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين الأسدي، من بني أسد بن خزيمة، وكان يتشيع. انظر أدب
الطف ١: ١٤٣.

(٢) في بعض المصادر: جدار.

(٣) ويقال إن هذه القصيدة للفرزدق، وقال بعضهم إنها لسليمان الحنفي. انظر: تاريخ الطبري ٣: ٣٢، مقتل
الخوارزمي ١: ٢١٤، أدب الطف ١: ١٤٣.

[المجلس السابع]

لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج إلى العراق قام خطيبا، فكان مما قال:

وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا
لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن
مني أكراشا جوفاء، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا
أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجر الصابرين، لن تشذ عن رسول الله
صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه،
وينجز بهم وعده، ألا ومن كان باذلا فينا مهجته، وموطئا على لقاء الله نفسه،
فليرحل معنا، فإنني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى. (٣)
وجاءه تلك الليلة أخوه محمد بن الحنفية فقال له:

يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن
يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه.
فقال عليه السلام: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد في الحرم فأكون الذي
يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن، أو بعض نواحي البر،
فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك.

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٦.

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.
فلما كان في السحر ارتحل عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ
زمام ناقته التي ركبها.
فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟
قال: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟
قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين
أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.
فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء
معك على مثل هذه الحالة.

فقال له: قد قال لي: إن الله شاء أن يراهن سبايا.
ولقيه أبو محمد الراقي وزرارة بن خلج قبل أن يخرج عليه السلام إلى
العراق فأخبراه ضعف الناس بالكوفة، وأن قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأوماً
بيده نحو السماء ففتحت أبوابها، ونزلت الملائكة عدد لا يحصيهم إلا الله عز
وجل فقال: لولا تقارب الأشياء، وهبوط الأجل لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم
يقينا أن هناك مصرعي، ومصرع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي. (١)
وخرج - بأبي وأمي - يوم الثلاثاء لثمان مضمين من ذي الحجة سنة
ستين (٢).

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٩١، الكامل في التاريخ ٤: ٧، دلائل الإمامة: ٧٤، اللهوف: ٦١.
(٢) وقيل لثلاث مضمين من ذي الحجة، وقيل يوم الأربعاء لثمان مضمين من ذي الحجة. أنظر: الملهوف:
١٢٤.

قال معمر بن المثنى - في كتاب مقتل الحسين - : فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف، قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه، أو يقتله إن قدر عليه.

فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية، حين يخرج إلى عرفة إذ لم يتمكن من تمام حجه، مخافة أن تستباح حرمت بيت الله الحرام، ومشاعره العظام، فأحل - بأبي وأمي - من إحرامه، وجعلها عمرة مفردة.

وقد انجلى عن مكة وهو ابنها وبه تشرفت الحطيم وزمزم ولم يدر أين يريح بدن ركابه فكأنما المأوى عليه محرم وعن الصادق عليه السلام - فيما رواه المفيد (١) بإسناده إليه - قال: لما سار الحسين صلوات الله عليه من مكة لقيه أفواج من الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلموا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه، إن الله عز وجل أمد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله بنا في مواطن كثيرة، وأن الله أمدك بنا. فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني.

فقالوا: يا حجة الله إن الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع، فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك.

فقال: لا سبيل لهم علي، ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي. وأتته أفواج من مؤمني الجن فقالوا له:

(١) الإرشاد: ١٧٢، الملهوف: ١١٦.

يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك. فجزاهم خيرا. وقال لهم: أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم (١).

فإذا أقمت في مكاني فبماذا يمتحن هذا الخلق المتعوس، وبماذا يختبرون، ومن ذا يكون ساكن حفرتي، وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحى الأرض، وجعلها معقلا لشيعتنا ومحبيننا، تقبل فيها أعمالهم وصلواتهم، ويجاب دعاؤهم، وتسكن إليها شيعتنا، فنكون لهم أمانا في الدنيا والآخرة، ولكن تحضرون يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد بن معاوية. ساروا (٢) برأسك يا بن بنت محمد* متزملا بدمائه تزميلا (٣) [وكانما بك يا بن بنت محمد* قتلوا جهارا عامدين رسولا] قتلوك عطشانا ولما يرقبوا* في قتلك التأويل والتنزيلا ويكبرون بأن قتلت وإنما* قتلوا بك التكبير والتهليلا (٤)

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) في بعض المصادر: جاؤوا.

(٣) في بعض المصادر: متزملا بدمائه ترميلا.

(٤) القصيدة من مرثي أبي محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي المعروف ب (ديك الجن)، المولود بسلمية سنة ١٦١ هـ والمتوفى سنة ٢٣٥. أنظر: زينة المجالس: ٤٨٧، سير أعلام النبلاء ١١: ١٦٣، أعيان الشيعة ٣٨: ٤٠.

رأس ابن بنت محمد ووصيه * للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع * لا منكر منهم ولا متفجع
كحلت بمنظرك العيون عماية * وأصم رزؤك كل أذن تسمع (١)

(١) هذه الأبيات لشاعر أهل البيت دعبل الخزاعي صاحب القصيدة التائية المشهورة. أنظر: معجم الأدباء
١٠: ١١٠.

قال ابن طاووس في الملهوف: ٢٠٣: ويحق لي أن أتمثل هنا أبياتا لبعض ذوي العقول، يرثي بها
قتيلا من آل الرسول صلى الله عليه وآله فقال:
رأس ابن بنت....

أيقظت أجفانا و كنت لها كرى * وأنمت عينا لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا تمننت أنها لك * حفرة ولخط قبرك مضجع.

[المجلس الثامن]

كان توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق يوم خروج مسلم للقتال بالكوفة (١)، وهو يوم التروية، واستشهد مسلم في الثامن من خروجه وهو يوم عرفة، وكان قد اجتمع إلى الحسين نفر من أصحابه من أهل الحجاز والبصرة انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

ولما أراد التوجه إلى العراق طاف وسعى وحل من إحرام جعلها عمرة مفردة وخرج مبادرا بأهله وولده، ومن انضم إليه من شيعته.

وروي عن الفرزدق الشاعر أنه قال:

حججت بأمي سنة ستين فيينا أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم، إذ
لقيت الحسين عليه السلام خارجا من مكة في أسيفه وأتراسه، فقلت: لمن
هذا القطار؟

ف قيل: للحسين بن علي عليهما السلام.

فأتيته فسلمت عليه وقلت: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب بأبي أنت

وأمي يا بن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟

فقال: لو لم أعجل لأخذت، من أنت؟

فقلت: امرؤ من العرب، فوالله ما فتشني عن أكثر من ذلك.

(١) الإرشاد: ٢١٨.

ثم قال: أخبرني عن الناس خلفك؟
فقلت: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل
من السماء.

فقال: صدقت لله الأمر وكل يوم هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب
فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون
الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته.

فقلت: أجل بلغك الله ما تحب، وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من
نذور ومناسك فأخبرني بها، وحرك راحلته وقال: السلام عليك، ثم افترقنا.
وكان سلام الله عليه لما خرج اعترضه يحيى بن سعيد وجماعة أرسلهم
عمرو بن سعيد بن العاص - والي يزيد يومئذ على مكة - فأبى عليهم الحسين
عليه السلام وامتنع منهم هو وأصحابه امتناعاً قوياً، وتدافع الفريقان واضطربوا
بالسياط.

وسار - بأبي وأمي - حتى أتى التنعيم (١) فلقي عيرا قد أقبلت من اليمن

(١) بالفتح ثم السكون وكسر العين وياء ساكنة وميم، موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على
فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة، وهو أحد المواقيت التي يحرم فيها الحجاج للعمرة. كان فيه عين
ماء ومسجد. وعرف بهذا الاسم لوجود جبل إلى يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم
والوادي نعمان، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايها على طريق المدينة منه يحرم المكيون
بالعمرة. أنظر: معجم البلدان ٢: ٤٩.

قال الطبري (٤: ٢٨٩): ولما نزل فيه الإمام الحسين عليه السلام في مسيره الكوفة لقي قافلة قادمة
من اليمن تحمل بضائع ليزيد، فاستولى عليها، ويبدو أن هدفه كان الإضرار الاقتصادي بالعدو. أما
رجال القافلة فقد خيرهم الإمام بين المسير معه إلى كربلاء أو أن يدفع لهم أجرة الطريق ليسيروا حيث
ما شاءوا، وقد سار معه جماعة منهم.

فاستأجر من أهلها جمالا لرحله وأصحابه.
وألحقه عبد الله بن جعفر (١) بابنيه عون ومحمد وكتب معهما إليه كتابا يقول
فيه:

أما بعد: فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فإني مشفق
عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن
هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا
تعجل في المسير فإني في أثر كتابي والسلام.
وذهب عبد الله إلى عمرو بن سعيد فسأله أن يكتب للحسين أمانا ليرجع
عن وجهه، فكتب إليه عمرو في ذلك، وأنفذ كتابه مع أخيه يحيى وعبد الله بن
جعفر، ودفعا إليه الكتاب، وجهدا به في الرجوع.
فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمرني بما أنا
ماض فيه.
ولما يأس عبد الله بن جعفر أمر ابنيه عوناً ومحمداً بلزومه والمسير معه،
والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكة. (٢)
وتوجه الحسين عليه السلام نحو العراق مغذا لا يلوي على شيء، حتى

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بحر الجود، وأخباره في الجود والكرم والحلم لا تحصى، وفيه يقول
عبد الله بن قيس الرقيات:
وما كنت كالأغر بن جعفر * رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا
أنظر: الإصابة ٢: ٢٨٩ - ٢٩٠، أسد الغابة ٣: ١٩٩.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢١٨.

نزل ذات عرق (١) فلقني بشر بن غالب (٢) واردا من العراق، فسأله عن أهلها.
فقال: خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية.
فقال: صدق أخو بني أسد إن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. (٣)
ولما بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الحسين عليه السلام من مكة،
بعث صاحب شرطته الحصين بن نمير (٤) حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين

(١) ذات عرق مهل أهل العراق، وهو الحد بن نجد وتهامة. اسم لمنزل بين مكة والعراق، يبعد عن مكة مسافة منزلين، وهو ميقات إحرام القادمين من شرقي مكة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق.

وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنانيا ذات عرق، وعرق هو الجبل المشرف على ذات عرق. أنظر: معجم البلدان ٤: ١٠٧ - ١٠٨.

وهو من المنازل التي مر بها سيد الشهداء بعد وادي العقيق، وتوقف فيه يوما أو يومين، ثم شد رحاله وواصل المسير، وفي هذا المنزل لقي الإمام بشر بن غالب وكان قادما من العراق، وسأله عن وضع العراق، فقال له: القلوب معك والسيوف عليك. وسار الإمام إلى المنزل التالي وهو (غمرة). ومن هذا المنزل بعث كتابا إلى أهل الكوفة يخبرهم فيه بنأ قدومه إليهم، وأنفذه إليهم بواسطة قيس بن مسهر الصيداوي. أنظر: مقتل الحسين للمقرم: ٢٠٤.

(٢) في مستدركات علم الرجال (٢: ٣٣): بشر بن غالب الأسدي الكوفي، من أصحاب الحسين والسجاد، قاله الشيخ في رجاله، والبرقي عده من أصحاب أمير المؤمنين والحسين والسجاد عليهم السلام، وأخوه بشير، روي عن الحسين دعاءه المعروف يوم عرفة بعرفات... وله روايات عن الحسين ذكرت في عدة الداعي، ويروي عنه عبد الله بن شريك.
(٣) مثير الأحزان: ٢١.

(٤) الحصين بن نمير بن نائل أبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني، وهو من قادة الأمويين القساة، من أهل حمص، كان مبغضا لآل علي، ففي معركة صفين كان إلى جانب معاوية، وفي عهد يزيد كان قائدا على قسم من الجيش، وفي واقعة مسلم بن عقيل سلطه ابن زياد على دور أهل الكوفة، ليأخذ مسلم ويأتيه به، وهو الذي أخذ قيس بن مسهر رسول الحسين عليه السلام فبعث به إلى ابن زياد فأمر به فقتل، وهو الذي نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ورمى به الكعبة لما تحصن ابن الزبير في المسجد الحرام، وهو قاتل سليمان بن صرد أثناء ثورة التوابين، وهو الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن شعر رأسه بعد قوله عليه السلام: (سلوني قبل أن تفقدوني)، وفي عهد يزيد شارك في الهجوم الذي أمر يزيد بشنه على المدينة المنورة، مات في عام ٦٨ هـ متأثرا بجراح أصابه بها إبراهيم بن الأشتر في الواقعة التي جرت على ضفاف نهر الخازر، وجاء في بعض الأخبار أنه أخذ رأس حبيب بن مظاهر بعد مقتله وعلقه في رقبة فرسه ودار به في الكوفة مفتخرا، فكمّن له فيما بعد القاسم بن حبيب وقتله ثارا لدم أبيه، وجاء في مصادر أخرى أنه قتل على يد أصحاب المختار الثقفي عام ٦٦ هـ قرب الموصل في وقت حركة المختار. أنظر: مروج الذهب ٣: ٧١، التهذيب لابن عساكر ٤: ٣٧١، الأعلام ٢: ٢٦٢.

القادسية (١) إلى خفان، وما بين القادسية إلى القططانية (٢).
ولما بلغ الحسين عليه السلام الحاجز (٣) من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر
الصيداوي - وقيل بل بعث أخاه من الرضاة عبد الله بن يقطر - إلى الكوفة، ولم

(١) اسم موضع قبل الكوفة ويعد عنها خمسة عشر فرسخا (وعن بغداد ٦١ فرسخا). وفي هذا المكان وقعت المعركة المعروفة باسم القادسية بين الجيش الإسلامي والفرس في زمن الخليفة الثاني، وانتصر فيها المسلمون، وفي هذا المكان قبض الحصين بن نمير (رئيس شرطة ابن زياد في تلك المنطقة) على مبعوث الحسين، قيس بن مسهر الصيداوي وأرسله إلى ابن زياد وكان قيس يحمل كتابا من الحسين إلى أهل الكوفة، ولما قبض عليه مزق الكتاب بأسنانه لكي لا تقع أسماء المخاطبين بيد العدو. أنظر: الحسين في طريقه إلى الشهادة: ٤٩.

(٢) موضع قرب الكوفة في جهة البرية بالطف، وهو أحد المنازل من القادسية إلى الشام، كان به سجن النعمان، وقد كانت المنطقة بين القادسية والقططانية قد نظم فيها ابن زياد قوات الاستطلاع لمنع الناس من الالتحاق بالحسين عليه السلام. أنظر: الحسين في طريقه إلى الشهادة: ٥٠.

(٣) وقيل: الحاجر، اسم أرض ومنزل على الطريق من مكة إلى العراق، وملتقى طريقي الكوفة والبصرة عند المسير إلى المدينة، ومعناه: الموضع الذي يحجز فيه الماء.
وفي معجم البلدان: بطن الرمة واد معروف بعالية نجد، وقال ابن دريد: الرمة قاع عظيم بنجد تنصب إليه أودية.

وفي هذا المنزل تسلم الإمام الحسين كتاب مسلم بن عقيل من الكوفة، وكتب الجواب إلى أهل الكوفة وأرسله مع مبعوثه قيس بن مسهر. انظر: معجم البلدان ١: ٦٦٦، مرصد الاطلاع ٢: ٦٣٤.

يكن عليه السلام علم بخبر ابن عقيل و كتب معه إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي.

إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين:

سلام عليكم فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملاكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لكم الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا فإنني قادم عليكم في أيامي هذه والسلام. وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة: أن لك هنا مائة ألف سيف فلا تتأخر.

وأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى القادسية، أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره اللعين أن يسب الحسين وأباه وأخاه على المنبر، فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا رسوله إليكم فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب وصلى عليه. فأمر ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطع. وروي: أنه وقع إلى الأرض مكتوفا فتكسرت عظامه وبقي به رمق،

فجاءه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه.
وأقبل الحسين عليه السلام من الحاجز يسير نحو الكوفة فانتهى إلى ماء
من مياه العرب فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي، فلما رأى الحسين عليه السلام
قام إليه فقال:
بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أقدمك؟ واحتمله فأنزله.
فقال له الحسين عليه السلام: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إلي
أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.
فقال ابن مطيع: أذكرك الله يا بن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنهتك،
أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في
أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحدا، والله إنها لحرمة
الإسلام تنهتك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا
تعرض نفسك لبني أمية.
فأبى الحسين عليه السلام إلا أن يمضي إنجازا لمقاصده السامية.
وكان ابن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة (١) إلى طريق الشام إلى طريق
البصرة فلا يدعون أحدا يلج، ولا أحدا يخرج.
وأقبل الحسين عليه السلام فلقى الأعراب فسألهم فقالوا: ما ندري، غير
أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فسار - بأبي وأمي - تلقاء وجهه.

(١) اسم أحد المنازل بين مكة والكوفة ويبعد عن الكوفة مسير ثلاثة أيام، وقد مر به الحسين ابن علي
عليه السلام في مسيره إلى كربلاء، وهنالك مواضع أخرى بهذا الاسم في طريق مكة وفي اليمامة، وفي
واقصة منارة مبنية من قرون وأضلاف صيد الصحراء بناها ملك شاه السلجوقي. أنظر: آثار البلاد:
٣٣٦.

وحدث جماعة من فزارة وبجيلة، قالوا: كنا مع زهير بن القين البجلي (١) حين أقبلنا من مكة فكنا نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله في منزل فإذا نزل منزلا لم نجد بدا من أن ننازله فيه، كنا ننزل في جانب غير الجانب الذي ينزل فيه الحسين عليه السلام. فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم، ثم قال:

(١) زهير بن القين البجلي، وبجيلة هم بنو أنمار بن أراش بن كهلان من القحطانية، شخصية بارزة في المجتمع الكوفي، وكان له يوم عاشوراء شرف القتال إلى جانب الحسين بن علي عليه السلام. وقد أبدى شجاعة منقطعة النظير في سوح الوغى، كان في بداية أمره مؤيدا لأنصار عثمان. إلا أن حسن حظه جعل له حسن العاقبة ليكون من شهداء كربلاء الأجلاء.
ولما أغلق جيش الحر الطريق على الإمام، استأذن زهير الإمام الحسين وتكلم معهم، ثم عرض على الإمام مقاتلتهم إلا أنه لم يوافق على رأيه.
وتحدث في يوم عاشوراء معلنا عن موقفه القاطع في مناصرة الحسين، واستعداده للبدل في سبيله وقال: لو أقتل ألف مرة ما تركت نصرة ابن رسول الله.
وفي يوم العاشر من محرم جعله الحسين عند تعبئة عسكره على الميمنة، وزهير أول من خطب بالقوم بعد الحسين، وهو يحمل سلاحه، وأبلغ لهم في النصيح، فرماه الشمر بسهم، وجرى حوار بينه وبين الشمر.
وفي ظهيرة يوم العاشر وقف هو وسعيد بن عبد الله يقيان الإمام من السهام حتى ينهي صلاته. وبرز بعدها إلى القتال، وقاتل قتال الأبطال وكان حينها يرتجز قائلا:
أنا زهير وأنا ابن القين * أذودكم بالسيف عن حسين
إن حسينا أحد السبطين من * عترة البر التقي الزين
ذاك رسول الله غير المين * أضربكم ولا أرى من شين
يا ليت نفسي قسمت قسمين
أنظر: تاريخ الطبري ٥: ٣٩٦ - ٣٩٧ و ٦: ٤٢ و ٤٢٢، رجال الشيخ: ٧٣، أنصار الحسين: ٨٨، أعيان الشيعة ٧: ٧٢.

يا زهير إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه.
فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأن على رؤوسنا الطير، فقالت له
امرأته - وهي ديلم بنت عمر (١) - : سبحان الله أبعث إليك ابن رسول الله ثم لا
تأتيه؟! فلو أتيت فسمعت من كلامه.

فمضى إليه زهير فما لبث أن جاء مستبشرا قد أشرق وجهه، فأمر
بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فحول إلى الحسين عليه السلام. ثم قال لامرأته:
أنت طالق، إلحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خيرا، وقد
عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي، وأقيه بنفسي، ثم
أعطاها ما لها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها.
فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: خسار الله لك، أسألك أن تذكرني في
القيامة عند جد الحسين عليه السلام.

ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد بي.
إني سأحدثكم حديثا: إنا غزونا البحر ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال
لنا سلمان الفارسي (٢):

(١) أو ديلم بنت عمرو، وهي التي قالت لغلام زهير بعد شهادته: انطلق فكفن مولاك، قال: فحئت فرأيت
حسينا ملقى، فقلت: أكفن مولاي وأدع حسيننا! فكفنت حسيننا، ثم رجعت فقلت ذلك لها، فقالت:
أحسننت، وأعطتني كفنا آخر، وقالت: انطلق فكفن مولاك، ففعلت.
أنظر: أعلام النساء المؤمنات: ٣٤١، ترجمة الإمام الحسين من كتاب الطبقات، المطبوع في مجلة
تراثنا، العدد ١٠ ص ١٩٠.

(٢) سلمان الفارسي: صحابي أشهر من أن يعرف، ومن الأربعة الذين أمر الله تعالى نبيه الكريم صلى الله
عليه وآله بحبهم، وقال فيه صلى الله عليه وآله: (سلمان منا أهل البيت)، وحاله في الولاء لأمير
المؤمنين عليه السلام مشهور. انظر: أسد الغابة ٢: ٤١٧.

أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟
قلنا: نعم.

فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه مما
أصبتم اليوم، فأما أنا فأستودعكم الله، ثم لحق بالحسين عليه السلام ففاز
بنصرته.

وروى عبد الله بن سليمان، والمنذر بن مشعل الأسديان، قالوا: لما قضينا
حجنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق لننظر ما يكون
من أمره، فأقبلنا ترفل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود (١)، فلما دنونا منه
إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه
السلام فوقف سلام الله عليه كأنه يريد، ثم تركه ومضى.
ومضينا نحوه حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك.

فقال: وعليكم السلام.

قلنا: من الرجل؟

(١) اسم منزل على طريق الكوفة نزل فيه سيد الشهداء، وهو رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج
من الكوفة، ولما كانت أرضها رملية فهي تبتلع مياه الأمطار التي تهطل عليها، ولهذا السبب سميت ب
(زرود) أي البالوعة، وهو موضع مشهور تنزل فيه القوافل القادمة من بغداد، وهو ملك لبني نهشل
وبني أسد.

ولما نزل الحسين في زرود نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي، فدعاه الإمام إلى نصرته
والمسير معه، فلبى الدعوة، والتحق بقافلة الحسين، وقدم معهم إلى كربلاء. وقتل فيها.
وفي زرود أخبر بقتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، أخبر بذلك رجلان قادمان من الكوفة
يريدان الحج، فبكى وترحم عليهما، وبكى بنو هاشم، وباتوا ليلتهم هناك، وفي الصباح حملوا الماء
وساروا إلى الثعلبية.

قال: أسدي.
قلنا له: ونحن أسديان. فمن أنت؟
قال: أنا بكر بن فلان وانتسبنا له، ثم قلنا له:
أخبرنا عن الناس وراءك؟
قال: نعم لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة
ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق.
فأقبلنا حتى لحقنا الحسين عليه السلام فسايرناه حتى نزل الثعلبية (١)
ممسيا فجنناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام.
فقلنا له: رحمك الله إن عندنا خبرا إن شئت حدثناك به علانية، وإن شئت
سرا.
فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثم قال: ما دون هؤلاء سر.
فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته مساء أمس؟
قال: نعم. وقد أردت مسألته.
فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأي
وصدق وعقل، وأنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني،

(١) اسم منزل قرب الكوفة مر به الإمام الحسين في مسيره إلى كربلاء، والثعلبية على اسم رجل من بني
أسد اسمه ثعلبة، سكنها وحفر فيها عينا.
أناخ الإمام الحسين في هذا الموضع ومكث فيه ليلة واحدة، وفيه لقي الطرماح ودعاه إلى
الانضمام إليه، فذهب الرجل ليوصل بضاعته إلى عائلته لكنه لما عاد كان الحسين قد قتل، وفي هذا
المنزل أيضا أتاه رجل نصراني مع أمه وأسلمنا على يده، وفيه أيضا بلغه خبر شهادة مسلم بن عقيل.

ورآهما يجران في السوق بأرجلهما:
فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما يردد ذلك مرارا.
ثم انتظر حتى إذا كان السحر، قال لفتيانه وغلماناه: أكثروا من الماء،
فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا. (١) فسار حتى انتهى إلى زبالة، فأتاه خبر عبد الله بن
يقطر، فأخرج إلى الناس كتابا قرأ عليهم وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد: فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة
وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف في
غير حرج ليس معه ذمام.

فتفرق الناس عنه، وأخذوا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين
جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه، وإنما فعل ذلك لأنه عليه
السلام علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه لأنهم ظنوا أنه يأتي بلدا
استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون.
ثم صار حتى مر ببطن العقبة (٢) فنزل عليها، فلقية شيخ من بني عكرمة
يقال له عمر بن لوذان، فسأله: أين تريد؟
فقال عليه السلام: الكوفة.

(١) الكامل لابن الأثير ٤ : ١٦ .

(٢) اسم منزل على الطريق بين مكة والكوفة، ويقع قريبا من الكوفة وهو لفرع من قبيلة بني أسد، مر به
الإمام الحسين عليه السلام عند مسيره إلى الكوفة، وفيه قصر ومسجد وماء وعمران تنزل فيه القوافل
للاستراحة. أنظر: الحسين في طريقة إلى الشهادة: ٨٠ .

فقال الشيخ: أنشدك لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد
السيوف، وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطؤوا لك
الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فيني لا أرى
لك أن تفعل.

فقال له: يا عبد الله لا يخفى علي الرأي، لكن الله تعالى لا يغلب على أمره.
ثم قال عليه السلام: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من
جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم. (١)
إن يقتلوك فلا عن فقد معرفة * الشمس معروفة بالعين والأثر
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها * كالحمد لم تغن عنها سائر السور

(١) أنصار الحسين: ١٠٦، الحسين في طريقه إلى الشهادة: ٨٧.

[المجلس التاسع]

سار الحسين عليه السلام حتى صار على مرحلتين من الكوفة، فإذا بالحر بن يزيد في ألف فارس، فقال له الحسين عليه السلام: ألنا أم علينا؟ فقال: بل عليك يا أبا عبد الله.

فقال عليه السلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم تردد الكلام بينهما حتى قال الحسين عليه السلام: فإن كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به علي رسلكم، فإني راجع إلى الموضع الذي أتيت منه، فمنعه الحر وأصحابه، وقال: بل خذ يا بن رسول الله طريقا لا يدخلك الكوفة، ولا يصلك إلى المدينة لأعتذر إلى ابن زياد بأنك خالفتني في الطريق. فتياسر الحسين عليه السلام حتى إذا وصل إلى عذيب الهجانات (١)، فورد كتاب عبيد الله بن زياد لعنه الله إلى الحر يلومه في أمر الحسين، ويأمره بالتضييق عليه، فعرض له الحر وأصحابه ومنعوه من السير. فقال له الحسين عليه السلام: ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟

(١) اسم لأحد المنازل قرب الكوفة مر به سيد الشهداء، وسمي بالعذيب لما كان فيه من الماء العذب، وهو لبني تميم ويقع بين القادسية والمغيثة، وكان فيه ماء وبئر وبركة ودور وقصر ومسجد، وكانت فيه مسلحة للفرس.

في هذا المنزل لقي أبو عبد الله عليه السلام أربعة رجال قادمين من الكوفة وفيهم نافع بن هلال وبعد أن كلمهم الإمام انضموا إليه وقاتلوا معه، وعند حركة قافلة الإمام تحرك الحر بجيشه معه أيضا، وفي الأثناء أتى كتاب ابن زياد إلى الحر يدعو فيه للتضييق على الحسين فعمل الحر على منع القافلة من المسير.

فقال له الحر: بلى، ولكن كتاب الأمير قد وصل يأمرني فيه بالتضييق عليك، وقد جعل علي عينا يطالبني بذلك.
فقام الحسين عليه السلام خطيبا في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلى عليه، ثم قال:

إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت هذاء، ولم يبق منها إلا صباغة كصباغة الأبناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء ربه محققا، فإنني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما.

فقام زهير بن القين فقال: سمعنا يا بن رسول الله مقاتلك، ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة.
وقام هلال بن نافع البجلي (١) فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، وإننا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك.
وقام برير بن خضير (٢) فقال: والله يا بن رسول الله لقد من الله بك علينا أن

(١) ظاهرا هو نفسه نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة بن مذحج المذحجي الجملي، ويخطئ من يعبر عنه: البجلي، كان سيدا شريفا شجاعا قارئا من حملة الحديث ومن أصحاب أمير المؤمنين، وحضر معه حروبه الثلاثة في العراق، وخرج إلى الحسين فلقاه في الطريق، وأخبره في واقعة الطف كثيرة، ذكرت في المقاتل.

أنظر: إِبصار العين: ٨٦ - ٨٩، تاريخ الطبري ٦: ٢٥٣، البداية والنهاية ٨: ١٨٤.

(٢) وفي بعض المصادر: بدير بن حفير، وفي الملهوف: برير بن حصين، والظاهر أن خضير هو الأولي. هو سيد القراء، كان شيخا تابعيا ناسكا قارئا للقرآن ومن شيوخ القراءة في جامع الكوفة، وهو من أصحاب الحسين الأوفياء، من قبيلة (همدان)، وله منزلة مرموقة بينهم، سافر عام ٦٠ للهجرة من الكوفة إلى مكة والتحق بالإمام الحسين وسار معه إلى الكوفة، وفي يوم التاسع من محرم كان يمازح عبد الرحمن بن عبد ربه من شدة بهجته بقرب استشهاده، وكان ممن نهض وتحدث في ليلة العاشر معلنا عن استعداده للبدل والتضحية في نصرة الحسين عليه السلام.

وفي كربلاء تحدث عدة مرات مخاطبا جيش العدو، وكلماته في نصرة سيد الشهداء معروفة، وبرز إلى القتال في يوم الطف وتكلم في ذم جيش عمر بن سعد. برز إلى الميدان من بعد استشهاد الحر وقاتل حتى نال الشهادة، وكان يرتجز ساعة القتال ويقول:

أنا برير وأبي خضير* وكل خير فله برير

أنظر: تاريخ الطبري ٥: ٤٢١ و ٤٢٣، معجم رجال الحديث ٣: ٢٨٩، المناقب ٤: ١٠٠، ب حار الأنوار ٤٥: ١٥.

نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.
ثم إن الحسين عليه السلام ركب وسار - وكلما أراد المسير يمنعونه تارة،
ويسايرونه أخرى - وقد عظم رعب النساء ووجل الأطفال حينئذ بما لا مزيد
عليه - حتى بلغوا كربلاء في اليوم الثاني من المحرم فسأل الحسين عليه السلام
عن اسم الأرض.
ف قيل: كربلاء.

فقال: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء، ثم قال: هذا موضع كرب
وبلاء، انزلوا، هاهنا محط ركابنا، وسفك دمائنا، وهنا محل قبورنا بهذا حدثني
جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فنزلوا جميعا، ونزل الحر وأصحابه
ناحية. (١)

وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:
يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالأشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيل ما * أقرب الوعد من الرحيل
إنما الأمر إلى الجليل

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٤٦٩، تاريخ ابن الأثير ٤ : ٢٨٧، زفرات الثقلين ١ : ١٠٥.

فسمعت أخته زينب فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل.
فقال: نعم يا أختاه.

فقالت زينب: واثكلاه ينعي الحسين إلي نفسه، وبكى النسوة ولطمن
الحدود، وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم (١) تنادي:
وا محمداه وا علياه وا أماه وا أخاه وا حسناه وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله.
فغزاها الحسين عليه السلام وقال لها: يا أختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان
السموات يفتنون، وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون. (٢)
وروي من طريق آخر أنها عليها السلام لما سمعت مضمون الأبيات،
وكانت في موضع منفردة مع النساء والبنات خرجت حاسرة تجر ثوبها حتى
وقفت عليه فقالت:

واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي
وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمان الباقيين.
فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال: يا أختاه، لا يذهبن بحلمك
الشیطان.

فقالت: بأبي أنت وأمي أتستقتل (٣) نفسي لك الفداء.

(١) أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وأمها فاطمة عليها السلام، وهي أخت الحسن والحسين
وزينب عقيلة بني هاشم، ومسألة زواجها من عمر من أشد المسائل اختلافا بين المسلمين، وكثيرا ما
يقع الخلط عند المؤرخين بينها وبين أختها زينب الكبرى لاتحادهما في الكنية.
راجع مصادر ترجمتها: أجوبة المسائل السروية: ٢٢٦، الاستغاثة: ٩٠، الاستيعاب ٤: ٤٩٠، أسد
الغابة ٥: ٦١٤، أعلام النساء المؤمنات: ١٨١ - ٢٢٠.
(٢) أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) ١: ١٩١.
(٣) في بعض المصادر: أتغتصب نفسك اغتصابا.

فرددت عليه غصته، وتغرغرت عيناه بالدموع، ثم قال: ولو ترك القطا ليلا
لنام (١).

فقالت: يا ويلتاه، أفتغصب نفسك اغتصابا، فذلك أقرح لقلبي، وأشد
على نفسي، ثم أهوت إلى جيبيها فشقتة، وخرت مغشيا عليها.
فقام عليه السلام فصب عليها الماء حتى أفاقت. (٢)

نادت فقطعت القلوب بشجوها * لكنما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أخي يا * أملي وعقد جمانني المنضودا
إن تنع أعطت كل قلب حسرة * أو تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن * زفرتها تدع الرياض همودا

(١) من الأمثال العربية، يقال في الأمر الخفي قد ظهر ما يدل عليه.
والقطا نوع من الطير يأوي عادة إلى عشه في الليل، فإذا وجد ليلا طائرا عرف أن أمرا قد أفزعه.
قالوا: إن رجلا من العرب يسمى غاطس بن خلاج سار إلى رجل يسمى الريان في قبائل حمير
وختعم وهمدان وغيرهم، ولقيهم الريان في أربعة عشر حيا من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم
تجاجزوا، ولكن الريان هرب في الليل مع أصحابه، وساروا يومهم وليلتهم حتى ظنوا أنهم بعدوا،
ففسكروا حيث وصلوا، وأصبح الصبح فغدا غاطس إلى قتلاهم فلم يجدهم في مكانهم، فجد في
طلبهم، ولم يزل حتى اقترب من المكان الذي عسكر فيه الريان، ونظر الريان وأصحابه فوجدوا القطا
يمر بهم طائرا فرعا، فصاحت ابنة الريان:
ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا ليلا لنا
أنظر: مجمع الأمثال العربية للميداني: ٣٢٢.
(٢) الملهوف: ١٤٠، الأمالي الخميسية ١: ١٧٧.

[المجلس العاشر]

لما نزل الحسين عليه السلام بأرض كربلاء، كان نافع بن هلال البجلي من أخص أصحابه به وأكثرهم ملازمة له، ولا سيما في مظان الاغتيال، لأنه كان حازما بصيرا بالسياسة.

فخرج الحسين عليه السلام ذات ليلة خارج الخيام حتى أبعد، فتقلد نافع سيفه وأسرع في أثره، فرآه يختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل فالتفت الحسين عليه السلام فرآه فقال:

من الرجل؟ نافع؟

قال: نعم، جعلت فداك يا بن رسول الله.

فقال: يا نافع ما أخرجك في هذا الليل؟

فقال: سيدي أزعجني خروجك ليلا إلى جهة هذا الباغي.

فقال: يا نافع خرجت أتفقد هذه التلعات مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل على مخيمنا يوم يحملون وتحملون.

قال: ثم رجع وهو قابض على يساري وهو يقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه.

ثم قال: يا نافع، ألا تسلك بين هذين الجبلين وانج بنفسك فوقع نافع بن هلال على قدميه يقبلهما ويبيكي وهو يقول:

إذن شكلت نافعا أمه، سيدي إن سيفي بألف وفرسي بمثله، فوالله الذي من علي بك في هذا المكان لن أفارقك أبا عبد الله حتى يكأ عن فري وجري. قال نافع: ثم فارقتني ودخل خيمة أخته زينب عليهما السلام ووقفت انتظره، فاستقبلته زينب ووضعت له متكأ وجلس يحدثها سرا فما لبثت أن اختنقت بعبرتها ونادت: وا أخاه وا حسيناه، أشاهد مصرعك وابتلي برعايتي هذه المذاعير من النساء، والقوم يا بن أمي كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم ذلك خطب جسيم يعز علي مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم. ثم قالت: يا بن أمي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإنني أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنه، فبكي الحسين عليه السلام وقال: أما والله لقد بلوتهم فما رأيت فيهم إلا الأشوس الأعمس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه. قال نافع: فبكيت رقة لها، ثم أتيت حبيب بن مظاهر فرأيته جالسا في خيمته ويده سيف مصلت وهو يقول كأنه يخاطبه: أيها الصارم استعد جوابا * لسؤال إذا العجاج أثيرا والمواضي برق وقد تخذ البا * سل المطهات سريرا قال نافع: فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: يا أخي ما الذي أخرجك في هذا الليل؟ فحكيت له القصة من أولها إلى ما كان من قوله عليه السلام: (يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه). فقام حبيب قائما على قدميه وقال: أي والله، لولا انتظار أمره لعاجلتهم

وعالجتهم الليلة بسيفي هذا ما ثبت قائمه بيدي.
ثم قال نافع: يا أخي فارقت الحسين عليه السلام مع أخته زينب في حال
وجل ورعب، وأظن أن النساء قد شاركنها في الزفرة والحسرة فهل لك أن تجمع
أصحابك وتمضي إليهم بكلام يسكن قلوبهن ويذهب رعبهن، فلقد شاهدت ما
لا قرار لي على بقائه.

فقال: أنا طوع إرادتك، فبرز حبيب ناحية ونافع إلى جنبه وانتدب
أصحابه فنادى:

أين أنصار الله؟ أين أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله، أين أنصار أمير
المؤمنين؟ أين أنصار فاطمة؟ أين أنصار الحسين؟ أين أنصار الإسلام؟
فتطالعوا من منازلهم كالليوث الضارية يقدمهم أبو الفضل العباس (١) عليه
السلام فلما اجتمعوا قال لبني هاشم: (ارجعوا إلى منازلكم لا سهرت عيونكم،
ثم خطب أصحابه فقال:

يا أصحاب الحمية، وليوث الكريهة، هذا نافع بن هلال يخبرني الساعة
بكذا وكذا فأخبروني عن نياتكم، فجردوا صوارمهم، ورموا عمائمهم وقالوا:
أما والله يا بن مظاهر لئن زحف القوم إلينا لنحصدن رؤوسهم ولنلحقهم

(١) العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد
العامري، وهو أكبر ولدها، ويكنى أبا الفضل، كان وسيما جميلا يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان
في الأرض، يقال له قمر بني هاشم وهو السقاء، كان لواء الحسين عليه السلام معه يوم قتل، هو آخر
من قتل من إخوته لأمه وأبيه، قتله زيد بن رقاد الجنبلي وحكيم بن الطفيل الطائي النسبي، وكلاهما
ابتلى في بدنه.

أنظر: مقاتل الطالبين: ٨٤ - ٨٥، رجال الشيخ: ٧٦.

بأشياخهم، ولتحفظن رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته وذريته.
فقال لهم حبيب: معي معي، فقام يخبط الأرض بهم وهم يعدون خلفه
حتى وقف بين أطناب الخيم ونادى:

السلام عليكم يا ساداتنا.

السلام عليكم يا معشر حرم رسول الله صلى الله عليه وآله.
هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يتغي السوء
فيكم.

وهذه أسنة غلمانكم آلوا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق بين
ناديكم.

فخرج إليهم الحسين عليه السلام وقال: أصحابي جزاكم الله عن أهل بيت
نبيكم خيرا.

رجال تواصلوا حيث طابت أصولهم وأنفسهم بالصبر حتى قضوا صبورا
حماة حموا خدرا أبي الله هتكه فعظمه شأنا وشرفه
فأصبح نهبا للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى أبرزت حسرا (١)

(١) الدمعة الساكنة: ٣٤٥.

[المجلس الحادي العشر]

عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: سمعت أبي يقول: لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد وقامت الحرب أنزل الله النصر حتى رفرف على رأس الحسين ثم خير بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله فاختار لقاء الله. (١)

ثم صاح الحسين عليه السلام:
أما من مغيث يغيثنا لوجه الله؟ أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟
قال: فإذا الحر بن يزيد الرياحي قد أقبل إلى ابن سعد فقال:
أمقاتل أنت هذا الرجل؟

فقال: أي والله، قتال أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي.
قال: فمضى الحر ووقف موقفًا من أصحابه وأخذه مثل الأفكل (٢).
فقال له المهاجر بن أوس (٣): والله إن أمرك لمريب، ولو قيل لي: من أشجع

(١) الملهوف: ٧٤.

(٢) الأفكل - بفتح الهمزة والكاف - الرعدة.

(٣) لم يرد في كتب التراجم.

وفي كتاب تسمية من قتل مع الإمام الحسين: ١٥٥، ذكر من جملة شهداء الأصحاب المهاجر بن أوس من بجيلة.

فهل المهاجر بن أوس اثنان؟ أم واحد كان في عسكر ابن سعد ثم التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام واستشهد معه؟ الله أعلم.

أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟
فقال: والله إنني أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئا
ولو قطعت وحرقت.

ثم ضرب فرسه قاصدا إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو
يقول:

اللهم إليك أنبت فتب علي، فقد أرعبت قلوب أولياؤك أولاد بنت نبيك.
وقال للحسين عليه السلام: جعلت فداك أنا صاحبك الذي حبسك عن
الرجوع وجعجع بك، وما ظننت أن القوم يبلغون بك ما أرى، وأنا تائب إلى الله
تعالى فهل ترى لي من توبة.

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك فأنزل.

فقال: أنا لك فارسا خير مني لك راجلا وإلى النزول يصير آخر أمري.
ثم قال: كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك
لعلي أكون ممن يصافح جدك محمدا صلى الله عليه وآله غدا في القيامة.
فأذن له فجعل يقاتل أحسن قتال حتى قتل جماعة من الشجعان والأبطال
ثم استشهد فحمل إلى الحسين عليه السلام فجعل يمسح التراب عن وجهه
ويقول:

أنت الحر كما سمتك أمك حرا في الدنيا والآخرة. (١)
[قال]: وخرج برير بن خضير: وكان زاهدا عابدا فخرج إليه يزيد بن

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٦٩، تاريخ ابن الأثير ٦: ٢٨٧.

المغفل (١) فاتفقا على المباهلة إلى الله تعالى: في أن يقتل المحق منهما المبطل، وتلاقيا، فقتله برير، ولم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى.

[قال]: وخرج وهب بن حباب الكلبي (٢)، فأحسن في الجلاء، وبالغ في الجهاد، وكانت معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا أماه أرضيت أم لا؟ فقالت الأم: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك.

فقالت له أمه: يا بني أعزب عن قول زوجتك وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيك تنل شفاعته جده يوم القيامة.

فرجع ولم يزل يقاتل حتى قطعت يدها، فأخذت امرأته عمودا وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون أن أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام: (جزيتم من أهل بيت خيرا، ارجعي إلى النساء رحمك الله) فانصرفت إليهن.

ولم يزل الكلبي يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

[قال]: ثم خرج مسلم بن عوسجة (٣) رحمه الله فبالغ في قتال الأعداء،

(١) وقيل: يزيد بن معقل، وهو خبيث ملعون. أنظر: الملهوف: ١٦٠.

(٢) في ضياء العينين: ٣٥: وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي، أمه قمري، وذكر الكثير من أخباره في واقعة الطف، أخذها من كتاب الملهوف: ١٦١.

(٣) مسلم بن عوسجة الأسدي، من أبطال العرب في صدر الإسلام، أول شهيد من أنصار الحسين بعد قتلى الحملة الأولى، كان شيخا كبير السن، وشخصية أسدية كبرى، وإحدى الشخصيات البارزة في الكوفة. وكان صحابيا ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عنه، كان رجلا شجاعا وجريئا شارك في الكثير من حروب المسلمين، وشهد مع علي عليه السلام كل غزواته.

كان في الكوفة يأخذ البيعة من الناس للحسين بن علي عليه السلام، وقد جعله مسلم بن عقيل حين ثار بالكوفة على رأس طائفة من مذحج وأسد، وكان ينهض بجمع المال والسلاح والأنصار. وفي ليلة عاشوراء لما أوعز الإمام الحسين أن يتخذوا ظلام الليل جملا وينصرفوا وقف مسلم بن عوسجة موقفا جريئا وقام متكلمًا وقال: (والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيى ثم أحرقت ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك فكيف وإنما هي قتلة واحدة ثم الكرامة إلى الأبد).

وكان ساعة البراز يرتجز:

إن تسألوا عني فإني ذو لبد * من فرع قوم في ذرى بني أسد
فمن بغانا حايد عن الرشد * وكافر بدين جبار صمد

وعند القتال لم يتجرأ أحد من الأعداء على مبارزته، فرضخوه بالحجارة ولما سقط على الأرض وكان به رمق مشى إليه الحسين عليه السلام وحبیب بن مظاهر، فدعا له الحسين وبشره بالجنة. ولما اقترب منه حبیب بن مظاهر قال له مسلم: أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - فقاتل دونه حتى تموت. أنظر: رجال الشيخ: ٨٠، تاريخ الطبري ٥: ٤٣٥، بحار الأنوار ٤٥: ٦٩، الأخبار الطوال: ٢٤٩، أنصار

الحسين: ١٠٨، تسمية من قتل مع الحسين: ٥٢ وفيه: مسلم بن عوسجة السعدي من بني سعد بن ثعلبة،
قتله مسلم بن عبد الله وعبيد الله بن أبي خشكارة.

وصبر على أهوال البلاء حتى سقط إلى الأرض وبه رمق، فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر.
فقال له الحسين عليه السلام: (رحمك الله يا مسلم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً).
ودنا منه حبيب رضي الله عنه وقال: عز علي مصرعك يا أخي يا مسلم أبشر بالجنة.
فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير.
ثم قال له حبيب: لولا أعلم أنني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بكل ما

أهمك.

فقال له مسلم: فإنني أوصيك بهذا - وأشار بيده إلى الحسين عليه السلام -

قاتل دونه حتى تموت.

فقال له حبيب: لأنعمنك عينا.

ثم مات رضوان الله عليه.

إلى أن [قال:] وحضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه ثم صلى بهم صلاة الخوف فوصل إلى الحسين عليه السلام سهم فتقدم سعيد بن عبد الله الحنفي يقيه بنفسه ما زال ولا تخطي حتى سقط إلى الأرض وهو يقول:

اللهم العنهم لعن عاد وثمود. اللهم أبلغ نبيك عني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإنني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك، ثم قضى نحبه فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح...

[قال:] وتقدم سويد بن عمرو بن أبي المطاع: (١) وكان شريفا كثير الصلاة فقاتل قتال الأسد الباسل، وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتى سقط بين القتلى وقد أثنى بالجراح، فلم يزل كذلك وليس به حراك حتى سمعهم يقولون: قتل الحسين عليه السلام، فتحامل وأخرج من خفه سكيننا وجعل يقاتلهم

(١) ويعرف أيضا ب (سويد بن عمر الخثعمي)، والخثعمي: خثعم بن أنمار بن أرش من القحطانية، وهو آخر من قتل في ساحة كربلاء، قتل بعد الحسين عليه السلام، كان أحد رجلين كانا برفقة الحسين عليه السلام. سقط إلى الأرض جريحا وكان به رمق، ولما سمع جيش الكوفة ينادي مستبشرا بقتل الحسين استفاق وبدأ يقاتل بمديته وسيفه حتى استشهد، قتله هاني بن ثابت الحضرمي. أنظر: رجال الشيخ: ٧٤، المناقب ٤: ١٠٢ وفيه: عمرو بن أبي المطاع الجعفي، تنقيح المقال ٢: ٧٦.

به حتى قتل...
وجعل أصحاب الحسين يسارعون إلى القتل بين يديه فكانوا كما قيل:
قوم إذا نودوا لدفع ملمة* والخيل بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع كأنهم* يتهافتون على ذهاب الأنفس (١)

(١) الملهوف: ١٦٦، زينة المجالس: ٤٤٤.

[المجلس الثاني عشر]

لما زحف القوم نحو الحسين عليه السلام وطلب العباس منهم تأجيل القتال إلى غد، أمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يقربوا بيوتهم، ويدخلوا الأطناب بعضها ببعض، ويكونوا أمام البيوت فيستقبلوا القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمنهم وشمائلهم.

وقام الحسين عليه السلام وأصحابه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، وباتوا ولهم دوي كدوي النحل، ما بين قائم وقاعد، وراكع وساجد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر ابن زياد اثنان وثلاثون رجلاً. ولما ضيقوا على الحسين عليه السلام ونال منه ومن أصحابه العطش قام واتكأ على قائم سيفه، ونادى بأعلى صوته فقال:

أنشدكم الله هل تعرفوني؟

قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاما؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله أنا متقلده؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم [الله] هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه

وآله أنا لابسها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن عليا عليه السلام كان أول القوم إسلاما،

وأعلمهم علما، وأعظمهم حلما، وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فبم تستحلون دمي وأبي الذائد عن الحوض يزود عنه رجالا كما

يزاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة.

قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركين حتى تذوق الموت عطشا.

فلما خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأخته زينب كلامه بكين وندبن

ولطمن الخدود وارتفعت أصواتهن، فوجه إليهن أخاه العباس عليه السلام وعليها

ابنه وقال لهما: سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن.

فلما لم يبق معه سوى أهل بيته خرج علي بن الحسين (١) عليه السلام وكان

(١) علي بن الحسين الأكبر، يكنى أبا الحسن، من سادات الطالبين وشجعانهم، أمه ليلى بنت أبي مرة (قرة) بن عروة (عمرو) بن مسعود بن مغيث (معبد) الثقفي، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، كان له من العمر سبع وعشرون سنة، وردت رواية أنه كان متزوجا من أم ولد، هو أول من قتل من بني هاشم، طعنه مرة بن منقذ النعمان العبدي وهو يحوم حول أبيه ويدافع عنه ويقيه، وانهاled أصحاب الحسين على مرة فقطعوه بأسياهم، قيل: مولده في خلافة عثمان، وسماه المؤرخون الأكبر تمييزا له عن أخيه زين العابدين علي الأصغر.

انظر: مقاتل الطالبين: ٨٠ - ٨١، الطبقات الكبرى ١٥: ١٥٦، رجال الشيخ: ٧٦، البداية والنهاية ٨: ١٨٥، الأعلام ٤: ٢٢٧.

من أصبح الناس وجهها، وأحسنهم خلقا، فأستأذن أباه في القتال فأذن له، ثم نظر إليه نظرة آيس منه، وأرخی عينيه بالدموع وبكى، ثم قال: اللهم اشهد فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه فصاح وقال: يا بن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي، فتقدم نحو القوم وقاتل قتالا شديداً وقتل جمعا كثيراً، ثم رجع إلى أبيه وقال: يا أبة العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوى بها على الأعداء.

فبكى الحسين عليه السلام وقال: وا غوثاه، يا بني من أين آتي لك بالماء؟ قاتل قليلا فما أسرع ما تلقى جدك محمداً صلى الله عليه وآله فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً.

فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم قتال، فرماه منقذ بن مرة العبدي (١) بسهم فصرعه فنادى:

يا أبتاه عليك مني السلام، هذا جدي يقرؤك السلام ويقول لك: عجل

(١) كذا في الأصل وبعض المصادر، ولكن في تاريخ الطبري ٦: ٦٢٥، والكامل ٤: ٣٠، والأخبار الطوال: ٢٥٤ ورد اسمه هكذا: مرة بن منقذ بن النعمان العبدي ثم الليثي.

القدوم إلينا، ثم شهق شهقة فمات.
فجاء الحسين عليه السلام حتى وقف عليه ووضع خده على خده وقال:
قتل الله قوما قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة
الرسول، على الدنيا بعدك العفا.
قال: وخرجت زينب بنت علي عليه السلام تنادي: يا حبيباه يا بن أخاه،
وجاءت فانكبت عليه، فجاء الحسين عليه السلام فأخذها وردها إلى النساء.
ثم جعل أهل بيته يخرج منهم الرجل بعد الرجل حتى قتل القوم منهم
جماعة.
فصاح الحسين عليه السلام في تلك الحال: صبرا يا بني عمومتي، صبرا يا
أهل بيتي، فوالله لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم أبدا.
قال: وخرج غلام كأن وجهه شقة قمر، فجعل يقاتل فضربه ابن فضيل
الأزدي (١) على رأسه، ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عماه!
فجلس الحسين عليه السلام كما يجلس الصقر (٢)، ثم شد شدة ليث
أغضب، فضرب ابن فضيل بالسيف، فاتقاها بالساعد، فأطنه من لدن المرفق،
فصاح صيحة سمعه أهل العسكر، وحمل أهل الكوفة ليستنقذوه، فوطأته الخيل
حتى هلك.
[قال:] ثم قام الحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين
يقول: (بعدا لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك وأبوك).

(١) في مقاتل الطالبين: ٨٨ ذكر اسمه: عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي.
(٢) كذا في الأصل، وفي المصادر: فجلي الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر.

ثم قال: (عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفحك صوت، والله كثر واتره وقل ناصره).

ثم حمل عليه السلام الغلام على صدره حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته. [قال:] ولما رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبته، عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى:

هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟

هل من موحد يخاف الله فينا؟

هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا؟

هل من معين يرجو الله في إعانتنا؟

فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب عليها السلام: (ناوليني ولدي الصغير (١) حتى أودعه، فأخذه وأوماً إليه ليقبله فرماه حرمة بن كاهل (٢) بسهم فوقع في نحره فذبحه.

(١) هو عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس، وفي اسم قاتله اختلاف، فقيل: حرمة، وقيل: عقبة بن بشر.

(٢) وهو خبيث ملعون، لما قبض على حرمة ورآه المختار، بكى المختار وقال: يا ويلك أما كفاك ما فعلت حتى قتلت طفلاً صغيراً وذبحته، يا عدو الله، أما علمت أنه ولد النبي، فأمر به فجعلوه مرمى، فرمي بالنشاب حتى مات.

وقيل: إنه لما نظر المختار إلى حرمة قال: الحمد لله الذي مكنتني منك يا عدو الله، ثم أحضر الجزار فقال له: اقطع يديه ورجليه، فقطعهما، ثم قال: علي بالنار، فأحضرت بين يديه، فأخذ قضيباً من حديد وجعله في النار حتى احمر ثم ابيض، فوضعه على رقبتة، فصارت رقبتة تجوش من النار وهو يستغيث حتى قطعت رقبتة. انظر: حكاية المختار: ٥٥ و ٥٩.

فقال لزينب: خذيه، ثم تلقى الدم بكفيه، فلما امتلأت رمى بالدم نحو السماء ثم قال:

هون علي ما نزل بي، أنه بعين الله تعالى.

قال الباقر عليه السلام: فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض. (١)

قال الراوي: واشتد العطش بالحسين عليه السلام فركب المسناة يريد

الفرات والعباس أخوه بين يديه فاعترضته خيل ابن سعد، فرمى رجل من بني

دارم الحسين عليه السلام بسهم فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع السهم وبسط

يديه تحت حنكه حتى امتلأت راحتاه من الدم ثم رمى به وقال:

اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بآبن بنت نبيك، ثم إنهم اقتطعوا العباس عنه

وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه قدس الله روحه، فبكى الحسين لقتله بكاء

شديداً، وفي ذلك يقول الشاعر (٢):

أحق الناس أن يبكي عليه * فتى أبكى الحسين بكر بلاء

أخوه وابن والده علي أبو * الفضل المخرج بالدماء

ومن واساه لا يشبهه شيء * وجاد له علي عطش بماء (٣)

ولما دخل بشير بن حذلم المدينة المنورة لينعى الحسين عليه السلام التقى

بأم البنين (٤) (وهي أم العباس) فقال لها:

(١) الملهوف: ١٦٩، كفاية الطالب: ٢٨٤، إحقاق الحق: ٤٥٤.

(٢) وهو: الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام من أعلام القرن الثاني.

(٣) الملهوف: ١٧٠، مقاتل الطالبين: ٨٤، الغدير ٣: ٣.

(٤) هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر، وأمها ثمامة بنت سهيل بن عامر، وتكنى ب (أم

البنين) قبل تزويجها بالإمام علي عليه السلام لأنها من بيت (أم البنين العامرية) التي قيل فيها:

نحن بنو أم البنين الأربعة * الضاريين الهام وسط المجمعة

وكانت من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة.

قال الإمام علي عليه السلام - بعد وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام - لأخيه عقيل - وكان نسابة

العرب وعرافة بأحسابها وعاداتها - : (أبغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلدني

غلاما فارسا).

فقال له عقيل: أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية؟

أنظر: تاريخ بغداد ١٢: ١٣٦، عمدة الطالب: ٣٢٤.

عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله.
قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.
قال لها: عظم الله الأجر بولدك جعفر.
قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.
قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك عثمان.
قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.
قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك العباس.
قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. فقال:
يا أهل يثرب لا مقام لكم بها * قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكر بلاء مضر ج * والرأس منه على القناة يدار
فصاحت ولطمت خدها، وشقت جيبتها ونادت: وا حسيناه وا سيداه، ثم
أنشدت:

لا تدعوني ويك أم البنين * تذكروني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم * واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد * واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم * فكلهم أمسى صريعا طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا * بأن عباسا قطع اليمين (١)
ثم إن الحسين عليه السلام دعا الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كل من برز
إليه حتى قتل مقتلة عظيمة وهو في ذلك يقول:
القتل أولى من ركوب العار * والعار أولى من ركوب النار
قال بعض الرواة: فوالله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته
وأصحابه أربط جأشا منه، وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه
فتتكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم وقد
تكملوا ثلاثين ألفا فينهمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه
وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الراوي: ولم يزل يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله فصاح:
ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد
فكونوا أحرارا في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما
تزرعون.

قال: فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟

فقال: أقول: إني أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا
عتاتكم وجهالكم وطغانكم من التعرض لحرمي ما دمت حيا.
فقال شمر: لك ذلك يا بن فاطمة.

فقصدوه بالحرب فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب
شربة من ماء فلا يجد، حتى أصابه اثنتان وسبعون جراحة فوقف يستريح ساعة

(١) أنظر: مقاتل الطالبين: ٨٥، إِبصار العين: ٣٦.

وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليسمح الدم عن جبهته، فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله.

ثم رفع رأسه وقال:

إلهي أنت تعلم أنهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره، ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنه ميزاب فضعف عن القتال ووقف.

فكلما أتاه رجل انصرف عنه كراهة أن يلقي الله بدمه، حتى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر فشم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف، فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتأ البرنس دما. قال الراوي: فاستدعى الحسين بخرقة فشد بها رأسه، واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتم عليها، فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به.

فخرج عبد الله بن الحسن بن علي (١) وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام فلحقته زينب بنت علي لتحبسه فأبى وامتنع امتناعا شديدا فقال: لا والله لا أفارق عمي.

فأهوى بحر بن كعب (٢)، وقيل: حرملة بن كاهل إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا بن الخبيثة، أتقتل عمي؟ فضربه بالسيف

(١) عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه بنت السليل بن عبد الله أخي عبد الله بن جرير البجلي، وقيل: أمه أم ولد، وقيل: الرباب بنت امرئ القيس، كان عمره حين قتل إحدى عشرة سنة. أنظر: الإرشاد: ٢٤١، مقاتل الطالبين: ٨٩، رجال الشيخ: ٧٦.
(٢) وقيل اسمه: أبجر بن كعب.

فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة.

فنادى الغلام: يا عماء!

فأخذه الحسين عليه السلام وضمه إليه وقال: يا بن أخي إصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.

قال الراوي: فرماه حرمة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام.

قال الراوي: ولما أثنى الحسين عليه السلام بالجراح وبقي كالقنفذ، طعنه صالح بن وهب المري على خاصرته فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله. وخرجت زينب من باب الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه وا سيدها وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل. وكان ما كان مما لست أذكره.

يا رسول الله لو عاينتهم * وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن * عاطش يسقى أنابيب القنا
جزروا جزر الأضاحي نسله * ثم ساقوا أهله سوق الإما
قتلوه بعد علم منهم * أنه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا * أمة الطغيان والكفر جزا (١)

(١) ديوان الرضي ١: ٤٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٨٦.

الفصل الثاني
في هدي النبي صلى الله عليه وآله وسيرته وذكر
خصائصه المقدسة

(٢٥١)

[المجلس الثالث العشر]

إن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد اتسعت أعلام نبوته، وتواترت دلائل رسالته، ونطقت له السماوات قبل بعثته.

نوهت باسمه السماوات والأرض كما نوهت بصبح ذكائها هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهو أحمد الذي بشر به عيسى عليه السلام، وهو المصطفى والمختار والمحمود، والمأحي الذي يمحو الله به الذنوب، والعاقب والحاشر والمهيمن، وكنيته: أبو القاسم، وفي ذلك يقول الشاعر:
لله ممن قد برا صفوة وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم محمد النور أبو القاسم
كان مولده المبارك عام الفيل وطير الأبايل لسبع عشرة خلون من ربيع
الأول، وقيل: يوم الثاني عشر منه، وقيل: لثمان خلون منه قبل الهجرة المباركة
بثلاث وخمسين سنة. (١)
ولد صلى الله عليه وآله بمكة المعظمة بدار ابن يوسف التي بنتها بعد ذلك

(١) قال رحمه الله: القول الأول هو المشهور وعليه أكثر علماء الإمامية، والثاني رواه الكليني في الكافي وعليه أكثر علماء السنة، والثالث قال به بعض من شذ من المخالفين.

الخيزران أم الهادي والرشيد مسجداً، وكان أبوه عبد الله غائباً بأرض الشام،
فانصرف مريضاً فقضى نحبه بالمدينة الطيبة والنبي صلى الله عليه وآله حمل.
أما أمه صلى الله عليه وآله: فإنها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مرة بن كعب... وفي السنة الأولى من مولده رفع إلى حليلة بنت عبد الله
ابن الحارث ترضعه فكانت تقول وهي تلاعبه:
الحمد لله الذي أعطاني * هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان * أعيذه بالبيت ذي الأركان
فبقي في بني سعد إلى السنة الرابعة من مولده، وفي تلك السنة أرجعته
مرضعته حليلة إلى أمه آمنة في مستهل السادسة من عمره الشريف، وبين ذلك
وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام.
وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أمه إلى أخواله تزورهم فتوفيت
بالأبواء (١)، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد خمسة أيام من موت أمه.
وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده شيبه الحمد - أعني عبد المطلب -
وضمه عمه أبو طالب إليه، وكان في حجره يؤثره على ولده ونفسه.
وخرج مع عمه إلى الشام وله ثلاث عشرة سنة، ثم خرج في تجارة
لخديجة بنت خويلد ومعه غلامها ميسرة وكان صلى الله عليه وآله ابن خمس
وعشرين سنة، فنظر تشطور الراهب وهو في صومعته إليه وقد ظلته الغمامة

(١) الأبواء - بالفتح ثم السكون وو او وألف ممدودة -... قال ثابت: سميت بذلك لتبوء السيول بها، وهي
قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة كما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: هي
جبل بين مكة والمدينة. أنظر معجم البلدان ١: ٧٩.

فقال: هذا نبي وهو آخر الأنبياء وخاتم الرسل. (١)
وكان منه ما قد تواترت به الأخبار، واشتهر اشتها الشمس في رابعة
النهار.

ولما هدمت الكعبة بالسيل بنتها قريش فرفعت سمكها، وتأتي لها ما
أرادت في بنيانها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى
ساحلهم، وكان قد بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة لتبني
هنالك له كنيسة، وانتهت قريش إلى موضع الحجر الأسود وتنازعوا أيهم يضعه،
فاتفقوا على تحكيم الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وآله وكان يعرف عندهم
جميعا بالأمين، وكانوا على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم وضغائنهم، وإعجاب
كل قبيلة من قبائلهم بنفسها مجمعين على حبه وأمانته وعدالته في كل شؤونه،
فحكموه فيما تنازعوا فيه، وانقادوا إلى قضائه.

فبسط رداءه وأخذ الحجر فوضعه في وسطه، ثم قال لأربعة من زعماء
قريش، وأهل الرياسة فيها - وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف،
والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو حذيفة بن
المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وقيس بن عدي السهم ليأخذ كل واحد منكم بجانب
من جنبات هذا الرداء، فشالوه حتى ارتفع ودنا من موضعه فأخذه صلى الله عليه
وآله ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور.

فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم
سنا: (واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة كهولا وشيوخا عمدوا إلى أصغرهم سنا

(١) أنظر قصة ولادة الرسول صلى الله عليه وآله في: الفضائل لابن شاذان ٢٠، تاريخ بغداد ٣: ٣ - ٢١، -
بحار الأنوار ١٥: ١٤٦ ح ٨، و ص ٢٨١ ح ١٧، و ص ٣٤١ ح ١٣.

فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما؟! أما واللات والعزى ليقسمن بينهم حظوظا وجدودا، وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم).
وكان أبو طالب حاضرا، فلما سمع هذا الكلام أنشأ يقول:
إن لنا أوله وآخره في الحكم العدل لن ينكره
قاتل الله أهل العناد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
الكافرين (١)، كذبوه وإنهم ليعلمونه الصادق الأمين، وأنكروا نبوته، وهم منها
على يقين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (٢)، ثم لم يألوا جهدا، ولم
يدخروا وسعا في إطفاء نور الله من مشكاته ويأبى الله إلا أن يتم نوره... ولو
كره المشركون (٣).

ظلموه وشتموه وأجلوه عن حرم الله عز وجل مسقط رأسه، ومحل أنسه،
ثم لم يكتفوا بما كان منهم في مكة المعظمة من فضائع وفجائع، وأمور تستك منها
المسامع، حتى غزوه وهو في دار هجرته، ومحل غربته، فكانت حروب تشيب
الأطفال، وتميد بها الجبال، لكنها والحمد لله طحتهم بكلكلها، وقرت الكلاب
أشلاءهم، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين
القتال وكان الله قويا عزيزا (٤).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بأبي أنت وأمي يا نبي الرحمة، كم أسديت
لهذه الأمة من نعمة، وكم لك عليها من يد بيضاء تستوجب الشكر والثناء.

-
- (١) سورة البقرة: ٨٩.
(٢) سورة النمل: ١٤.
(٣) سورة التوبة: ٣٢ - ٣٣.
(٤) سورة الأحزاب: ٢٥.

وحين فتحت مكة بعد أن أجلوك عنها، وكان من أبي سفيان ما كان من التحريض على قتلك ومحاربتك، فأمرت مناديك ينادي: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ثم لم يتم على ولدك وسبطك وريحانتك ما تم. ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح وحللتهم قتل الأسارى وطالما نمر على الأسرى فنعمو ونصفح وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح قال عبد الله بن العباس رحمه الله: إنه لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه وقد ضم الحسين إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول:

ما لي وليزيد لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد، ثم غشي عليه طويلا وأفاق وجعل يقبل الحسين عليه السلام وعيناه تذر فان ويقول: أما أن لي ولقاتلك مقاما بين يدي الله عز وجل.

وقال ابن عباس أيضا: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا، إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه يبكي وقال له: إلي إلي، فأجلسه على فخذه اليمنى.

ثم أقبل الحسين عليه السلام، فلما رآه بكى وقال له: إلي إلي، فأجلسه على فخذه اليسرى.

ثم أقبلت فاطمة عليها السلام، فلما رآها بكى فقال لها: إلي إلي، فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل علي عليه السلام فرآه وقال له: إلي إلي، وأجلسه إلى جانبه الأيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما ترى واحدا من هؤلاء إلا وبكيت أو ما فيهم من تسر برؤيته؟

فقال: والذي بعثني بالنبوة على جميع البرية ما على وجه الأرض نسمة أحب إلي منهم، وإنما بكيت لما يحل بهم بعدي وما يصنع بهذا ولدي الحسين كأني به، وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار ثم يرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه أرض كرب وبلاء تنصره عصابة من المسلمين، أولئك سادة شهداء أمتي يوم القيامة، فكأني أنظر إليه وقد رمي بسهم فخر عن فرسه صريعا ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوما.

ثم انتحب صلى الله عليه وآله وسلم وبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج ثم قام وهو يقول:

اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي.

والمسلمون بمنظر وبمسمع لا منكر منهم ولا متفجع

كحلت بمنظر العيون عماية وأصم رزؤك كل أذن تسمع

أيقظت أجفانا و كنت لها كرى وأنمت عينا لم تكن بك تهجع (١)

(١) معجم الأدباء ١٠: ١١٠.

[المجلس الرابع العشر]

ولد رسول الله صلى الله عليه وآله - أعلى الأنبياء قدرا، وأرفع الرسل في
الملا الأعلى ذكرا الذي بشرت الرسل بظهوره، وخلقت الأنوار بعد نوره - يوم
السابع عشر من ربيع الأول، وقيل: يوم الثاني عشر منه، بمكة المشرفة في شعب
أبي طالب يوم الجمعة بعد الزوال أو عند الفجر عام الفيل وطير الأبايل.
وهو أبو القاسم محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان....

وأمه آمنة بنت وهب.

وأزواجه خمسة عشر، وفي المبسوط: ثمانية عشر، سبع من قریش،
وواحدة من حلفائهم، وتسع من سائر القبائل، وواحدة من بني إسرائيل بن
هارون بن عمران.

واتخذ من الإمام ثلاثة عجميتين وعربية.

وله من الأولاد من خديجة: القاسم

رقية وزينب خلاف - وبعد المبعث ولد من خديجة: الطيب، والطاهر، وسيدة
نساء العالمين، وله ولد أيضا من مارية القبطية اسمه إبراهيم.
ونزل عليه الوحي صلى الله عليه وآله، وتحمل أعباء الرسالة يوم السابع

والعشرين من رجب وهو ابن أربعين سنة..... واصطفاه ربه بالمدينة مسموما يوم
الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر من الهجرة المباركة وله ثلاث
وستون سنة، ودفن في حجرته المنورة.
ومات أبوه وهو ابن شهرين، وقيل: سنتان وأربع أشهر، وقيل: مات وهو
حمل، وماتت أمه في الأبواء.
وكان صلى الله عليه وآله كما وصفه ولده باقر علوم الأولين والآخرين
عليه السلام: أبيض اللون مشربا بحمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، عظيم
المنكين، إذا التفت التفت جميعا، سائل الأطراف، كأن عنقه إبريق فضة، وإذا
تكفا كأنه إلى منحدر، لم ير الراؤون مثل نبي الله قبله ولا بعده.
وأما معاجزه الباهرة، وآياته الظاهرة، فقد قصرت عن حصرها الحساب،
وكلت عن سطرها الكتاب، كانشقاق القمر، وتظليل الغمام، وحنين الجذع،
وتسبيح الحصى، وتكليم الموتى، ومخاطبة البهائم، وأثمار يابس الشجر،
وغرس الأشجار وأثمارها على الفور، وقصة الغزالة مع خشفيها، وخروج الماء
من بين أصابعه، وانتقال النخلة بأمره، وأخبار الذراع له بالسهم، والنصر بالرعب،
ونوم عينيه دون قلبه، وعدم طول قامته أحد على قامته، وإكثار اللبن من شاة أم
معبد، ورؤيته من خلفه كما يرى من أمامه، وإطعامه من القليل الجم الغفير، وطى
البعيد له، وشفاء الأرملة إن تفل في عينيه، وقصة الأسد، ونزول المطر بدعائه،
ودعائه على سراقه فساخت به الأرض، وأخباره بالمغيبات، كإنبائه عن العترة
الظاهرة واحدا بعد واحد، وما يجري عليهم من الأعداء في أرض كربلاء.
ففي البحار وغيره: لما ولدت فاطمة الحسين عليهما السلام جاء النبي
صلى الله عليه وآله فقال:

هلمي إلي بابني يا أسماء.
قالت: فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن يوم ولادته
وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال:
إنه سيكون لك حديث، اللهم العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك.
قالت أسماء: فلما كان يوم سابعه جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال:
هلمي بابني فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام وعق عنه كبشا
أملحاً، وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقاً، ثم وضعه في حجره، وخلق
رأسه بالخلوق، ثم قال: يا أبا عبد الله عز علي ثم بكى. (١)
أقول: كأن رسول الله صلى الله عليه وآله: ذكر حين خلق رأس الحسين
عليه السلام بالخلوق أن هذا الرأس يهدى إلى يزيد لحاه الله على رمح طويل من
العراق إلى الشام مع سبعة عشر رأساً من العترة الطاهرة، تشرق أنوارها على
أطراف الرماح كأنها الأقمار الزاهرة، وجسومهم منبوذة بالعراء، لا مغسلين ولا
مكفينين، ولا مدفونين، تصهرهم الشمس، وبالعزيز عليك يا رسول الله أن يبقى
سبطك وريحانتك عاري اللباس.
قطيع الرأس منخمد الأنفاس في جندل كالجمر مضطرم
ثوى ثلاث ليال بالعراء بلا غسل ولا كفن لله من حكم
وكريمتك يا رسول الله تناديك بصوت حزين، وقلب كئيب:
يا رسول الله، يا جداه، صلى عليك ملك السماء، هذا حسينك بالعراء،

(١) أنظر: ذخائر العقبى: ١١٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٨٧، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٥٤،
الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ١٢٥.

تسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، يا حزنانه، يا كرباه، اليوم مات جدي رسول
الله صلى الله عليه وآله، يا أصحاب محمداه، هذه ذرية المصطفى، يساقون سوق
السبايا، يا محمداه بناتك سبايا، وذريتك مقتلة، وهذا حسينك مقطوع الرأس من
القفا.

نادت فقطعت القلوب بشجوها لكنما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أخي يا أملي وعقد جماني المنضودا

[المجلس الخامس العشر]

روي عن الحسن سلام الله عليه، قال: سألت خالي هند بن هالة وكان وصافاً عن حلية النبي صلى الله عليه وآله فقال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله فحماً مفخماً، يتلألاً وجهه تلاًلاً القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العينين، له نور يعلوه، يحسبه من يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، أدعج العيينين، ظليع الفم أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دموية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً متماسكاً، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس أنور، موصول ما بين الصدر والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين (١) سائل الأطراف، مسبح القدمين، يخطو تكفئاً، ويمشى هويناً، سريع المشي إذا مشى كأنما ينحط عن صيب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض، ييدر من لقيه بالسلام، وكان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يتكلم بجوامع الكلم، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وأن دقت، ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا

(١) قال رحمه الله: شثن وشثل بمعنى يقال: شثلت أصابعه أي: خشنت وغلظت. وقدم شثلة: غليظة اللحم.

تغضبه الدنيا، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا حدث أشار بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض، وإذا فرح غض من طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

صلى الله عليك يا رسول الله، وعلى فرحك وشبل سبطك علي بن الحسين الأكبر الشهيد بن الشهيد، والمظلوم بن المظلوم، أشبه الناس بك خلقا وخلقاً ومنطقاً، ولقد يعز عليك حين برز إلى ثلاثين ألفاً وهو ابن تسع عشرة سنة فرفع الحسين سبأته إلى السماء وقال:

اللهم أشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه.
اللهم أمنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاية عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلوننا.

ثم صاح عليه السلام: يا بن سعد، ما لك؟ قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم رفع صوته وتلى: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (١).
ثم حمل علي بن الحسين على القوم وهو يقول:

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

أنا علي بن الحسين بن علي * من عصابة جد أبيهم النبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي * أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي * ضرب غلام هاشمي علوي
ولم يزل يقاتل حتى ضج الناس من كثرة من قتل منهم، ثم رجع إلى أبيه
وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال:
يا أباه العطش قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل
أتقوى بها على الأعداء؟

وبكى الحسين عليه السلام وقال: يا بني، يعز علي محمد وعلي وعلي
أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك، يا بني هات لسانك
فأخذه فمصه، ودفع إليه خاتمه وقال: أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك،
فإني أرجو أنك لا ترجع حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظماً بعدها
أبداً.

فرجع علي بن الحسين عليه السلام إلى موضع النزال، وقاتل أعظم القتال
وهو يقول:

الحرب قد بانث لها الحقائق وظهرت من بعدها مصادق
والله رب العرش لا تفارق جموعكم أو تغمد البوارق
فلم يزل يقاتل حتى قتل تمام المائتين، ثم ضربه منقذ بن مرة العبدي على
مفرق رأسه ضربة صرخته، وضربه الناس بأسيافهم، ثم اعتنق فرسه فاحتمله
الفرس إلى عسكر الأعداء، فقطعوه بسيوفهم إربا إربا، فلما بلغت روحه التراقي
قال رافعا صوته:

يا أبتاه هذا جدي قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو
يقول لك: العجل العجل فإن لك كأساً مذخورة حتى تشربها الساعة.
فصاح الحسين عليه السلام: قتل الله قوماً قتلوك يا بني، ما أجرأهم على
الرحمن وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، على الدنيا بعدك العفا.
كنت السواد لناظري فعليك ييكي الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
قال حميد بن مسلم: فكأنني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة تنادي بالويل
والشبور وتقول:

يا حبيباه، ويا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه.
فسألت عنها فقيل لي: هي زينب بنت علي عليها وعلى أبيها السلام،
وجاءت وانكبت عليه، فجاء الحسين عليه السلام وأخذها بيدها فردها إلى
الفسطاط وأقبل بفتياناه وقال: احمّلوا أحاكم، فحملوه من مصرعه، فجاءوا به
حتى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.
يا كوكبا ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار
جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري (١)

(١) من قصيدة لابن الفارض ينعي فيها ولده.

[المجلس السادس عشر]

لما قدم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة تعلق الناس بزمام الناقة فقال: دعوها فإنها مأمورة فعلى باب من بركت فأنا عنده. فأطلقوا زمامها وهي تهف في السير، فبركت على باب أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري (١) رضي الله تعالى عنه، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي صلى الله عليه وآله، ونادى أبو أيوب: يا أمه افتحي الباب، فقد قدم سيد البشر، وأكرم ربيعة ومضر، ففتحت الباب وقالت:

وا حسرتاه، ليت لي عينا أبصر بها وجه سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت عمياء، فكان أول معجزة للنبي في المدينة أنه صلى الله عليه وآله وضع كفه الشريف على وجه أم أيوب فانفتحت عيناها. (٢)

(١) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف النجار، أبو أيوب الأنصاري، معروف باسمه وكنيته، من السابقين، شهد العقبة وبدرا وما بعدها، ونزل عليه النبي صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة، استخلفه الإمام علي عليه السلام على المدينة لما خرج إلى العراق، ثم لحق به وشهد معه قتال الخوارج.

وروي عن سعيد بن المسيب أن أبا أيوب أخذ من لحية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا، فقال له: (لا يصيبك السوء يا أبا أيوب).

أنظر: الإصابة ٢: ١٩٩ - ٢٠١ ترجمة رقم (٢١٦٨)، تجريد أسماء الصحابة ١: ١٥٠، تقريب التهذيب ١: ٢١٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣٣، بحار الأنوار ١٩: ١٢١ ح ٧.

وروي بسند معتبر أن أبا أيوب أتى بشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عرس فاطمة عليها السلام فنهاه جبرئيل عن ذبحها، فشق ذلك على أبي أيوب، ثم أمر بذبحها، فذبحها ابن جبير الأنصاري بعد يومين، فلما طبخت أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تأكلوا إلا بسم الله، ثم قال صلى الله عليه وآله أن أبا أيوب رجل فقير، إلهي أنت خلقتها وأنت أمتها، وأنت قادر على إعادتها فاحيها يا حي لا إله إلا أنت، فأحيها الله تعالى، وجعل فيها بركة لأبي أيوب، وشفاء المرضى في لبنها، وسماها أهل المدينة: المبعوثة. (١)

وفيها قال عبد الرحمن بن عوف:

ألم يبصروا شاة ابن زيد وحالها وفي أمرها للطالبيين مزيد
وقد ذبحت ثم استحر أهابها وفصلها فيما هناك يزيد

فأرجعها ذو العرش والله قادر فعادت بحال ما يشاء يعود (٢)

وفي خبر عن سلمان رضي الله عنه: أنه صلى الله عليه وآله لما نزل دار أبي أيوب لم يكن له سوى جدي وصاع من شعير، فذبح له الجدي وشواه، وطحن الشعير وعجنه وخبزه وقدمه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فأمر صلى الله عليه وآله عليه وآله بأن ينادي: من أراد الزاد فليأت إلى دار أبي أيوب، فجعل أبو أيوب ينادي والناس يهرعون إلى داره حتى امتلأت الدار، فأكل الناس بأجمعهم والطعام باق، فضج الناس بالشهادتين. (٣)

وعن علي بن إبراهيم: ما زال أبو كرز الخزاعي يقفو أثر النبي صلى الله

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١ - ١٣٢.

عليه وآله يوم خروجه إلى الغار حتى وقف على بابه وقال: هذه قدم محمد، وهذه قدم ابن أبي قحافة ما جاوزا هذا المكان. وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس فوقف على باب الغار وهو يقول: اطلبوه في هذه الشعاب فليس هاهنا. وتبعه القوم وكانوا دهاة العرب، وأمر الله شجرة فنبتت في وجه الغار، وأمر العنكبوت فنسجت، وأمر حمامتين بفم الغار. ولما قربوا منه تقدم بعضهم لينظر، ثم رجع فقال: رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد. (١)

[وفي نهج البلاغة (٢) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي، فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وبيعض أغصانها على منكبه، وكنت على يمينه، فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علوا واستكبارا: فمرها فليأتك نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويا، وكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا كفرا وعلوا:

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ (القاصعة): ٢٨٥، مناقب آل أبي طالب ١: ١٢٩.

فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه، فأمره فرجع.
لحا الله أهل العناد، كم رأوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أمثال ذلك،
فلم يقلعوا عن عنادهم، وكم له عليهم من نعمة جعلوا جزاءها قتل ذريته، وسبي
عترته، ولقد وقف الحسين عليه السلام متكئا على سيفه، ووعظهم فلم يتعظوا،
وذكرهم فضل جده وأبيه عليها السلام فلم يذكروا، فكان من جملة كلامه يومئذ:
أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟
قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم [الله] هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب عليه السلام؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى؟

قالوا: اللهم نعم.

إلى أن قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله أنا متقلده؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله

أنا لابسها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فبم تستحلون دمي وأبي الذائد عن الحوض، ولواء الحمد بين يدي

يوم القيامة؟

قالوا: قد علمنا ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا.
فلما سمع بناته وأخواته ذلك بكين وندبن ولطنن وارتفعت أصواتهن،
فوجه إليهن أخاه العباس وابنه عليا وقال: سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن.
ولما رأى الحسين عليه السلام حرص القوم على القتال قال لأخيه
العباس: إن استطعت يا أخي أن تصرفهم عنا هذه الليلة فلعلنا نصلي لربنا فإنه
يعلم أنني أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه.
فسألهم العباس ذلك فتوقف ابن سعد.

فقال له ابن الحجاج: والله لو أنهم من الديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم
فكيف وهم آل محمد صلى الله عليه وآله، فأجابوهم إلى ذلك.
وجلس الحسين عليه السلام فخفق برأسه ثم استيقظ، فقال: يا أختاه إني
رأيت الساعة جدي وأبي وأخي وهم يقولون:
يا حسين إنك رائح إلينا عن قريب، فلطمت زينب وجهها وبكت
وصاحت:

واثكلاه يا جداه يا رسول الله، وا أخاه وا حسينا، أشاهد مصرعك وأبتلي
برعاية هذه المذاكير وأغمي عليها.

فقال لها الحسين عليه السلام: مهلا لا تشمت القوم.
وبات الحسين عليه السلام تلك الليلة وأصحابه ولهم دوي كدوي النحل
ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد.

سمة العبيد من الخشوع عليهم لله إن ضمتهم الأسحار
وإذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض القواضب أنهم أحرار

[المجلس السابع العشر]

عن أنس بن مالك قال: كان إذا فقد رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده. (١)
وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (٢)، قال: بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزواته إذ أعيا ناضحي تحت الليل، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في أخريات الناس يلاحظ الضعيف فأنتهى إلي وأنا أقول:
يا لهف أماه ما زال الناضح بسوء.

فقال: من هذا؟

فقلت: أنا جابر بأبي وأمي يا رسول الله.

قال: ما شأنك؟

قلت: أعيا ناضحي.

فقال: أمعك عصا؟

قلت: نعم.

فضربه صلى الله عليه وآله ثم بعثه، ثم أناخه، ووطئ على ذراعه، وقال:
اركب، فركبت وسأيرته فجعل جملي يسبق جملة، فاستغفر لي تلك الليلة

(١) مكارم الأخلاق ١: ٥٥ ح ٣٤، بحار الأنوار ١٦: ٣٣٣.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الخزرجي الأنصاري السلمي، المتوفى سنة ٧٨ هـ، صحابي، روى عن النبي صلى الله عليه وآله الكثير، وروى عنه جماعة من الصحابة، غزا تسعة عشرة غزوة، كانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم.
أنظر: رجال الشيخ: ٧٢، الأعلام ١: ٢١٣، تهذيب الأسماء ١: ١٤٢.

خمسا وعشرين مرة.
فقال لي: ما ترك عبد الله من الولد - يعني أباه -؟
قلت: سبع نسوة.
قال: أبوك عليه دين؟
قلت: نعم.
قال: فإذا قدمت المدينة وحضر جذاذ النخل فأذني، هل تزوجت؟
قلت: نعم.
قال: بمن؟
قلت: بفلانة ابنة فلان بأيم (١) كانت بالمدينة.
فقال: يا جابر، هلا فتاة تلاعبها وتلاعبك؟
قلت: يا رسول الله كن عندي نسوة حرق - يعني أخواته - فكرهت آتيهن
بامرأة حرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمري.
قال صلى الله عليه وآله: أصبت ورشدت.
بكم اشتريت جملك؟
قلت: بكذا وكذا - بخمس أواق من ذهب -.
قال: بعنيه ولك ظهره إلى المدينة.
فلما قدم المدينة آتيته بالجمل، فقال: يا بلال اعطه خمس أواق ثمنه وزده
ثلاثا ورد عليه جملة.
قال جابر: فلما حضر جذاذ النخل أعلمت رسول الله صلى الله عليه وآله
فجاء فدعا لنا فجذذنا، فاستوفى كل غريم ما كان يطلب تمرا، وبقي لنا مثل ما
كنا نجد وأكثر.

(١) أيم وزان كيس: المرأة التي لا زوج لها، وهي مع ذلك لا يرغب أحد في تزويجها.

فقال صلى الله عليه وآله: ارفعوا ولا تكيلوا، فرفعناه وأكلنا منه زمانا. (١)
وفي الصواعق المحرقة لابن حجر (٢): أن جابرا بن عبد الله الأنصاري قال
للإمام الباقر عليه السلام وهو صغير: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم
عليك.

ف قيل له: وكيف ذلك؟

قال: كنت جالسا عنده والحسين في حجره وهو يقبله فقال:
يا جابر يولد للحسين مولود اسمه علي، وإذا كان يوم القيامة ينادي مناد:
ليقم زين العابدين، فيقوم علي بن الحسين عليهما السلام، ثم يولد لعلي ولد
اسمه محمد عليه السلام فإذا أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام.
وكان جابر هذا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين
والحسن والحسين، وأدرك الإمام محمد الباقر عليهم السلام ولم يشهد وقعة
الطف لكونه إذ ذاك مكفوفاً، لكنه أول من زار الحسين عليه السلام.
قال السيد: ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا
العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء، فوجدوا جابرا بن عبد الله
الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالا من آل الرسول صلى الله
عليه وآله، فتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد،
واجتمع إليهم نساء ذلك السواد. (٣)
قال ابن جناب الكلبي (٤): حدثنا الجصاصون، قالوا: كنا نسمع الجن

(١) الأنوار في شمائل النبي المختار ١: ٣١٣ ح ٤١٠، مكارم الأخلاق ١: ٥٥ ح ٣٥.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠١.

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٢١.

(٤) في الأصل: أبي جناب الكلبي، وما أثبتناه هو الصحيح، وهو يحيى بن أبي حية الكلبي الكوفي،
حدث عن أبيه والشعبي وغيرهم، أنظر (الإكمال ٢: ١٣٤).

ينوحون عليه فيقولون:
مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قري ش وجده خير الجدود (١)
ثم انفصلوا من كربلاء، فلما قربوا من المدينة، قال الإمام زين العابدين:
يا بشر رحم الله أباك، لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه؟
فقال: بلى يا بن رسول الله.
فقال: أدخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام.
قال بشر: فركبت فرسي، فلما بلغت المسجد رفعت صوتي بالبكاء
وأنشأت أقول:
يا أهل يثرب لا مقام لكم بها * قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضر ج * والرأس منه على القناة يدار
ثم قلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم،
ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم [أعرفكم مكانه].
قال: فما بقيت بالمدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن،
منحمشات وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أر باكيا
أكثر من ذلك اليوم، ولا يوما أمر على المسلمين منه، وسمعت جارية تنوح على
الحسين وتقول:

(١) وقد نسب البيهقي في (المحاسن والمساوي ١: ٤٩) هذه الأبيات إلى الشاعر كعب بن زهير،
والظاهر أنه كعب بن زهير الصحابي، ولم أجد الأبيات المنسوبة إليه في غير هذا الكتاب، فإن صحت
هذه النسبة، فهي مما كتبت في أيام الأمويين والعباسيين.

نعى سيدي ناع نعاہ فأوجعا * وأمرضني ناع نعاہ فأوجعا
فعيني جودا بالدموع واسكبا * وجودا بدم بعد دمعكما معا
على من وهي عرش الجليل فرزععا * فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبي الله وابن صفيه وإن * كان عنا شاحط الدار أشسعا (١)
قال بشر: فضربت فرسي ورجعت، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق
والمواضع فقربت من باب الفسطاط، وكان زين العابدين عليه السلام داخلا
فخرج ومعه خرقة يمسح فيها دموعه، وخلفه خادم ومعه كرسي فوضعها له
فجلس عليها وهو لا يتمالك من البكاء، وارتفعت أصوات الناس، وضجت
النساء بالحنين والصراخ، فضجت تلك البقعة ضجة شديدة.
ثم خطب الناس خطبة لم يسمع أبلغ منها، ثم رحل إلى المدينة، فنظر إلى
تلك المنازل تنوح بلسان حالها، وتبكي لفقد حمايتها ورجالها، وتهيج أحزانه
على مصارع قتلاه، وتنادي لأجلهم: وأثكلاه، واذلاه.
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
ما ذنب أهل البيت حتى منهم أخلوا ربوعه
تركوهم شتى مصارعهم وأجمعها فظيعة

(١) زينة المجالس: ٥٣٤.

[المجلس الثامن عشر]

كانت وقعة بدر التي أظهر الله بها الدين، وكسر فيها سورة المشركين، صبيحة الجمعة لسبعة عشر ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وكان خروج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة المنورة ثالث الشهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم سبعة وسبعون من المهاجرين، والباقيون من الأنصار، ولم يكن معهم إلا فرسان، أحدهما للمقداد، وكانت الإبل سبعة عشر يتعاقبون عليها.

وأقبلت قريش بخيلائها وخيلها، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألفاً ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير.

وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه، وكانت رايته بيد أمير المؤمنين عليه السلام، وتقارب الفيلقان، فبرز من المشركين عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد، وكانوا عظماء قريش، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله علياً بالبروز إليهم، وأرسل معه عمه الحمزة، وعبيدة بن الحرث.

فشد أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فقتله، وشد الحمزة على عتبة فقتله، وبارز عبيدة شيبة فاختلف بينهما ضربتان قطعت ضربة شيبة فخذ عبيدة رحمه الله تعالى، فكر أمير المؤمنين وحمزة على شيبة فقتلاه، فكان قتل هؤلاء الثلاثة أول وهن لحق المشركين وذل دخل عليهم.

ثم بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص - بعد أن

أحجم عنه سواه - فقتله، وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز إليه طعيمة ابن عدي - وكان من رؤوس الضلال - فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش، وكانت قريش تقدمه وتعظمه، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة وعذبهما يوماً إلى الليل، وبرز زمعة بن الأسود والحارث بن زمعة وكانا من أشد المشركين وطأة على المسلمين فقتلتهما، وقتل بعدهما عمير بن عثمان ابن كعب بن تيم، وهو عم طلحة بن عبيد الله، وبرز بعد عمير أخيه، وهما عثمان ومالك ابنا عبيد الله وكانا أخوي طلحة فقتلتهما أمير المؤمنين عليه السلام. وصمد إلى صنديد قريش يقتل كل من برز إليه، حتى أتى على نصف المقتولين من المشركين، وكانوا سبعين رجلاً، تولى جميع من حضر بدرا من المسلمين مع ثلاث آلاف من الملائكة المسومين قتل النصف منهم، وتولى أمير المؤمنين قتل النصف الآخر وحده بمعونة الله عز وجل وكان الفتح على يده. وختم الأمر بكف من تراب تناوله النبي صلى الله عليه وآله فرمى به وجوه المشركين قائلاً: شأهت الوجوه.

فلم يبق أحد منهم إلا ولى منهزماً، ونصر الله عبده، وأنجز وعده، فغنم المسلمون أموال المشركين، وأسروا سبعين من رجالهم، فكان العباس ممن أسر يومئذ وجيء به مكتوفاً، فبات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهراً، فقال له أصحابه:

يا رسول الله، ما لك لا تنام؟

فقال: سمعت تضور العباس في وثاقه فمنعني من النوم. فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله.

بأبي أنت وأمي يا نبي الرحمة، أخذك الأرق، واعتراك القلق، بوثاق عمك
وقد كان مع المحاربين لك، على أنه لم يكن عليلاً ولا ظمآنًا، ولا أضمره الوثاق،
ولا كان مفجوعاً بأبيه، ولا مرزوعاً بجمع أهليه، ولا كان رأس أبيه في أعلى
السنان، ولا طافوا به وبنسائه سبايا في البلدان، فكيف بك يا رسول الله لو رأيت
مريضك العليل والجامعة في عنقه، والغل في يديه، والقيد في ساقه، وليتك
تراهم وقد اجتمعوا عليه يريدون قتله، فقلبوه عن نطح مسجى عليه، وتركوه
على الرمضاء، وحرارة الشمس، وحر المصيبة، وألم السقم، يرى خياماً منهوبة،
ونساءً مسلوبة، ورؤوساً على الرماح مرفوعة، وجثثاً تحت سنابك الخيل
مرضوضه، يعز عليك يا نبي الله إذ ساقوا ثقلك وحرائرَكَ حتى أدخلوهم على
يزيد بن معاوية لعنهما الله وهم مقرونون بالحبال، فلما وقفوا بين يديه قال له
سبطك علي بن الحسين عليهما السلام:
أنشدك الله يا يزيد، ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه
الصفة؟

فأمر اللعين بالحبال فقطعت، ثم وضع رأس ريحانتك بين يديه، وأجلس
النساء خلفه لئلا ينظرن إليه، فرأته أم المصائب عليها السلام فأهوت إلى جيبها
فشقته، ثم نادى بصوت حزين يقرح القلوب:
يا حسينا، يا حبيب رسول الله، يا بن مكة ومنى، يا بن فاطمة الزهراء
سيدة نساء العالمين، يا بنت المصطفى، فأبكت والله كل من كان حاضراً.
يا ليت عين المصطفى نظرت إلى أم المصائب حولها أيتامها
ما بين نائحة وصارخة غدت ترثي كما يرثي الفراخ حمامها
لهفي لهاتيك الحرائر أصبحت يقتاد قسراً للئيم زمامها

[المجلس التاسع عشر]

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أحد يوم الجمعة في شوال سنة ثلاث من الهجرة في ألف مقاتل، فرجع منهم قبل الوصول إلى أحد ثلاثمائة من المنافقين، وبقي سبعمائة، فيهم مائة دارع، ولم يكن معهم إلا فرسان، وكان المشركون ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائة فرس، وثلاثة آلاف جمل وخمسة عشر امرأة، وقائدهم أبو سفيان، خرج لحرب الله ومعه ولده معاوية وزوجته هند، وخرج عمرو بن العاص بزوجته ربيعة بنت منبه، والتقوا يوم السبت، وعلى ميمنة المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله الشعب من أحد وتركه خلفه، وجعل الرماة وهم خمسون وراءه، ليحموا ظهور المسلمين، وأمرهم أن لا يفارقوا مراكزهم على كل حال.

وأعطى رايته عليا عليه السلام، وسأل عن لواء المشركين فقبل: مع بني عبد الدار، فأعطى لواءه مصعب بن عمير لأنه منهم.

فلما استشهد أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام في يده الراية واللواء جميعا، وحمى الوطيس، فشد أمير المؤمنين على صاحب اللواء وهو طلحة بن أبي طلحة وكان أشجع القوم، ويعرف بكبش الكتبية، فضربه على رأسه ضربة بدرت بها عيناه، فصاح صيحة منكرة وأسقط اللواء، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله تكبيرا عاليا، وكبر المسلمون بأجمعهم، وتضعع عسكر الشرك

بمقتله، ولم يزل يقتل كل من حمل اللواء من بني عبد الدار حتى تفانوا عليه، فحمله عبد لهم يقال له: صواب، وكان من أشد الناس، فقطع أمير المؤمنين عليه السلام يديه، ثم ضربه على أم رأسه فسقط صريعا، وانهزم المشركون، وأكب المسلمون على الغنائم فطمعت الرماة في الغنيمة، وفارقوا الشعب الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وآله بملازمته.

فأتى خالد بن الوليد في خيل المشركين من ورائهم وهم غافلون، فكان البلاء، وقتل حمزة في سبعين رجلا، وفر الباقيون، وثبت علي وأبو دجاجة (١) وسهل بن حنيف (٢).

وقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله قتالا شديدا، وكسرت يومئذ رباعيته، وشقت شفته، وكلم في وجهه الشريف، ودخل من حلق المغفر في جبهته الشريفة، وعلاه ابن قمامة لعنه الله بالسيف، فسقط - بأبي وأمي - إلى الأرض، وصاح المشركون: قتل محمد، فأوغل المسلمون للهرب، وكسر علي غمد سيفه، وشد على جموع المشركين شدة ما سمع السامعون بمثلهما، فكشفهم عن النبي صلى الله عليه وآله فوجده على الأرض، والدماء تسيل على وجهه الشريف، وأبصر النبي صلى الله عليه وآله جماعة من المشركين فقال: اكفنيهم يا

(١) هو سماك بن خرشة، من الصحابة الأوائل الذين صمدوا مع الرسول صلى الله عليه وآله في غزوة أحد، عاش حتى شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفين، وقيل غير ذلك. أنظر: الإصابة ٢: ٧٧، أسد الغابة ٢: ٤٥٢، الاستيعاب ٢: ٨٣ - ٨٤.

(٢) سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم الأوسي الأنصاري، من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وآله وثبت يوم أحد حين انهزم الناس، وبايع يومئذ على الموت، استخلفه علي على البصرة بعد الجمل، وشهد معه صفين وتوفي في الكوفة سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام. أنظر: الإصابة ٢: ٨٧، أسد الغابة ٢: ٤٧٠.

علي، فحمل عليهم، وقتل عميدهم، وتفرقوا، ثم جاءت كتيبة أخرى، فقال صلى الله عليه وآله: إحمل عليهم يا علي، فشد على عميدهم، فقتله وفرقهم. فقال جبرائيل عليه السلام: هذه المواساة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنه مني وأنا منه، فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا منكما، ونادى في تلك الحال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي وجعل علي عليه السلام ينقل الماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في درفته من المهراس ليغسل الدم عن وجهه، ومنع الله نبيه صلى الله عليه وآله يومئذ بأخيه، وبجماعة من المنهزمين تابوا إليه، فذهبوا به إلى الجبل فحاصروا وارتفع القتال.

بأبي أنت وأمي: يا غريب أين كان أخوك المواسي، ليمنعك من الأعداء حين سقطت شلوا مبضعا، كما منع المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخوه المواسي له؟

أم أين كان قمر بني هاشم وأنت مطروح على الرمضاء تخور بدمك، وتلوك لسانك من العطش لينقل الماء إليك من الفرات، كما نقله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأله أخوه المواسي له من المهراس، لكنه سقط رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أخوه سالم المهجة، سالم الهامة، سالم الساعدين، وكان أخوك إذ سقطت يا قرّة عين الزهراء مرضوخ الهامة، محسوم الزندين، مشحوطا بالدماء، مبدد الأعضاء.

وأين عنك يا سيدي صحبك الذين ما فروا، ولا تخطوا حتى تفانوا دونك ليمنعوك كما منع رسول الله أصحابه؟ ومن أين لهم أن يمنعوك وهم صرعى في هجير الشمس، قد وزعت أشلاءهم ظبابة السيوف، وطحتهم سنايك الخيل، وابتلت بدمائهم أرض الطفوف، ولقد يعز عليهم والله وقوفك بين الأعداء وحيدا

فريدا وأنت تنادي:
هل من مغيث يغيثنا؟
هل من موحد يخاف الله فينا؟
هل من معين يرجو الله في إعانتنا؟
فأجابه يا داعي الله مالك بن النسر لعنه الله بالسيف على رأسك الشريف،
وطارح بن وهب (١) بالرمح في خاصرتك، ولباك بن شريك (٢) بالسيف على كتفك
اليسرى، وأجابه آخر بضربة على عاتقك المقدس فكبيت بها لوجهك.
وجاء سنان (٣) طاعن بسنانه * يرى أنه كان الهزير المشجعا
وأقبل شمر يعلن العجب إذ سطا * على الليث مذ أمسى له الحتف مضجعا
وراح بأعلى الرمح يزهو كريمه * كبدر دجى قد تم عشرا وأربعا

(١) وقيل: صالح بن وهب المزني، وهو خبيث ملعون. أنظر: مستدركات علم الرجال ٤: ٢٤٨.
(٢) وهو زرعة بن شريك التميمي، ملعون خبيث، ورد ذكره في مستدركات علم الرجال ٣: ٤٢٦.
(٣) في مستدركات علم الرجال ٤: ١٦١: سنان بن أنس النخعي، وهو قاتل مولانا الحسين صلوات الله
عليه، قيل: قتله ابن زياد حين قال: قتلت خير الناس أما وأبا، والمشهور أنه قتله المختار.
وفي كتاب حكاية المختار: ٤٥: أن إبراهيم قال لسنان عندما قبض عليه: يا ويلك أصدقني ما
فعلت يوم الطف؟ قال: ما فعلت شيئا غير أنني أخذت تكة الحسين من سرواله!! فبكى إبراهيم عند ذلك،
فجعل يشرح لحم أفخذه ويشويها على نصف نضاجها ويطعمه إياه،
وكلما امتنع من الأكل ينخزه بالخنجر، فلما أشرف على الموت ذبحه وأحرق جثته.

[المجلس العشرون]

نقل ابن أبي الحديد - في أواخر الجزء الرابع عشر من شرح النهج - عن جماعة من المحدثين والمؤرخين: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فر أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني عبد مناف بن كنانة، وفيها بنو سفيان بن عوف، وهم: خالد، وأبو الشعثاء، وغراب وأبو الحمراء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي اكفني هذه الكتيبة.

فحمل عليها وإنما لتقارب خمسين فارسا وهو راجل، فما زال يضربها حتى تفرقت عنه، ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة وتمام العشرة، فقال جبرائيل عليه السلام: يا محمد إن هذه لهي المواساة، وقد تعجبت ملائكة السماء من هذا الفتى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه؟ وهو مني وأنا منه. فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا منكما. قال: وسمع في ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي مرارا:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا جبرائيل... وكان بأبي هو وأمي قد جرح فجعل علي عليه السلام ينقل الماء في درفته من المهراس ويغسل جرح النبي فلم ينقطع دمه، فأتت فاطمة عليها السلام فجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت

حصيرا وجعلت من رماده على الجرح فانقطع الدم.
ذكرت من بكاء سيدة النساء حين عانقت أباها صلى الله عليه وآله وهو
مجروح، ما حال سكينه (١) لما استوقفت أباها وقد أثنى بالجراح، وبقي من كثرة
رشق النبال كالقنفذ، فقالت:

يا أبتاه، قف لي هنيئة لأتزوّد منك، فهذا وداع لا تلاقي بعده، وانكبت على
يديه ورجليه تقبلهما وتبكي، فبكى الحسين عليه السلام رحمة لها، ثم مسح
دموعها بكفه، وأخذها فتركها في حجره، ومسح دموعها بكفه وأنشأ مخاطبا
لها:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثمانني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتيه يا خيرة النسوان
واعتنقت أباها يوم الحادي عشر من المحرم كما اعتنقت جدتها الزهراء
أباها يوم أحد، لكن شتان بين من اعتنقت أباها وهو حي جالس، وبين من
اعتنقته وهو مطروح على الرمضاء بحرارة الشمس، عاري اللباس، قطع
الرأس، منخمد الأنفاس، في جندل كالجمر مضطرم.
ثوى ثلاث ليال بالعراء بلا غسل ولا كفن لله من حكم
ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله من أحد يوم الواقعة فمر بامرأة من
الأنصار أصيب أبوها وزوجها، فلما نعى إليها قالت: ما فعل برسول الله صلى الله

(١) سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كريمة نبيلة، كانت سيدة نساء عصرها،
توفيت سنة ١١٧ هـ، نسب إليها بعض المؤرخين أمور نقطع بكذبها وافترائها عليها.
أنظر: الطبقات الكبرى ٨: ٣٤٨، الدر المنثور: ٢٤٤، الأعلام ٣: ١٠٦.

عليه وآله؟ قالوا: هو بحمد الله كما تحيين.
قالت: أرونيه، فلما نظرت إليه قالت: كل مصيبة بعدك جليل.
ولقته حمنة بنت جحش فنعى إليها أخاها عبد الله فاسترجعت، ثم نعى
إليها أخاها حمزة فاستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولدت
وصاحت.

ولكن لا كالرباب (١) زوجة أبي عبد الله فإنها بقيت بعده لا تستظل تحت
سقف بيت حتى ماتت كمدا، وكانت تجلس في هجير الشمس من أول النهار إلى
آخره، وتقابلها ابنتها سكينه بالنوح واللطم، وكانت زينب مع حزنها ترق لها وهي
تندب الحسين أشجى ندبة، فتقول لها: أختي يا رباب قومي إلى الظل.
فتقول لها: يا سيدتي لا تلوميني فإني تركت سيدي ومولاي عاريا بالعراء
مطروحا على الرمضاء بحرارة الشمس، وكانت تقول في ندبتها:
وا حبيب المصطفى، وا ذبيحا من قفا، وا قتيلا بالظما.
ثم لا تزال تنادي: وا سيداه وا حسيناه، حتى تتفطر لها القلوب، ويتصدع
لها الصخر الأصم.

نادت فقطعت القلوب بشجوها * لكنما انتظم البيان فريدا
إن تنع أعطت كل قلب حسرة أو * تدع صدعت الجبال الميدا
تدعو بلهفة تاكل لعب الأسي * بفؤاده حتى انطوى مفؤودا

(١) الرباب بنت امرئ القيس بن عدي، زوجة الحسين عليه السلام، كانت معه في وقعة كربلاء، وبعد
استشهاده جئ بها مع السبايا إلى الشام، ثم عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف، فأبت، وبقيت بعد
الحسين لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدا، وكانت شاعرة لها رثاء في الحسين عليه السلام.
أنظر: المحبر ٣: ١٣، أعلام النساء ١: ٣٧٨.

[المجلس الحادي العشرون]

ذكر المؤرخون: أن وحشي بن حرب كان عبدا حبشيا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وقيل: كان لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل فقالت له ابنة الحارث: إن أبي قتل يوم بدر، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة محمدا أو عليا أو حمزة فأنت حر، فإني لا أدري في القوم كفوا لأبي غيرهم. فقال: أما محمد فإن أصحابه لن يسلموه، وأما حمزة فوالله لو وجدته نائما ما أيقظته، وأما علي فألتمسه.

قال وحشي: فكنت يوم أحد ألتمسه فبينما أنا في طلبه، إذ طلع علي فطلع رجل حذر مرس، كثير الالتفات فقلت: ما هذا بصاحبي، فبينما أنا كذلك إذ رأيت حمزة يفري الناس فريا، فكمنت إلى صخرة وهو مكبس له كيت، فاعترض له سباع بن أم اينار، فقال له حمزة:

وأنت يا بن مقطعة البذور ممن يكثر علينا فاحتمله حتى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحط شحط الشاة، ثم أقبل علي مكبا حين رأني، فلما بلغ المسيل وطأ على جرف فزلت قدمه فهزرت حربتي حتى رضيت منها ثم ضربت بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته، وكرت عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم ينادونه: أبا عمارة فلا يجيب، فقلت: والله مات الرجل، وذكرت هنداً وعداوتها لبني هاشم فأتيها فقلت: ماذا لي إذا قتلت قاتل أبيك. قالت: سلبني.

فأخبرتها الخبر فنزعت ثيابها وحليها فأعطتنيه وقالت: إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير، ثم قالت: أرني مصرعه فدلتها عليه، فبقرت بطنه، وأخرجت كبده فمضغتها ثم لفظتها، وقطعت مذاكيره، وجدعت أنفه، وقصت أذنيه، ثم جعلت ذلك خلخالين ودملجين حتى قدمت بذلك مكة وقدمت بكبده معها.

قال محمد بن إسحاق: ومن الشعر الذي ارتجزت به هند يوم أحد: شفيت من حمزة نفسي بأحد * حين بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد * من لوعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشأيوب برد * تقدم أقداما عليكم كالأسد
وجاءت صافية فجلست عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلت إذا
بكت يبكي رسول الله، وإذا نشجت ينشج، وجعلت فاطمة تبكي على عمها،
فلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وآله.
جعلت فداك يا رسول الله، يا نبي الرحمة، كيف بك لو رأيت عقائلك يوم
عاشوراء وقد ذبح نصب أعينهن ثمانية عشر من حماتهن، وسبعون من
أنصارهن، وليتك ترى كريمتكم زينب إذ وقفت على أخيها الحسين عليه السلام
حافية حاسرة، ووجدته وهو ريحانتك مزملا بالدماء، موزع الأعضاء، عاري
اللباس، مقطوع الرأس، مذبوحا من القفا، مفطور القلب من الظمأ، فنادتك
بصوت وقلب كئيب:
يا جداه يا رسول الله، صلى عليك ملك السماء، هذا حسينك بالعرا، مزملا
بالدما، مسلوب العمامة والرداء، ثم قالت:
بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفدا،

بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شبيهه يقطر بالدماء،
بأبي من جده رسول إله السما، فأبكت والله كل عدو وصديق.
وشتان ما بين صافية إذ قتل أخوها حمزة، وزينب إذ قتل أهلوها، أما صافية
فبقي لها رسول الله وأمير المؤمنين، وأبطال بني عبد المطلب، وليوث بني هاشم،
وبقي عزها، وسرداق مجدها، والمهاجرون والأنصار يتفانون دون خباها.. ويا
لهف نفسي لزينب، وبقية العقائل من آل الرسول صلى الله عليه وآله، إذ أصبحن
بعد حماتهن غنيمة للقوم الظالمين، يضربونهن تارة ويسلبونهن أخرى ولقد
كانت المرأة منهن تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه، ولم يبق لهن من
يرتجينه لدفع الأعداء، إلا عمر بن سعد لعنه الله، ولذا صحن في وجهه لما رأينه
وبكين شاقيات إليه، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هذه النسوة، ولا
تتعرضوا لهذا الغلام المريض، فسألته النسوة أن يسترجع ما أخذ منهن من
الملاحف ليستترن به، فقال: من أخذ منهن شيئا فليرده، فوالله ما رد أحد شيئا.
عجبا لمال الله أصبح مقسما* في رائح للظالمين وغاد
عجبا لآل الله صاروا مغنما* لبني الطليق هدية وزيا
عجبا لذي الأفلاك لم لا عطلت* والشهب لم تبرز بثوب حداد

[المجلس الثاني والعشرون]

سار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر في المحرم الحرام سنة سبع للهجرة في ألف وأربعمائة مقاتل، ومعهم مائتا فرس، وكانت الواقعة في صفر، والفتح فيها لأمر المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، وظهر من فضله في هذه الغزوة ما أجمع على نقله المسلمون، واختص فيها من المناقب بما لم يشاركه فيه أحد من العالمين، وذلك أنه قد اتفقت كلمة أهل الأخبار: على أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى الراية فيها أبا بكر أولاً فرجع، ثم أعطها عمر ثانياً فرجع ولم يكن فتح.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله - كما في غزوة خيبر من صحيح البخاري -:

لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجو أن يعطاها.

فقال: أين علي بن أبي طالب؟

فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه، فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... إلى آخر الحديث. (١)

(١) المناقب للخوارزمي: ١٧٠ فصل (١٦) ح ٢٠٣، كنز العمال ١٣: ١٢٣ ح ٣٦٣٩٣ أخرجه عن الدارقطني والخطيب البغدادي وابن عساكر وفي ص ١١٦ ح ٣٦٣٧٧ أخرجه مختصراً عن تاريخ أصبهان لابن مندة، بريقة المحمودية لأبي سعيد الخادمي ١: ٣١١.

أقول: وقد ورد حديث الراية في خيبر ودور الإمام علي عليه السلام في قتل مرحب زعيم اليهود وفتح قلاع خيبر في كثير من المصادر الحديثية والتاريخية المعتمدة عند الفريقين السنة والشيعنة بأسانيد مختلفة ومتون متواترة.

وقد خص العلامة مير حامد حسين أحد أجزاء كتابه عبقات الأنوار - الجزء التاسع - للبحث والتحقيق في هذا الحديث وأثبت أسانيد ودلالته على خلافة الإمام علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وجمع في كتابه ما بلغه من الحديث المستخرج في مجاميع أهل السنة فيما يمت بهذه الواقعة التاريخية.

وكذلك جمع العلامة المحقق القاضي التستري في موسوعته إحقاق الحق وملحقاته طرق هذا الحديث فعددها فكانت العشرات من الصحابة وأكثر من مائة مصدر حديثي وتاريخي. فليراجعهما من أراد الإيقان.

وفي تاريخ ابن الأثير: أن عليا نهض بالراية وعليه حلة حمراء فأتى خيبر
فأشرف عليه رجل من اليهود فقال: من أنت؟
قال: أنا علي بن أبي طالب.
فقال اليهودي: غلبتم يا معشر اليهود.
قال: وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى قد ثقبها مثل
البيضة وهو يقول:
قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
فقال علي عليه السلام:
أنا الذي سمتني أمي حيدرته كليث غابات كرية المنظرة
أكيلهم بالسيف كيل السندرة
فاختلفا بضربتين، فبدره علي عليه السلام فقد الجحفة والمغفر ورأسه

حتى وقع في الأرض، وأخذ المدينة.
ونقل ابن الأثير (١)، عن أبي رافع (٢) مولى رسول الله صلى الله عليه وآله
قال:

خرجت مع علي عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى
خيبر فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه يهودي فوقع ترسه من
يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو
يقاتل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم
نجتهد علي أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

قال ابن الأثير: فلما فتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى
اليهود، فلما رأتهم التي مع صفية صرخت وصكت وجهها، وحثت التراب على
رأسها، فقال النبي صلى الله عليه وآله لبلال: أنزعت منك الرحمة جئت بهما على
قتلاهما؟!!

بأبي أنت وأمي يا نبي الرحمة، لم ترض من بلال حين مر بيهوديتين على
قتلاهما الكفرة والفجرة المحاربيين لله ولرسوله، فكيف بك لو ترى العقائل من
خفراتك، والكريمات من بناتك، وهن على أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء،
مكشفات الوجوه بين الأعداء، يسوقوهن كما تساق الزوج والديلم، فمروا بهن
على مصارع قتلاهن، وفيهم حجة الله، ونجوم الأرض من آلك الطاهرين،

(١) الكامل في التاريخ ٣: ١٦٠.

(٢) أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، واسمه أسلم، كان للعباس بن عبد المطلب، فوهبه
للنبي صلى الله عليه وآله، فلما بشر النبي بإسلام العباس أعتقه، وشهد أبو رافع مشاهد النبي كلها، ولزم
أمير المؤمنين عليه السلام من بعده وكان صاحب بيت ماله بالكوفة.
أنظر الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٨٦، أسد الغابة ١: ٩٣.

فوجدتهم على الرمضاء، وقد أسري برؤوسهم إلى الكوفة، فنادت حينئذ
عزيرتك بضعة الزهراء عقيلتكم زينب: وا محمداه، بناتك سبايا، وذريتك مقتلة،
تسفى عليهم ريح الصبا، وهذا حسينك بالعراء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب
العمامة والردا.

وفي بعض المجموعات: أرادت أن ترمي بنفسها عليه، فنادها الإمام زين
العابدين عليه السلام بصوت أضعفته العلة:

عمتاه، ارحمي ضعف بدني، ارحمي الجامعة في عنقي، ودعي أخاك
وأنت على ظهر الناقة.

فجعلت تقول: ودعتك السميع العليم يا بن أمي، والله لو خيرت المقام
عندك والرحيل لا اخترت المقام عندك، ولو أن السباع أكلت لحمي.
واعتنقت سكينه جسد أبيها فاجتمعت عليها عدة من الأعراب حتى
جروها عنه، فوا حر قلباه، كيف عانقته ونحره منحور، وصدرة مكسور، ورأسه
على القنا مشهور، ويا لهف نفسي كيف رأته عاري الثياب، معفرا بالتراب، أم
كيف فارقت مطروحا بالعراء، لوحوش الأرض وطيير السماء، لا مغسلا ولا
مكفنا ولا مدفونا.

بلى يا رسول الله، كان دمه غسله، والتراب كافوره، والقنا الخطي نعشه،
وفي قلب من والاه قبره.

لهفي له وحريره من * حول مصرعه نوادب

يندبته بمدامع من حر * أجفان سواكب

أحسين بعدك لا هنا * عيش ولا لذت مشارب

والجسم منك مجدل * في التراب منعفر الترائب

ها نحن بعدك يا * غريب الدار أمسينا غرائب

[المجلس الثالث العشرون]

لما جهز رسول الله صلى الله عليه وآله جيش مؤتة جعل الأمير يومئذ ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وقال صلى الله عليه وآله: إن أصيب جعفر فزيد بن حارثة، فإن أصيب زيد، فعبد الله بن رواحة.

وقيل: أنه قدم زيدا، فقال جعفر: ما كنت أرهب أن تستعمل علي زيدا.

فقال صلى الله عليه وآله: امض فإنك لا تدري أي ذلك خير.

قال ابن الأثير: ثم ساروا فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها (مشارف)، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها (مؤتة) فاقتتلوا قتالا

شديدا، فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنى عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها شرابها

فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل

- وكان أول من عقر فرسه في الإسلام - فوجد به بضع وثمانون جرحا، ما بين ضربة ورمية وطعنة.

بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله.

بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله.

لئن وجدوا في جسد عمك بضعا وثمانين جرحا، فلقد أصبت يوم الطف

بألف وتسعمائة، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورضخه بحجر.
رماك الدارمي يا ريحانة المصطفى بسهم فأثبته في حنكك الشريف.
وضربك ابن النسر الكندي على رأسك بالسيف يا حشاشة الزهراء حتى
امتلاً برنسك دما، فاستدعيت بخرقة شددت بها رأسك تحت العمامة.
ووقفت يا سيدي لتستريح ساعة، وقد ضعفت عن القتال، فأتاك حجر في
جبهتك المباركة، فأخذت الثوب لتمسح الدم عن وجهك فأتاك سهم مسدد
مسموم له ثلاث شعب فوق على قلبك الطاهر، فأخرجته من ظهرك، فانبعث
الدم كأنه ميزاب.

سهم رمى أحشاك يا بن المصطفى * سهم به كبد الهداية قد رمي
يا أرض ميدي، يا سماء تظفري * يا شمس غيبي، يا جبال تقسمي
قال ابن الأثير: فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فتردد بعض
التردد، ثم قال يخاطب نفسه:
أقسمت يا نفس لتنزلنه * طائعة أو لا لتكرهه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة * ما لي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة * هل كنت إلا نطفة في شنة
وقال أيضا:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليتي
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت
وتقدم فقاتل حتى قتل.
ثم أن الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبي صلى الله عليه وآله فصعد
المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال:

ثار خبر - ثلاثا - عن جيشكم هذا الغازي، إنهم لقوا العدو، ثم نعى لهم زيدا وجعفرًا وعبد الله، وقال صلى الله عليه وآله - بعدها بليلة - مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان منخضب القوادم بالدم. (١)

وفي ترجمة جعفر من كتاب الاستيعاب (٢): بعث رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قطع يداه جميعا، ثم قتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء.

وقد لحقه في هذه الفضيلة شبل أخيه قمر بني هاشم فإنه قطع يداه في سبيل الله تعالى وضرب على هامته بعمود من حديد.

ولئن أصيب ذو الجناحين ببضع وثمانين جراحة، فلقد روي في حديث بني أسد: أنه لما دفنوا العباس عليه السلام كانوا كلما رفعوا منه جانبا سقط الآخر لكثرة ضرب السيوف، وطعن الرماح، وامتاز العباس بعظيم المواساة، فإنه لما اقتحم المشرعة قال: لا أشرب وأبو عبد الله عطشان.

وهل سمعت بأحد من الأولين والآخرين فدى قربة من الماء رجاء أن يشربها أخوه وعياله وأطفاله بنفسه؟ ووقاها حرصا على إيصالها إليهم بمهجته؟ وليتك يا ساقى عطاشى كربلاء أرويت كبذك الحرى بجرعة منها قبل مقتلك؟ وليتهم إذ قتلوك أبقوا ماءها لغسلك، وبالعزيز على سكينه عزيزة أخيك أن تراك ذبيحا دون يسير من الماء توصله إليها، ويعز على عقيلتكم زينب أن

(١) الإصابة ١: ٢٣٧، البداية والنهاية ٤: ٢٥٥، تهذيب التهذيب ٢: ٩٨، أسد الغابة ١: ٢٨٦، الطبقات الكبرى ٤: ٢٢، حلية الأولياء ١: ١١٤.

(٢) الاستيعاب ١: ٣١٢.

تراك مقطعا نصب عينيها، وليتك ترى أخاك الوحيد واقفا عليك وهو ينادي: الآن انكسر ظهري، الآن تبدد عسكري وقلت حيلتي، ثم بكى بكاء شديدا. أحق الناس أن يبكى عليه * فتى أبكى الحسين بكر بلاء أخوه وابن والده علي * أبو الفضل المخرج بالدماء ومن واساه لا يشنيه شيء * وجاد له عطش بماء ونقل ابن الأثير عن أسماء زوجة جعفر ذي الجناحين رضي الله عنها قالت:

أتاني النبي صلى الله عليه وآله وقد غسلت أولاد جعفر ودهنتهم، فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم، أصيب هذا اليوم، ثم أمر أهله أن يصنعوا لآل جعفر طعاما فهو أول طعام عمل في الإسلام.

بأبي أنت وأمي يا نبي الرحمة، دمعت عينك إذ رأيت يتامى ابن عمك جعفر، مع أنهم كانوا في هيئة حسنة، وزى بهيج، وأمرت لهم بطعام، مع أنهم لم يكونوا جياعا، رافة منك ورحمة.

فكيف بك لو رأيت يتاماكم يوم عاشوراء جياعا عطاشى، حفاة عراة، مدهوشين والهين، مربقين بالحبال، يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، هذا يضربهم، وهذا يسلبهم، وذاك يضرم النار في خيامهم، وآخر ينتزع الملاحف عن ظهورهم، وظهور أمهاتهم وعماتهم.

وليتك يا نبي الرحمة تراهم ليلة الحادي عشر من المحرم وقد أحاطت بهم الأعداء، وهم يرون ثمانية عشر من حماتهم، واثنين وسبعين من شيعتهم جثثا

على الرمضاء، ورؤوسهم على أطراف الرماح.
يا رسول الله لو عاينتهم* وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن* عاطش يسقى أنابيب القنا
ومسوق عاثر يسعى به* خلف محمول على غير وطا
لرأت عينك منهم منظرا* للحشا شجوا وللعين قذى

[المجلس الرابع العشرون]

ذكر الزبير بن بكار، عن محمد بن الحسن المخزومي، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي وجرة قال:

لما حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية حرب القادسية، ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من الليل:

يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو أنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل، في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية، خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (١)، فإذا أصبحتم غدا سالمين إن شاء الله تعالى، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وباللغة على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها، وأضرمت لظى عن سياقها، وجللت على أرواقها، فتمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح، باكروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول:

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

يا إخواني إن العجوز الناصحة * قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة * فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة * من آل ساسان الكلاب النائحة
قد أيقفوا منكم بوقع الجائحة * وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنما رايحة
وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى، ثم برز الثاني وهو يقول:
إن العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في * العدد إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد في * جنة الفردوس والعيش الرغد
فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى، ثم حمل الثالث وهو يقول:
والله لا نعصي العجوز * حرفا قد أمرتنا حزنا وعطفا
نصحا وبرا صادقاً ولطفاً * فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلاقوا آل كسرى لفا * أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
إننا نرى التقصير منكم ضعفا * والقتل فيكم نجدة وزلفى
فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى، ثم برز الرابع وهو يقول:
لست للخنساء ولا للأحرم * ولا لعمرؤ ذي الشناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماض على الحول خضم خضرم
إما لفوز عاجل أو مغنم أو * لوفاد في السبيل الأكرم
ثم قاتل حتى قتل رحمه الله تعالى، فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي

شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. (١)
ذكرت من حال هذه المرأة، الصالحة، حال أم وهب بن حباب (٢) الكلبي
يوم عاشوراء حين برز إلى ثلاثين ألفاً فأحسن في الجلال، وبالغ في الجهاد،
وكانت معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال:
يا أماه أرضيت أم لا؟

فقالت: يا بني ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.
وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك.
فقالت له أمه: يا بني أعزب عن قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت
نبيك تنل شفاعته يوم القيامة.
فرجع ولم يزل يقاتل حتى قطعت يداه في سبيل الله تعالى، فأخذت امرأته
عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: قاتل فداك أبي وأمي يا وهب دون الطيبين من
حرم رسول الله صلى الله عليه وآله.
فقال لها: كيف كنت تنهيني عن القتال، والآن تأمريني به؟

(١) الإصابة ٤: ٢٨٦.

(٢) هي بنت عبد، وزوجة عبد الله بن عمير الكلبي من قبيلة بني عليم، لما عزم زوجها على الخروج من
الكوفة لنصرة الحسين، تعلقت به ليصطحبها معه، والتحقوا ليلاً بأنصار الحسين في كربلاء، وفي يوم
الطف حينما برز زوجها للقتال، تناولت هي عموداً وبرزت إلى القتال، إلا أن الإمام الحسين ردها
وقال: ليس على النساء جهاد، وبعد مقتل زوجها سارت إليه حتى جلست عند رأسه تمسح التراب
عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة، أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك، فقال شمر لغلامه رستم:
اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فشدخه، فماتت مكانها. انظر: تاريخ الطبري ٣: ٣٢٣ - ٣٢٦،
الإرشاد ٢: ١٠١.

قالت: لا تلمني يا وهب، فإني سمعت من سيدي ومولاي الحسين كلمة
كسرت قلبي، سمعته يقول: أما من ناصر فينصرنا؟ أما من موحد يخاف الله فينا؟
أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟
فأقبل كي يردها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: لن أعود حتى
أموت معك.
فقال الحسين عليه السلام: جزيتم عن أهل بيتي خيرا، ارجعي إلى النساء
رحمك الله، فانصرفت إليهن، ولم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى.
رجال تواصلوا حيث طابت أصولهم وأنفسهم بالصبر حتى قضوا صبرا
حماة حموا خدرا أبي الله هتكه فعظمه شأنا وشرفه قدرا

الفصل الثالث
في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام
ومواعظه وأرشاداته

[المجلس الخامس العشرون]

ومن كلام لأمير المؤمنين وسيد الوصيين صلوات الله وسلامه عليه:
ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم
قد اكتفى من دنياه بطمريه (١)، ومن طعمه (٢) بقرصيه (٣)، ألا وإنكم لا تقدر
على

ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، [وعفة وسداد ف] والله ما كنزت من دنياكم
تبرا (٤)، ولا ادخرت من غنائمها وفرا (٥)، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا، ولا حزت
من أرضها شبرا، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة (٦)، ولهي في عيني أوهي
[وأهون] من عفصة مقرة (٧)، بلى! كانت في أيدينا فدك (٨) من كل ما أظلته

(١) الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق البالي.

(٢) طعمه - بضم الطاء - : ما يطعمه ويفطر عليه.

(٣) قرصيه: تثنية قرص، وهو الرغيف.

(٤) التبر - بكسر فسكون - : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ.

(٥) الوفرة: المال.

(٦) أتان دبرة: هي التي عقر ظهرها فقل أكلها.

(٧) مقرة: مرة.

(٨) فدك: هي: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله تعالى على رسوله صلى
الله عليه وآله صلحا، فيها عين فوارة ونخل، وقد كانت ملكا لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة،
لأنها لم يوجب عليها بخيل ولا ركاب، وقد أعطاها ابنته الزهراء عليها السلام فكانت بيدها في عهده
صلى الله عليه وآله، وروي إنه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: قد كان لأمك خديجة على
أيك محمد صلى الله عليه وآله مهرا، وأن أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلتكها تكون لك ولولئك بعدك،
وكتب كتاب النحلة علي عليه السلام في أديم، وشهد عليه السلام على ذلك وأم أيمن ومولى لرسول
الله صلى الله عليه وآله.

وجاء في الأخبار كما في رواية الشيخ عبد الله بن حماد الأنصاري - أن واردها - أربعة وعشرون
ألف دينار في كل سنة، وفي رواية غيره سبعون ألف دينار.

راجع: معجم البلدان للحموي: ج ٤ ص ٢٣٨، بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٣٧٨ و ج ٢١ ص ٢٣ و ج
٣٣ ص ٤٧٤، سفينة البحار للقمي: ج ٢ ص ٣٥١.

وروي عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر
على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله
صلى الله عليه وآله منها.

فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر ثم قالت: لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله
صلى الله عليه وآله، وأخرجت وكيلي من فدك، وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله
تعالى؟

فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت بأم أيمن، فقالت له أم أيمن: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج
عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، أنشدك بالله ألسنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله
قال: (أم أيمن امرأة من أهل الجنة).

فقال: بلى.

قالت: (فاشهد: أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: فأت ذا القربى حقه) فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتابا ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إن فاطمة عليها السلام ادعت في فديك، وشهدت لها أم أيمن وعلي عليه السلام، فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي. فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال أبو بكر: هذا فئ للمسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين. قال: لا.

قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ قال: إياك أسأل البينة.

قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوها شهودا، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟ فسكت أبو بكر فقال عمر: يا علي دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فئ للمسلمين، لا حق لك ولا لفاطمة عليها السلام فيه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرني عن قول الله عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا (الأحزاب: ٣٣) فيمن نزلت؟ فينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم.

قال: فلو أن شهودا شهدوا على فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ما كنت صانعا؟

قال: كنت أقيم عليها الحد، كما أقيمه على نساء المسلمين.

قال: إذن كنت عند الله من الكافرين.

قال: ولم؟

قال: لأنك كنت رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله، أن جعل لها فديكا قد قبضته في حياته، ثم قبلت شهادة إعرابي بائل على عقبه، عليها، وأخذت منها فديكا، وزعمت أنه فئ للمسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه) فرددت قول رسول الله صلى الله عليه وآله: البينة على من ادعى، واليمين على من ادعى عليه!

قال: فدمدم الناس وأنكروا، ونظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: صدق والله علي بن أبي طالب عليه السلام! ورجع إلى منزله.

قال: ثم دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهبثة لو * كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * واحتل قومك فاشهدهم ولا تغب
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا * فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به * عليك ينزل من ذي العزة الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا إذ * غبت عنا فنحن اليوم نغتصب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت * منا العيون بتهمال لها سكب

أنظر: الإحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ٩٠ - ٩٣، علل الشرائع للصدوق: ج ١ ص ١٩١، ب ١٥١ ح
١، تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٧.

السماء، فشحت عليها نفوس قوم، [وسخت عنها نفوس قوم آخرين]، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفوس مظانها (١) في غد حدث (٢)، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، [وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر (٣)، وسد فرجها (٤) التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق (٥)]، ولو شئت لاهتديت الطريق، إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، و [لكن] هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطمعة - ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع - أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثي (٦)، وأكباد حري (٧)، أو أكون كما قال القائل:

(١) المظان: جمع مظنة، وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء.

(٢) حدث - بالتحريك - : قبر.

(٣) المدر: جمع مدرة، مثل قصب وقصبة وهو التراب المتلبد، أو قطع الطين.

(٤) فرجها: جمع فرجة، مثال غرف وغرفة: كل منفرج بين شيئين.

(٥) المزلق: موضع الزلل، وهو المكان الذي يخشى فيه أن تزل القدمان، والمراد هنا الصراط.

(٦) غرثى: جائعة.

(٧) حري - مؤنث حران - : أي عطشان.

وحسبك عارا (١) أن تبيت ببطنة (٢) وحولك أكباد تحن إلى القد (٣)
أأطمع (٤) أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشار كههم في مكاره الدهر، وأكون
أسوة لهم في خشونة (٥) العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة
المربوطة، همها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها (٦)، تكثرش (٧) من أعلافها،
وتلهو عما يراد بها! وكأني بقائلكم يقول: (إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد
قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان)، ألا وإن الشجرة البرية (٨)
أصلب عودا، والروائع الخضرة (٩) أرق جلودا، والنباتات العذية (١٠) أقوى وقودا،
[وأبطأ خمودا]، وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو (١١)،
والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها. (١٢)
بأبي أنت وأمي كم تظاهرت العرب على قتالك، فظهرت عليها ورد الله

-
- (١) كذا في الأصل، وفي المصدر: داء.
 - (٢) البطنة - بكسر الباء - : البطر والأشر.
 - (٣) القد - بالكسر - : سير من جلد غير مدبوغ.
 - (٤) كذا في الأصل، وفي المصدر: أقنع من نفسي بأن يقال: هذا.
 - (٥) كذا في الأصل، وفي المصدر: جشوبة.
 - (٦) تقمّمها: التقاطها للقمامة، أي الكناسة.
 - (٧) تكثرش: تملأ كرشها.
 - (٨) الشجرة البرية: التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه.
 - (٩) الروائع الخضرة: الأشجار والأعشاب الغضة الناعمة التي تنبت في الأرض الندية.
 - (١٠) النباتات العذية: التي تنبت عذيا، والعذي - بسكون الذال - الزرع الذي لا يسقيه إلا ماء المطر.
 - (١١) كذا في الأصل، وفي المصدر: كالضوء من الضوء.
 - (١٢) نهج البلاغة (شرح الدكتور صبحي الصالح): ٤١٦ - ٤٢٠، كتاب رقم (٤٥)، كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة.

الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال (١) بعلي أمير المؤمنين وسيد المجاهدين.
وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له؟ وهل قامت دعائم الدين، أو رست قواعد الشرع، أو علت كلمة التوحيد إلا بجهاده؟
وهل شهد التنزيل لغيره بأنه شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله؟
وهل باهى الله عز وجل ملائكة السماء ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله بغيره؟
وهل تولى خدمة النبي وجميع بني هاشم أيام حصرهم في الشعب غيره؟
وهل قاسى الخطر ولاقى الأهوال في إيصال القوات إليهم يومئذ سواه؟
وهل نصر الله نبيه في جميع المواطن إلا به؟ وهل قتل عمرا ومرحبا، وجندل عتبة وشيبة والوليد وغيره؟
وهل أفنى بني عبد الدار وقتل بني سفيان بن عوف الأربعة يوم أحد سواه؟
وهل أذل عتاة الشرك وجبابرة الكفرة إلا صارم سطوته؟
وهل فتح حصون خيبر ودحا بابها، وقلع الصخرة عن فم القليب، وسلب العزة من جبابرة اليمن ومهد أمرها إلا ماضي عزمه؟
وهل قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين غيره؟
وهل باهل باسم غيره جبرائيل:
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
ولقد ورث منه هذه الشجاعة شبله أبو الأئمة، وشفيع الأمة أبو عبد الله

(١) الأحزاب: ٢٥.

الحسين عليه السلام حتى قال بعض الرواة:
والله ما رأيت مكثورا قط قتل ولده، وأهل بيته وأنصاره أربط جأشا من
الحسين عليه السلام، وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها فتتكشف عنه
انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم وقد تكملوا ثلاثين ألفا
فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حتى قتل منهم ألفا وتسعمائة عدا
المجروحين، فناداهم ابن سعد لعنه الله:
الويل لكم يا أهل الكوفة أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين،
هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب، وكانت الرماة أربعة آلاف
فرموه بالسهم، حتى حالوا بينه وبين رحله، فصاح بهم:
ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون
المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما
ترعمون.

فناداه شمر لعنه الله: ما تقول يا بن فاطمة؟
قال عليه السلام: أنا أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح،
فامنعوا عتاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا.
فقال الشمر لعنه الله: لك ذلك يا بن فاطمة، ثم صاح: إليكم عن حرم
الرجل واقصدوه بنفسه فلعمري إنه كفؤ كريم.
فقصد القوم بالقتال وهو مع ذلك يطلب شربة من الماء، وكلما حمل بفرسه
على الفرات حملوا عليه حتى أجلوه عنه فنادى:
هل من مغيث فيغيثنا؟

هل من ناصر فينصرنا؟
ووقف على جث أهل بيته وأصحابه فناداهم بأسمائهم، فاضطربت
أجسامهم اضطراب السمكة في الماء:
فناداهم: قوموا عجالاً فما * العرى بدار ولا هذا المقام مقام
فماجت على وجه الصعيد * جسومهم ولو أذن الله القيام لقاموا

[المجلس السادس العشرون]

ومن كلام له عليه السلام:

والله لأن أبيت على حسك السعدان (١) مسهدا (٢)، أو أجر في الأغلال مصفدا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى ققولها (٣)، ويطول في الثرى حلولها.

والله لقد رأيت عقيلاً (٤) وقد أملق حتى استماحني (٥) من بر كم هذا صاعاً. ورأيت صبيانه شعث الشعور (٦)، غير الألوان من فقرهم (٧) كأنما سودت وجوههم بالعظم (٨)، وعاودني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أنني أبيع ديني، وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من

(١) كأنه يريد من (الحسك) الشوك. والسعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي.

(٢) المسهد - من سهد - إذا أسهره، والمصفد: المقيد.

(٣) ققولها: رجوعها.

(٤) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو يزيد، أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي فصيح اللسان شديد الجواب، وهو أخو علي وجعفر لأبيهما، وكان أسن منهما، هاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ، عمي في أواخر أيامه، توفي أول أيام يزيد، وقيل: في خلافة معاوية. أنظر: الإصابة ترجمة رقم ٥٦٣٠، البيان والتبيين ١: ١٧٤، الطبقات الكبرى ٤: ٢٨.

(٥) قال رحمه الله: أملق: افتقر أشد الفقر، واستماحني: استعطاني.

(٦) قال رحمه الله: الشعث: جمع أشعث، وهو من الشعر المتبلد بالوسخ.

(٧) قال رحمه الله: الغبر: جمع أغبر، وهو متغير اللون شاحبة.

(٨) قال رحمه الله: العظم - كزبرج - سواد يصبغ به، قيل: وهو النيلج.

جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف (١) من ألمها، وكاد أن يحترق من
ميسمها (٢)، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل! أثن من حديدة أحماها انسانها
للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟ أثن من الأذى ولا أئن من
لظى؟! وأعجب من ذلك طارق طرفنا بملفوفة (٣) في وعائها، ومعجونة شنتتها (٤)
كأنما عجنت بريق حية أو قيءها، فقلت: أصله، أم زكاة، أم صدقة؟ فكل ذلك (٥)
محرم علينا أهل البيت! (٦)

بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين كيف بك لو رأيت أطفالك وأيتام ولدك أبي
عبد الله وهم في أشر الذلة ووثاق السبي، يساقون عطاشى جياعا مربطين
بالحبال، وأهل الكوفة يتصدقون عليهم وهم في المحامل مقرنين بالأصفاد،
فجعلت صبيتكم لشدة جوعهم يتناولون بعض الخبز والتمر والجوز، فصاحت
خفرتك وعقيلتك أم كلثوم:

ويلكم يا أهل الكوفة، إن الصدقة علينا حرام، وجعلت تأخذ ذلك من
أيدي الأطفال وترمي به إلى الأرض، والناس يكون على ما أصابهم، فأطلعت
رأسها من المحمل وقالت لهم:

مه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم وتبكيها نساءكم؟ فالحكم بيننا وبينكم
الله يوم فصل القضاء.

(١) الدنف - بالتحريك - المرض.

(٢) الميسم - بكسر الميم وفتح السين - المكواة.

(٣) الملفوفة: نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى علي عليه السلام.

(٤) شنتتها: كرهتها.

(٥) كذا في الأصل، وفي المصدر: فذلك.

(٦) نهج البلاغة (شرح الدكتور صبحي الصالح): ٣٤٦ رقم (٢٢٤).

فبينما هي تخاطبهم إذا بضجة قد ارتفعت، وإذا هم بالرؤوس قد جاؤوا بها
على الرماح، يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأس زهري قمري، أشبه
الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السبج، قد نصل منها
الخصاب، ووجهه دائرة قمر طالع، والريح تلعب بكريمته الشريفة يمينا وشمالا،
فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى سال الدم
من تحت قناعها، وأومات إليه بحرقة.

يا هلالا لما استتم كمالا * غاله خسفه فأبدى غروبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي * كان هذا مقدرًا مكتوبا

[المجلس السابع العشرون]

روى المنذر بن الجارودي (١) فيما حدث به أبو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحي، عن ابن عائشة، عن معن بن عيسى، عن المنذر بن الجارود قال: لما قدم علي رضي الله عنه البصرة دخل مما يلي الطف فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه، فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيض، متقلدا سيفاً، معه راية وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة، مدججين في الحديد والسلاح، فقلت: من هذا؟

فقيل: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهؤلاء الأنصار وغيرهم، ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلدا سيفاً، متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟

فقيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري (٢) ذو الشهادتين.

(١) المنذر بن الجارود بن عمرو بن خنيس العبدي، ولد في عهد النبي وشهد الجمل مع علي عليه السلام، وولاه علي إمرة إصطخر، ثم بلغه عنه ما ساءه فكتب إليه كتاباً وعزله، ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند سنة ٦١ هـ، فمات فيها آخر سنة ٦١ هـ.

أنظر: الإصابة ترجمة رقم ٨٣٣٦، جمهرة الأنساب: ٢٧٩، الأغاني ١١: ١١٧.

(٢) خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين: من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد بدرا وما بعدها، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته شهادة رجلين، شهد الجمل وصفين واستشهد فيها وهو القائل يومئذ:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن
وفيه الذي فيه من الخير كله وما فيهم بعض الذي فيه من حسن
أنظر ترجمته في أسد الغابة ٢: ١٣٣، الإصابة ١: ٤٢٥ - ٤٢٦.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها
قلنسوة بيضاء، وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفاً، متنكب قوساً في نحو ألف
فارس من الناس ومعه راية فقلت: من هذا؟

ف قيل لي: أبو قتادة بن ربعي (١).

ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد
سدلها بين يديه ومن خلفه، شديد الأدمة، عليه سكينه ووقار، رافع صوته بقراءة
القرآن متقلد سيفاً، متنكب قوساً معه راية بيضاء في ألف فارس من الناس
مختلفي التيجان، وحوله مشيخة وكهول وشباب، كأن قد أوقفوا للحساب أثر
السجود قد أثر في جباههم، فقلت: من هذا؟

ف قيل: عمار بن ياسر (٢) في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار
وأبنائهم.

ثم مر فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة
صفراء، متنكب قوساً متقلد سيفاً، تخط رجلاه في الأرض في ألف فارس من
الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه رايات صفراء قلت: من هذا؟

(١) أبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدة (بلدنة) الخزرجي الأنصاري، من الموالين لأمير المؤمنين عليه
السلام، وشهد معه مشاهدته كلها توفي سنة أربعين وكان بدريا.

أنظر: أسد الغابة ٦: ٢٥٠، الإصابة ٤: ١٥٨.

(٢) أبو اليقظان عمار بن ياسر، أحد الأركان، وهو جلدة ما بين عين وأنف رسول الله كما ورد في
الحديث.

أنظر ترجمته في: الإصابة ٢: ٥١٢، أسد الغابة ٤: ١٣٠ - ١٣٥.

قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة (١) في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديه بلواء، قلت: من هذا؟
قيل: هو عبد الله بن العباس في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟
قيل: قثم بن العباس (٢)، أو سعيد بن العاص (٣).

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح.
ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات، في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر.

(١) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي: عظيم من العظماء من كرام أصحاب رسول الله، ومن كرماء العرب وأحد الدهاة، من الموالين لعلي عليه السلام، واستمر بعد استشهاد أمير المؤمنين في ولائه للإمام الحسن ولم يبايع معاوية إلى أن قال له الحسن عليه السلام: أنت في حل من بيعتي.

أنظر: أسد الغابة ٤: ٤٢٥، الإصابة ٣: ٢٤٩، الاستيعاب ٣: ٢٢٤ - ٢٣١.

(٢) قثم بن العباس بن عبد المطلب: استعمله أمير المؤمنين عليه السلام على مكة.
أخرج الحاكم في المستدرک (٢: ١٣٦ ح ٤٦٣٣) بسنده الصحيح عن أبي إسحاق قال: سألت قثم ابن العباس: كيف ورث علي رسول الله صلى الله عليه وآله دونكم؟ قال: لأنه كان أو لنا به لحوقا، وأشدنا به لزوقا. أنظر: أسد الغابة ٤: ٣٩٢.

(٣) هو سعيد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي.
أنظر: الإصابة ٣: ٩٣ ترجمة رقم (٣٢٧٩).

- قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق كذلك تخير العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل: أنه كسر وجبر - كأنما على رؤوسهم الطير، وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت: من هؤلاء؟

قيل: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات، وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السماوات وما أظلت، والأرضين وما أقلت، ورب العرش العظيم.

هذه البصرة أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرها. اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين.

اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبعغوا علي، ونكثوا بيعتي. اللهم أحقن دماء المسلمين.

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: علي م تقاتلونني؟ فأبوا إلا الحرب.

فبعث رجلا من أصحابه يقال له: مسلم، معه مصحف يدعو إلى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل إلى علي، وقالت أمه:

يا رب إن مسلما أتاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم * وأمه قائمة تراهم

وأمر علي عليه السلام أن يصفوهم ولا يبدؤوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم، ولا يضربوهم، ولا يطعنوهم برمح، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء من الميمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل. فقال علي عليه السلام: اللهم اشهد.

وتواتر عليه الرمي فقام عمار بن ياسر فقال: ماذا تنظر يا أمير المؤمنين؟ فقال علي عليه السلام فقال:

أيها الناس، إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا مولياً، ولا تهتكوا ستراً، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع. (١)

ولقد يعز عليك يا أمير المؤمنين بما فعل القوم الظالمون يوم عاشوراء من تسابقهم على نهب بيوت آل الرسول، وقرعة عين الزهراء البتول، يسلبونهن وينتزعون الملاحف عن ظهورهن ثم يضرمون النار في خيامهن، فخرجن حواسر معولات، حافيات باكيات، ينادين: وا محمداه وا علياه، بناتك سبايا وذريتك مقتلة، تسفى عليهم ريح الصبا، هذا حسينك محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من جده المصطفى، بأبي من أبوه علي المرتضى.

أعزبك فيهم أنهم وردوا الردى * بأفئدة ما بل غلتها قطر
وثاوين في حر الهجيرة بالعرى * عليهم سوافي الريح بالترب تنجر

(١) مروج الذهب ٢: ٢٤٢.

المجلس الثامن والعشرون]

ومن خطبة له عليه السلام:

وكم أكلت الأرض من عزيز جسد، وأنيق لون، كان في الدنيا غذي ترف،
وربيب سرف، يتعلل في السرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة
نزلت به، ضنا بغضارة عيشه، وشحا بلهوه ولعبه، فبينما هو يضحك إلى الدنيا،
وتضحك الدنيا إليه، في ظل عيش غفول، إذ وطأ الدهر به حسكه، ونقضت
الأيام قواه، ونظرت إليه في الحتوف من كئيب، فخالطه بث لا يعرفه، ونجي هم ما
كان يجده، وتولدت فيه فقرات علل، أنس ما كان بصحته، ففزع إلى ما كان
عوده الأطباء، من تسكين الحر بالقار، وتحريك البارد بالحرار، فلم يطفئ ببارد
إلا ثورة حرارة، ولا حرك بحار إلا هيج برودة، حتى فتر معللة، وذهل ممرضه،
وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازعوا دونه شجي
خبر يكتمونونه، فقائل: هو لما به، وممن لهم إياب عافيته، ومصبر لهم على فقدته،
يذكروهم أسى الماضين من قبله، فبينما هو كذلك على جناح من فراق الدنيا، وترك
الأحبة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيرت نوافذ فطنته، وبيست رطوبة
لسانه.

إلى أن قال عليه السلام: وإن للموت لغمرات، هي أفضع من أن تستغرق
بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدنيا. (١)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ١٥٢.

وتالله لا يهون سكرات الموت إلا ولاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله،
فإن مواليهم ليبشره ملك الموت ثم منكر ونكير بالجنة، وإن الملائكة لتزف
أرواح مواليهم إكراما لهم حتى تدخلها عليهم كما تزف العروس إلى زوجها، وأيم
الله إن من تمام موالاتهم الحزن لحزنهم، والبكاء على ما أصابهم، فحدثوا
أنفسكم بمصارع هاتيك العترة، وتأسفوا على ما فاتكم من الفوز بتلك النصره،
واذكروا واعية الحسين، وحاله وهو بين ثلاثين ألفا وحيدا فريدا، قد حال
العطش بينه وبين السماء كالدخان، وقد نزف دمه، والحجارة والسهام تأتيه من
كل جانب، وأهل بيته وأصحابه كالأضاحي حوله، ونساؤه نوائح ونوادب من
خلفه، وهو تارة يصبرهم ويعزيهم، وتارة يعظ القوم وينذرهم، ومرة ينعى
أصحابه ويرثيهم، وأخرى يقف على جثثهم ويمسح الدماء عن وجوههم...
ولما وقف على ولده علي الأكبر وهو ابن تسع عشرة سنة، وكان أشبه
الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا وخلقا ومنطقا، فوجده مقطعا إربا إربا،
نادى بأعلى صوته: قتل الله قوما قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك
حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا...
ولما وقف على ابن أخيه القاسم (١) وهو ابن ثلاث عشرة سنة ووجده
يفحص برجليه الأرض، قال: عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا
يغني عنك.
ثم وضع خده على خد الغلام واحتمله ورجلاه يخطان الأرض، ففتح
الغلام عينيه، وتبسم في وجه عمه ثم فاضت نفسه الزكية، فوضعه بين القتلى من

(١) هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو أبي بكر بن الحسن لأبيه وأمه المقتول قبله. أنظر:
مقاتل الطالبين: ٥٠.

أهل بيته...
ولما وقف على أخيه العباس، وهو كبش كتيبته، وحامل لوائه، وموضع
سره، ووجده مرضوخ الهامة بعمود من حديد، مقطوع الساعدين، وضع يده
على خاصرته ونادى:
الآن انكسر ظهري، الآن قلت حيلتي وشميت بي عدوي.
وهوى عليه ما هنالك قائلاً * الآن بان عن اليمين حسامها
الآن آل إلى التفرق جمعنا * الآن حل من البنود نظامها
الآن نامت أعين بك لم تنم * وتسهدت أخرى فعز منامها
أشقيق روجي هل تراك علمت * إذ غودرت وانتالت عليك لئامها
من مبلغ أشياخ مكة أنه * قد قل ناصرها وغاب همامها

[المجلس التاسع والعشرون]

ومن خطبة له عليه السلام:

أما بعد: فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات،
وتحبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلت بالآمال، وتزينت بالغرور، لا تدوم
حبرتها (١)، ولا تؤمن فجعتها، غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكالة
غوالة، لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة والرضا بها، أن تكون كما قال الله
تعالى: كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما
تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٢) لم يكن امرؤ منها في حبرة،
إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطنًا، إلا منحته من ضرائها ظهرا، ولم
تطله فيها ديمة رخاء، إلا هتنت عليه مزنة بلاء، وحرى إذا أصبحت له منتصرة،
أن تمسي له متنكرة، وإن جانب منها اعذوذب واحلولى أمر منها جانب
فأوبى (٣)، لا ينال امرئ من غضارتها رغبا، إلا أرهقته من نوائبه تعبًا، ولا
يمسي منها في جناح أمن، إلا أصبح منها على قوادم خوف، غرارة غرور ما
فيها، فانية فإن من عليها، لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى، من استقل منها
استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عما قليل عنه، كم
وائق منها فجعته، وذوي طمأنينة لها قد صرعته، وذوي أبهة قد جعلته حقيرا،

(١) قال رحمه الله: حبرتها: يعني بهجتها وسرورها.

(٢) سورة الكهف: ٤٥.

(٣) قال رحمه الله: أي كثر فيه الوباء.

وذي نخوة قد ردته ذليلاً، سلطانها دول، وعيشها رنق (١)، وعذبها أجاج،
وحلوها صبر، وغذاؤها سمّام، وأسبابها رمام، حيها بعرض موت، وصحيحها
بعرض سقم، ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب. (٢)

هذه أنبياء الله وأصفياءه تغلبت عليهم الجبابة، وتحكمت فيهم أعداء الله
حتى كان بنو إسرائيل ربما يقتلون بين طلوعي الفجر والشمس سبعين نبياً، ثم
يجلسون في أنديتهم كأنهم لم يفعلوا شيئاً.

ولما بعث الله إسماعيل بن حزقيل إلى قومه سلخوا جلده ووجهه وفروة
رأسه، فأتاه ملك من ربه عز وجل يقرؤه السلام ويقول له: قد أمرني الله
بطاعتك، فمرني بما شئت، فقال عليه السلام: لي بالحسين أسوة.

بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله.

بأبي أنت وأمي يا من تأست به أنبياء الله، لئن سلخت جلدة وجه إسماعيل
وفروة رأسه في سبيل الله، فلقد أصابك في إعلاء كلمة الله من ضرب السيوف
ووخز الأسنان، ورمي الأحجار، ورشق النبال، ووطئ الخيل، وعسلان
الفلوات بين النواويس وكربلاء ما هو أعظم من ذلك.

تأست بك أنبياء الله لكن لم يبلغوا شأوك، ولا أصيبوا بما أصبت، وهل مني
أحد من العالمين بما منيت به؟ فررت بدمك من حرم جدك صلى الله عليه وآله
إلى حرم الله عز وجل حيث يأمن الوحش والطير، فلم تأمن فيه على نفسك،

(١) قال رحمه الله: الرنق: الكدر.

أقول: يقال: عيش رنق - بكسر النون - أي كدر، وماء رنق - بالتسكين - أي كدر، والرنق - بفتح
النون - مصدر قولك: رنق الماء - بالكسر - ورنقته أنا ترنيقا أي كدرته.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٢٦.

ففررت منهم لما خفتهم بعيالك وأطفالك وأهل بيتك، فلاقيت من أعداء الله ما رفع الله به قدرك، وعظم به أمرك، ولقد يعز على جدك رسول الله صلى الله عليه وآله أن يراك بين ثلاثين ألفا لا ناصر لك ولا معين، وأبناؤك وإخوتك وأهل بيتك والخيرة من شيعتك مجزرين كالأضاحي نصب عينيك، ورضيعك يذبح وهو على يديك، وحرملك نوائح ونوادب من خلفك ينادين: واغربتاه، واضيعتاه. وبالعزيز على فاطمة الزهراء أن تراك يا عزيزها بين جموعهم وقد ضعفت عن القتال، ونزف دمك من كثرة الجراح، وحال العطش بينك وبين السماء كالمدخان، وأنت تنادي:

أما من ناصر فينصرنا؟

أما من مغيث فيغيثنا؟

وليت رسول الله رآهم وقد افترقوا عليك أربعة فرق: فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة، حتى ذبحوك عطشاناً من القفا، وأنت تستغيث فلا تغاث.

ثم هجموا على ودائع النبوة فسلبوهن ونهبوا خيامهن، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حافيات حاسرات، معولات مسلبات ينادين:

وا محمداه وا علياه، وما اكتفوا بذلك حتى أجالوا الخيل على جسدك الطاهر، ورفعوا رأسك على رمح طويل، وساقوا نساءك وهن عقائل الوحي سبايا، كأنهن من كوافر الديلم، حتى أدخلوهن تارة على ابن مرجانة، وأخرى على ابن آكلة الأكباد.

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها* على مجلس ما بارح اللهو والخمرا يعارضها فيه الدعي مسبة* ويصرف عنها وجهه معرضاً كبيراً

[المجلس الثلاثون]

ومن كلام له عليه السلام:

الدنيا دار مني لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضراء، قد عجلت للطالب، والتبست فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا فيها أكثر من البلاغ. (١)
هذا الكلام كان من علي عليه السلام وفق فعله، فإنه ما شبع من طعام قط، وكان أحسن الناس مأكلا وملبسا.

قال عبيد الله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد فقدم إليه جراب مختوم، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً فأكل منه، فقلت: يا أمير المؤمنين كيف تختمه؟

قال: خفت هذين الولدين أن يليناه بسمن أو زيت.

وكان ثوبه مرقوعاً بجلدة تارة، وبليف أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرايس (٢)، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه، وكان يأتدّم بخل أو ملح، فإن ترقى فبيع بعض نبات الأرض، فإن ارتفع فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً، وقد طلق الدنيا ثلاثاً، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فيفرقها ثم يقول:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٥٢.

(٢) الكرباس - بالكسر - : ثوب من القطن الأبيض.

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه (١)
ورآه عدي بن حاتم (٢) وبين يديه ماء قراح، وكسيرات من خبز الشعير
فقال: لا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظل نهارك صائما مجاهدا، وبالليل ساهرا
مكابدا ثم يكون هذا فطورك؟ فقال عليه السلام:
علل النفس بالقليل وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها (٣)
ولم يزل هذا دأبه، وهذه سجيته، حتى ضربه أشقى الآخرين على رأسه
في مسجد الكوفة صبيحة ليلة الأربعاء لتسعة عشر مضين من شهر رمضان
المبارك وهو ساجد لله في محرابه، فبلغ السيف موضع السجود من رأسه، فقال:
بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، فزت ورب الكعبة لا يفوتنكم
ابن ملجم، واصطفقت أبواب الجامع، وهبت ريح سوداء مظلمة، ونادى جبرائيل
بين السماء والأرض:
تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت والله
العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل الإمام المجتبي، قتل علي المرتضى،
وجعل الدم يجري على وجهه، فيخضب به لحيته الشريفة.
واقترى به ولده أبو عبد الله عليه السلام حيث رماه سنان لعنه الله بسهم

-
- (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦.
(٢) عدي بن حاتم الطائي: أبو طريف، كان من المنقطعين إلى أمير المؤمنين عليه السلام والعارفين بحقه،
صاحب المواقف المشهودة في الجمل وصفين وغيرهما، فقئت عينه يوم الجمل، واستشهد ابنه محمد
فيها، والآخر يوم النهروان، قال له معاوية يوما: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدم بنيك وأخر بنيه! فقال
عدي: بل أنا ما أنصفت عليا إذ قتل وبقيت.
أنظر: الاستيعاب ٣: ١٤١، الإصابة ٢: ٤٦٨.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٩٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٤٦.

فوقع في نحره فسقط عن جواده، وقرن كفيه جميعا فكلما امتلأتا خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا ألقى الله وأنا مخضب بدمي، مغصوب حقي. وخرجت زينب عليها السلام حينئذ من فسطاطها تنادي: وا أخاه وا سيدها وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل.

وقال هلال بن نافع: وقفت على الحسين عليه السلام وإنه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلا مضمخا بدمائه أحسن منه وجهاً، ولا أنور منه، ولقد شغلني نور وجهه، وجمال هيئته عن الفكرة في قتله. ومجرح ما غيرت منه القنا* حسنا ولا غيرن منه جديداً قد كان بدرا فاغتدى شمس* الضحى مذ ألبسته يد الدماء لبودا

[المجلس الحادي والثلاثون

ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته ألهيكم التكاثر × حتى زرتم
المقابر (١):

يا له مراما ما أبعده! وزورا ما أغفله! وخطرا ما أفضعه! لقد استخلوا منهم
أي مدكر، وتناوشوهم من مكان بعيد.

أفبمصارع آبائهم يفخرون! أم بعديد الهلكى يتكاثرون! يرتجعون منهم
أجسادا خوت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبرا، أحق من أن يكونوا
مفتخرا، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة، أحجى من أن يقوموا بهم مكان عزة، لقد
نظروا إليهم بأبصار العشوة، وضربوا منهم في غمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم
عرصات تلك الديار الخاوية والرُبوع الخالية، لقلت: ذهبوا في الأرض ضلالا،
وذهبتم في أعقابهم جهالا، تطؤون في هامهم، وتستنبتون في أجسامهم،
وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك
ونوائح عليكم.

أولاؤكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم، الذين كانت لهم مقاوم العز،
وحلبات الفخر، ملوكا وسوقا، سلكوا في بطون البرزخ سبيلا، سلطت الأرض
عليهم، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم،
جمادا لا ينمون، وضمارا لا يوجدون.... لئن بليت آثارهم، وانقطعت
أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلموا من

(١) التكاثر: ١ - ٢.

غير جهات النطق، فقالوا: كلحت الوجوه والنواضر، وخوت الأجسام النواعم، ولبسنا أهدام البلى، وتكأدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتكهمت الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا، ولم نجد من كرب فرجا، ولا من ضيق مخرجا. (١) وتالله لا يفرج الكرب، ولا يؤنس الوحشة إلا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام، وبالله لترون أمير المؤمنين عليه السلام واقفا على شفير قبوركم يعلمكم جواب منكر ونكير، وليبدلن الله وحشتكم بواسطته أنسا، وخوفكم برؤيته أمنا، وليدخلن عليكم السرور في أجداثكم، ولتقومن يوم القيامة سيدة نساء العالمين عليها السلام مقاما تغبطون عليه وتدخلون به الجنة.

فحقيق علينا أن نشاركها في مصيبتها التي أرزأت جبرائيل، ونواسيها في رزيتها التي عظمت على الرب الجليل.

فيا ليت لفاطمة وأبيها عينا تنظر إلى بناتها وبنيتها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومأسور وذبيح، وبنات الوحي والنبوة يطاف بهن من بلد إلى بلد حتى وردوا بهن الشام، فلما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر لعنه الله فقالت له: لي إليك حاجة. قال: ما حاجتك؟

قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل نظاره. (٢) وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ١٤٥.

(٢) الملهوف: ١٧٤، مشير الأحران: ٩٧.

ونحن في هذه الحال، فأمر اللعين في جواب سؤالها: أن تجمل الرؤوس على
الرماح في أوساط المحامل بغيا منه وكفرا، ثم سلك بهم الطرق العامة على تلك
الصفة حتى أتى بهم باب دمشق، فأوقفوهم على درج باب المسجد، حيث يقام
السبي، وطافوا برأس الحسين عليه السلام سكك دمشق وشوارعها.
جاءوا برأسك يا بن بنت * محمد متزما بدمائه تزميلا
قتلوك عطشاننا ولما يرقبوا * في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما * قتلوا بك التكبير والتهليلا

[المجلس الثاني والثلاثون]

ومن خطبة له عليه السلام:

ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا، وأبقى آثارا، وأبعد آمالا،
وأعد عديدا، وأكثر جنودا، تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي إثار، ثم ظعنوا
عنها بغير زاد مبلغ، ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم أن الدنيا قد سحت لهم نفسا
بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفواحش،
وأزهقتهم بالقوارع، وضععتهم بالنوائب، وعفرتهم للمناخر، ووطأتهم
بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون، أفهذه تؤثرون؟ أم عليها تحرصون؟
فبئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن فيها على وجل منها، فاعلموا وأنتم تعلمون
بأنكم تاركوها، وظاعنون عنها، واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة،
حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وانزلوا فيها فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم
من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفاة جيران، فهم جيرة لا يجيبون
داعيا، ولا يمنعون ضيما، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، قد
استبدلوا يظهر الأرض بطننا، وبالسعة ضيقا، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة،
فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة،
والدار الباقية، حيث لا ينفع الإنسان إلا ما قدمه من أعماله الصالحة، وما يرجوه
من شفاعة الشافعين. (١)

وأن أفضل عمل صالح. وأقوى سبب لنيل الشفاعة، لزوم سنته، واتباع

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٢٦ و ج ١١: ٢٥٧.

عترته صلى الله عليه وآله، فإنهم أحد الثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما، ولا يهتدي إلى الله من صدف عنهما.
وقد قال صلى الله عليه وآله من خطبة خطبها يوم غدیر خم (١):

(١) أقول: قد كثر الحديث حول هذا الحديث وألف في جمع أسانيده الكتب قديما وحديثا ولعل أول من ألف فيه كما في موسوعة الغدير للعلامة الأميني رحمه الله هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٢١٠ هجرية صاحب التفسير والتاريخ المعروفين وهو من أكابر علماء العامة ألف كتاب (الولاية في طرق حديث الغدير).

قال الذهبي في طبقاته ٢: ٢٥٤: (لما بلغ محمد بن جرير أن ابن أبي داود تكلم في حديث غدیر خم عمل كتاب الفضائل وتكلم في تصحيح الحديث).

ثم قال: قلت: رأيت مجلدا من طرق الحديث لابن جرير فاندعشت له ولكثرة تلك الطرق).
وقال ابن كثير في تاريخه ١١: ١٤٦ في ترجمة الطبري: (إني رأيت له كتابا جمع فيه أحاديث غدیر خم في مجلدين ضخمين) ونسبه إليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٧ (راجع الغدير ١: ١٥٢).

وقد اغنانا العلامة الأميني رحمه الله وكفانا البحث عن طرق هذا الحديث ومصادره فقد ألف في ذلك موسوعته الضخمة - التي لم تتم - في أحد عشر مجلدا جمع فيها طرقه وأسانيده ومن احتج به أو كلم فيه أو قال فيه شعرا. ولكثرة النصوص المنقولة في هذا الحديث يحتار الإنسان فيما يختاره من نص فأثرنا أن ننقل النص الذي صدره الأميني رحمه الله به كتابه وهو نص جامع بين مختلف النصوص إلا أننا أكملنا أبيات حسان بن ثابت في الأخير.

وإليك النص:

(أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحج في سنة عشرة من مهاجره، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك التي يقال عليها حجة الوداع وحجة الإسلام وحجة البلاغ وحجة الكمال وحجة التمام، ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله فخرج صلى الله عليه وآله من المدينة مغتسلا متدهنا مترجلا متجردا في ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلهم في الهوداج، وسار معه أهل بيته، وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس.

وعند خروجه صلى الله عليه وآله وأصحاب الناس بالمدينة جدري (بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما) أو حصبة منعت كثيرا من الناس من الحج معه صلى الله عليه وآله، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد يقال: خرج معه تسعون ألف، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفا، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفا، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدة من خرج معه، وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي (أمير المؤمنين) وأبي موسى.

أصبح صلى الله عليه وآله يوم الأحد بيللم، ثم راح فتعشى بشرف السيادة، وصلى هناك المغرب والعشاء، ثم صلى الصبح بعرق الظبية، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به، وصلى الصبح بالإثابة، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج واحتجم بلحي جمل (وهو عقبة الجحفة) ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلى هناك ثم راح من الأبواء ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد وسبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلما كان بالغميم اعترض المشاة فصفوا فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالسلان (مشي سريع دون العدو) ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثنين بمر الظهران فلم يبرح حتى أمسى وغربت له

الشمس بسرف فلم يصل المغرب حتى دخل مكة، ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فدخل مكة نهار (الثلاثاء).

فلما قضى مناسكه وانصرف راجعا إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات ووصل إلى غدیر خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الآية، وأمره أن يقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريبا من الجحفة فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم ويحس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرة خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم ما تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوما هاجرا يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف صلى الله عليه وآله من صلاته قام خطيبا وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعا عقيرته فقال:

الحمد لله نستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله - أما بعد - : أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وأني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فما أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا، قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن ينفرقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعهما حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولا فعلي مولا، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فيبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت نعمتي الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضي الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: (بخ بخ لك، يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي آياتا تسمعهن، فقال: قل على بركة الله، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبهم* بخم واسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم* فقالوا ولم يبدوا هناك تعاديا
إلهك مولانا وأنت ولىنا ولن* تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني* رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فخص بها دون البرية كلها* عليا وسماه الغدير أحياتا

فمن كنت مولاه فهذا وليه * فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه * وكن للذي عادى معاديا
أنظر: مسند أحمد: ٤ / ٢٨١، فضائل أحمد: ١١١، ١٦٤، مصنف ابن أبي شيبة: ١٢ / ٧٨ / ١٢٦٧،
تاريخ بغداد: ٨ / ٢٩٠، البداية والنهاية: ٥ / ٢١٠، مناقب الخوارزمي: ٩٤، كفاية الطالب: ٦٢، فرائد
السمطين: ١ / ٣٨، ٧١، السيرة الحلبية ٣: ٢٨٣، سيرة أحمد زيني دحلان ٣: ٣، تذكرة الخواص: ١٨،
دائرة المعارف لفريد وجدي ٣: ٥٤٢.

ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وثانيهما أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.

- وزاد الطغرائي - : فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

وكان آخر ما تكلم به - فيما رواه الطبراني عن ابن عمر - : أخلفوني في أهل بيتي.

وفي رواية: فلا تقتلوهم ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله أين موضع القبول منهم بعهدك إلى أخيك، ووصاياك ببضعتك الزهراء وبنيك؟ وقد هدم القوم ما بنيت، وأضلوا جانباً ممن هديت، وفعلوا بعترتك ما لا يفعلون بالخوارج، وقابلوهم بما لا يقابلون به أهل الخنا والريب.

أما البتول فقد قضت وبقليها * من فعلهم قياسات وجد مكنن والمرضى أردوه في محرابه * يمين أشقى العالمين وألعن

وبشربة السم النقيع عداوة من * كف جعدة قد قضى الحسن السني
وإليك عني لا تقل حدث بما * لاقى الحسين فرزؤه قد شفني
حيث المصائب جملة لا أدر * ما منها أقص عليك لو كلفتني
نعم، أقص عليك مصيبتته بأطفاله، فعن أبي الفرج الأصفهاني: أنه كان في مخيم
الحسين عليه السلام ستة أطفال وقفوا في باب الخيمة وقد أضر بهم العطش،
فأتلوعوا برقابهم إلى الفرات، يتموج كأنه بطون الحيات، فجاءتهم سهام فذبحتهم
عن آخرهم، وكان الحسين قد تناول ولده الرضيع ليودعه أوماً إليه ليقبله رماه
حرملة بن كاهل بسهم فذبحه، فتلقى الحسين عليه السلام دم الطفل بكلتا يديه،
فلما امتلأتا من الدم رمى به نحو السماء ثم قال: هون علي ما نزل بك أنه بعين الله.
وقيل: أن الطفل كان مغمى عليه من شدة العطش، فلما أحس بحرارة
السهم رفع يديه من القماط واحتضن أباه..
ولما سقط الحسين عليه السلام عن ظهر جواده خرج عبد الله بن الحسن
عليه السلام وهو غلام لم يراهق، واشتد حتى وقف إلى جنب عمه، فلحقته عمته
زينب لتحبسه فأبى وامتنع شديداً وقال: والله لا أفارق عمي.
فأهوى بحر بن كعب، وقيل: حرملة بن كاهل إلى الحسين بالسيف فاتقاها
الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة، فنادى الغلام:
يا أماه، فأخذه الحسين عليه السلام فضمه إلى صدره وقال:
يا بن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك
بآبائك الصالحين، فرماه حرملة لعنه الله بسهم فذبحه وهو في حجر عمه. (١)

(١) مقاتل الطالبين: ٨٩.

[المجلس الثالث والثلاثون

ومن خطبة له عليه السلام:

أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، ألا وإن اليوم المضممار، وغدا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته.

ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه، ألا وإنكم في أيام أمل، من ورائه أجل فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد نفعه عمله، ولم يضره أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

ألا وإني لا أرى كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها.

ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، وإني أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل، فتزودوا في الدنيا ما تجهزوا به أنفسكم غدا، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. (١)

وسمعه أبو الدرداء يقول في مناجاته في جوف الليل، وهو مستتر ببيعات بني النجار:

إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي.

آه آه، إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٣٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٩١.

آه آه، من نار تنضج الأكباد والكلى.

آه آه، من نار نزاعة للشوى.

آه آه، من غمرة من لهبات لظى.

قال أبو الدرداء: ثم انغمس في البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة، فأتيته فإذا هو كالخشبة اليابسة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت أهله أنعاه إليهم. فقالت فاطمة سلام الله عليها: هي والله الغشبية التي تأخذه من خشية الله تعالى، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، فرآني أبكي فقال: مم بكاؤك يا أبا الدرداء؟

فقلت: مما تنزله بنفسك.

قال: كيف بك لو رأيتني وقد دعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ شداد، ووقفت بين يدي من لا تخفى عليه خافية. (١)

وكان صلوات الله وسلامه عليه: أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوما، منه تعلم الناس صلاة الليل. وملازمة الأوراد، وقيام النافلة. وكانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده، وما ظنك بمن يبلغ من محافظته على ورده، أن يبسط له قطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه السلام ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع، ولا يقوم حتى يفرغ من ورده وصلاته. (٢)

(١) تنبيه الخواطر (مجموعة ورام) ١٥٦: ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٧.

وقد نسج على منواله في ذلك شبلة باب الرحمة، وأبو الأئمة يوم عاشوراء وقد اجتمع عليه ثلاثون ألفاً، وافترقوا عليه أربع فرق: فرقة بالسيوف وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة، فبينما هو في هذه الحالة، إذ حضرت صلاة الظهر، فأمر صلوات الله عليه زهير بن القين، وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه مع نصف من تخلف معه، ثم صلى بهم صلاة الخوف، وتقدم سعيد بن عبد الله فوقف يقيه السهام بنفسه، ما زال وما تخطى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول:

اللهم العنهم لعن عاد وثمود.

اللهم أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت ثوابك في نصرة ابن بنت نبيك، ثم قضى نحبه رضوان الله عليه.

وفي رواية: أنه لما سقط قال: يا سيدي يا بن رسول الله هل وفيت؟

فاستعبر الحسين باكياً وقال: نعم رحمك الله، وأنت أمامي في الجنة.

رجال تواصلوا حيث طابت أصولهم * وأنفسهم بالصبر حتى قضوا صبرا

حماة حموا خدرا أبي الله هتكه * فعظمه شأنا وشرفه قدرا

فأصبح نهبا للمغاوير بعدهم ومنه * بنات المصطفى أبرزت حسرى

[المجلس الرابع والثلاثون

ومن خطبة له عليه السلام:

فلو أن أحدا يجد إلى البقاء سلما، أو لدفع الموت سبيلا، لكان ذلك سليمان بن داود عليه وعلى نبينا وآله السلام، الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة، وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته، واستكمل مدته، رمته قسي الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساکن معطلة، وورثها قوم آخرون. (١)

وإن لكم في القرون السالفة لعبرة.

أين العمالقة وأبناء العمالقة؟

أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟

أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، وأطفأوا سنن المرسلين،

وأحيوا سنن الجبارين؟

أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الألو، وعسكروا العساكر، ومدنوا

المدائن؟

أين بنو أمية الذين فعلوا الأفاعيل، ونهضوا بالأباطيل، وشيدوا قواعد

الظلم والعدوان، وعلوا على أساس أهل الكفر والطغيان، فعاثوا في البلاد،

وأكثروا فيها الفساد، فساموا عباد الله سوء العذاب، يذبحون أبناءهم، ويستحيون

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ٩٢.

نساءهم، حتى هتكوا المدينة المنورة، وفضحوا نساءها، وقتلوا رجالها، ونصبوا على مكة العرادات والمجانيق، وفرضوا على عسكريهم عشرة آلاف صخرة يرمونها كل يوم، حتى هدموا الكعبة المشرفة تارة، وأحرقوها أخرى، ولما بناها المسلمون بعد ذلك كان بنو أمية يشربون الخمر على سطحها، وقد مزقوا ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله كل ممزق، أما الكتاب فرموه بالنبل حتى مزقوه، وقال قائلهم يخاطبه:

تهددني بجبار عنيد * فما أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل: يا رب مزقني الوليد

وأما العترة الطاهرة فقد شتوهم في كل ناد، وطافوا برؤوسهم ونسائهم على رؤوس الأشهاد، حتى أوقفوهم بين يدي عبيد الله بن زياد لعنه الله، فجلست حوراء النساء زينب عليها السلام متنكرة، وحف بها إماؤها، فسأل عنها فقيل: هذه زينب بنت علي عليه السلام.

فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوثكم.

فقالت زينب: إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ هبلك أمك يا بن مرجانة.

فغضب اللعين وهم أن يضربها.

فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة

من أهل بيتك.
فرقت عند ذكرها لأخيها وأهل بيتها، وقالت:
لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد
اشتفيت.

فقال لعنه الله: هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها شاعرا سجاعا.
فقالت: يا بن زياد ما للمرأة وللسجع.

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها إلى مجلس ما بارح اللهو والخمر
يقارضها فيه الدعي مسبة ويصرف عنها وجهه معرضا كبيرا

× × × ×

تم بحمد الله وحسن توفيقه ما عثر عليه من كتاب

(المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة)

للإمام المجاهد السيد عبد الحسين

شرف الدين الموسوي قدس سره

في ١٥ شوال ١٣٨٦ هـ

وقد تم الانتهاء من مراجعة وتحقيق هذا السفر الخالد

مع مقدمته الزاهرة بتاريخ ٤ / رجب / ١٤٢١ هـ

بقلم العبد المحتاج إلى رحمة الله الغني المغني،

محمود البدري المكنى ب (أبي ذر البصري) بعيدا

عن الأهل والوطن في دار الغربة والهجرة

قم المقدسة، والحمد لله على حسن توفيقه